ميول المراهقين

المظاهر والأسباب ـ الوقاية والعلاج

شهاب الدين الحسيني

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

ميول المراهقين

المظاهر والأسباب - الوقاية والعلاج

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

١/٤٥٢
ح ح م

ميول المراهقين

المظاهر والأسباب ـ الوقاية والعلاج

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢٠
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣٠
ترخيص رقم: (٧١)

شهاب الدين الحسيني

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد: انّ موضوع جنوح الأحداث من المواضيع ذات الأهميّة البالغة في دراسات الباحثين والمتخصّصين في شؤون التربية وعلم النفس، وهو من الظواهر المرتبطة ارتباطاً مباشراً بأوضاع وأحوال المجتمع، تتداخل فيه وككل موضوع نفسي واجتماعي، العوامل الوراثية والأُسرية والمحيط الاجتماعي.

والدراسات حول هذه الظاهرة لم تتوقف، فهي كثيرة ومتنوعة بتنوع المتبنيات الفكرية والاجتهادية للباحثين ونظرتهم المتنوعة للقوى المؤثرة في حركة التاريخ وحركة المجتمع، وايمانهم قرباً وبعداً بالسنن التي تتحكم في المسيرة الإنسانية للفرد وللمجتمع.

فمنها من اعتمد على الدراسات الغربية النظرية والميدانية، بعد التهذيب والتشذيب لكي ترتدي ثوباً شرقياً، وتقدّم على شكل حقائق ثابتة.

ومنها من زاوج بين الدراسات الغربية والدراسات الشرقية النظرية والميدانية، بما يلائم النظرة الشرقية للحياة وللمجتمع.

واعتمدت بعض الدراسات على خبرات اساتذة الجامعات في المجالين: النظري والتطبيقي، فخرجت بنتائج ايجابية نافعة لإعتمادها على الواقع العربي والاسلامي.

وهنالك دراسات قام بها متخصصون في العلوم الدينية جمعت بين الدراسات الحديثة الغربية والشرقية، وبين الدراسات الاسلامية، لكنّها لم تبحث الظاهرة بشكل مستقل.

وجزا الله الجميع خيراً ما دامت نواياهم منصبة على رفد الساحة التربوية بدراسات تساهم في الوقاية من الظاهرة والحيلولة دون استشرائها في الواقع.

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على دراسات متنوعة اخترنا منها ما ينسجم مع متبنياتنا الفكرية ومنهجنا في الحياة، معتمدين على النصوص الاسلامية كقواعد ثابتة، وعلى الدراسات الحديثة كمؤيدات لها، إضافة إلى تجاربنا الميدانية التي دامت أكثر من عشرين عاماً في مختلف حقول التربية والاصلاح والدعوة إلى إحياء المفاهيم والقيم الاسلامية.

ووزعنا البحث على فصول:

تناولنا في الفصل الأول مظاهر الجنوح اعتماداً على واقعنا العربي والاسلامي، متجنبين ايراد المظاهر التي لا واقع لها.

وتناولنا في الفصل الثاني أسباب الجنوح، وقسمناها إلى قسمين: الأسباب الأساسية: وهي عدم تبني الاسلام منهجاً في الحياة، وعدم تحكيم مفاهيمه وقيمه في السلوك والممارسات، وذكرنا بعض الأرقام والشواهد من البلدان والمجتمعات الغربية، وبعض بلداننا الاسلامية.

وذكرنا في مبحث الأسباب الثانوية: الأسباب الذاتية او الأصيلة الناجمة عن الوراثة والولادة، والأسباب النفسية، ثم الأسباب البيئية داخل الأُسرة، وأخيراً الأسباب البيئية الاجتماعية الشاملة لجميع القوى المحيطة بالانسان والتي تؤثر في افكاره وعواطفه وممارساته العملية.

وتناولنا في الفصل الثالث موضوع الوقاية من جنوح الأحداث ابتداءً باختيار شريك الحياة الموافق عقائدياً وخلقياً وعرقياً، ثم التعاون بين الشريكين لإشاعة الطمأنينة داخل الأُسرة واشباع حاجات الحدث الأساسية، ثم الوقاية بالتربية الايمانية، وتنمية القدرات العقلية، وأخيراً إصلاح البيئة الاجتماعية.

وتناولنا في الفصل الرابع علاج جنوح الأحداث عن طريق ربط الحدث الجانح بالغيب الواهب للرحمة والرأفة وقبول التوبة، والعلاج بالارشاد والتوجيه، ثم العقوبات، ثم العلاج باستخدام اللعب والتسلية وربط الجانح بجمعيات الأحداث ومراكز الشباب.

وفي جميع المباحث اكدّنا على دور المنهج الديني في الوقاية والعلاج، لأنّه يواجه الظاهرة مواجهة تقدرها بحجمها وشكلها وظروفها، وهو منهج حركي فعّال يتجاوز الركود والجمود، حيث ينتقل من أعماق النفس ويتحرك ليحقق ذاته في العمل والحركة والسلوك، وهو يعالج النفس الإنسانية باستجاشة عناصر الخير والمروءة والصلاح فيها، وإلى مطاردة عناصر الشر والرذيلة، وهو الميزان الثابت الصالح لاقامة الحياة على ضوء مفاهيمه وقيمه في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة لدى واضعي المناهج الأُخرى.

نسأل الله تعالى أن يوفق جميع المعنيين في شؤون التربية لتبني الدين منهجاً في مسيرتهم وحركتهم التربوية، ويساهموا في تقرير مفاهيمه وقيمه في الواقع، ابتداءً بتلقين الأحداث، ليتمثلوه فكراً في العقول وعاطفة في القلوب وحركة في الواقع، وانتهاءً باصلاح جميع قوى التأثير في الميدان الاجتماعي والتربوي.

وتبقى هذه الدراسة كقواعد تأسيسية لموضوع جنوح الأحداث من وجهة

المنهج الديني الاسلامي، استخدمنا فيها الأفكار والآراء الواقعية، متجنبين الفرضيات الذهنية التي لا تزيد المباحث الّا تعقيداً، ومتجنبين ايضاً المصطلحات الغامضة والعبارات المطاطة والمزخرفة، لتكون الدراسة دراسة تربوية صالحة لجميع المستويات.

والله وليّ التوفيق.

شهاب الدين الحسيني

(سعيد العذاري)

جمادي الاولى / ١٤٢٠هـ.ق

آب / ١٩٩٩م

الفصل الأول

مظاهر الجنوح

الجنوح لغة:

جنح، يجنح، جنحاً، وجنوحاً، وهو الميل.

والجناح: الجناية والجرم، وقال ابن الأثير: وقد تكرر الجناح في الحديث، فاين ورد فمعناه الاثم والميل[1].

وجنحوا: مالوا، وسمي الاثم المائل بالانسان عن الحق جناحاً، ثم سمي كل اثم جناحاً نحو قوله تعالى: «لا جُناح عليكم»[2].

والجنحة: المخالفة أو الجناية، وهي في القانون الجريمة التي يعاقب عليها.

وجناح الاحداث في القانون: شذوذهم وانحرافهم الذي يصل بهم إلى حد الجريمة[3].

ولفظ الجناح أو الجنوح أخف وطأةً من لفظ الاثم والجناية والجريمة، ولهذا حرص الكثيرون من المهتمين بشؤون الأحداث على استعمال هذا اللفظ في أدبياتهم، لانهم يرون أنّ الحدث وخصوصاً في عهد الطفولة يكون غير مكتمل النمو نفسياً واجتماعياً، ولم يعد يدرك المسؤولية الاجتماعية ولا متطلبات التكيف مع الاخرين، فإذا صدر منه ما يخالف القواعد العامة للسلوك

---

(١) لسان العرب ٢: ٤٣٠.

(٢) مفردات الفاظ القرآن: ١٠٠.

(٣) المعجم الوجيز: ١٢٠.

وللمعايير الاجتماعية، فانه غير مقصود في كثير من الأحيان، وهو انعكاس لظروف التنشئة الاسرية والاجتماعية، ولا ذنب للحدث فيها، وخصوصاً في مرحلة الطفولة المبكرة أو الوسطى أحياناً.

وهكذا فالجناح أو الجنوح من الألفاظ المستحسنة في وصف الممارسات السلوكية للأحداث والتي تخالف القواعد العامة للسلوك المتوازن.

الجنوح اصطلاحاً:

الجنوح سلوك يأتيه بعض الأحداث عمداً أو سهواً، ويمتاز بكونه منافياً لروح الجماعة، فلا يأتلف ومعايير المجتمع الذي يضمهم.

ويرى بيرت مثلاً أن كل طفل يمكن اعتباره جانحاً حينما تكون نزعاته مناهضة لنظم المجتمع فتبدو خطيرة يلزم الحد منها، فيتعرض من جرائها إلى طائلة الروادع الاجتماعية.

ويذهب كل من كار ودويش إلى أنّ الجنوح ضرب من ضروب السلوك تحدد أركانه تشريعياً من جانبين أساسيين هما:

١ ـ من ناحية تحديد عمر الجانح الذي يقترف ما من شأنه أن يسمح بوصمه بالجنوح.

٢ ـ طبيعة ما يرتكبه من سلوك مخل مستهجن[1].

وتعرف شخصية الحدث الجانح بالشخصية السيكوباتية Psychopath وهي الشخصية التي يفقد صاحبها الحس الخلقي moral sense ويفقد الاحساس بالذنب أو اللوم على ما يرتكب من جرائم، ولا يشعر بالاسف لما

(١) سايكولوجية الطفولة والمراهقة: ٢٦٧، أثبتنا العنوان لفظاً كما هو في الكتاب.

يلقاه ضحاياه من الالام، فهو شخصية انانية لا تقيم وزناً لمشـاعر الآخـرين أو لحقوقهم، وهو مندفع وثائر، وسلوكه مضاد للـمجتمع، ويـمتاز بـعدم الثـبات الانفعالي[1].

فترة الجنوح

الأتجاه العام في تحديد فترة الجنوح أو عمر الحدث الجانح يتراوح بـين السابعة والثامنة عشرة، وبعبارة أُخرى انّ الجنوح قد يصدر من الطفل والمراهق على حد سواء، وهناك من ينفرد بآراء تجمع بين الطرافة والاستغراب، فـهيرزك وكافان، يريان بأن الجنوح إنّما هو محصلة عملية تمتد عبر أعوام طوال، وهذا معناه أن كل طفل دون استثناء، حتى من كان دون السابعة من العمر، انـما هـو جانح، لأنّه يتحرّك نحو اشباع حاجاته ومتطلباته ولا يبالي أو يكترث لوجـهة نظر من يحيط به من الراشدين سواء منهم أفراد أسرته أو غيرهم، فهو لا يرى في محيطه الذي يحيا فيه سوى رغبته التي يراها مجسمة في الحاجة التي يصبو إليها بلهفة طائشة في معظم الأحيان.

وإذا نظرناإلى الواقع الاجتماعي نجد انّ الجنوح يكون واضحاً في ظواهره ومعالمه في مرحلة المراهقة دون مرحلة الطفولة، ومـمّا يـؤيد ذلك الدراسـات المدونة في كتب علم النفس، ومنها ما دلّ على أنّ حـوالي ٣٨٪ مـن حـالات جنوح الاحداث تحصل عندما يكون مقترفوها بين ١٤ ـ ١٦ عاماً من العمر، وأنّ ٣٤٪ من حالات الجنوح يأتيها الأحداث فيما بين ١٦ ـ ١٨ من العـمر، وهـذه

---

(١) سيكولوجية الجنوح: ١٨.

النسبة العالية تظهر بوضوح انّ الجنوح والمراهقة يسيران جنباً إلى جنب[1].

ويختلف الجنوح كماً ونوعاً في المرحلتين، فجنوح الطفل قد يصدر منه بعيداً عن التحكم العقلي، بينما جنوح المراهق غالباً ما يصدر منه مصحوباً بأعمال الفكر والتصميم على اتيانه مقدماً، وقد تكون ظروف العمر عوامل مساعدة على الجنوح، لامتلاك المراهق القدرة على التعبير والقدرة على اتخاذ القرار المخالف للمعايير والموازين الاجتماعية، وان كانت جذور الجنوح ممتدة إلى مرحلة الطفولة.

مظاهر الجنوح

حينما يفقد الحدث روح الاندماج مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، فانه سيكون عرضة للاخفاق في النمو النفسي والتوازن الانفعالي، وتترتب عليه حالات من الاطوار الجنوحية المقترنة بالنكوص وبعدم التوافق مع متطلبات الحياة الاجتماعية، وكلما تجذرت في كيانه فانه سيجنح أكثر فأكثر، وستتوسع دائرة الجنوح كماً ونوعاً لتشمل جميع مقومات الشخصية: الفكر والعاطفة والسلوك، والجنوح لا يتحدد بمظهر معيّن لأنّه ممتد بامتداد عوامله الذاتية والخارجية، فقد يكون جنوحاً في التصور والضمير، وقد يكون جنوحاً في السلوك والسيرة، أو في الروابط والعلاقات، وقد يكون جنوحاً خفياً أو علنياً، فهنالك جنوح في اغوار النفس وهنالك جنوح في ظاهر الحياة، وكلاهما جنوح الّا انّ الجنوح الواقعي اشدّ وطأة من غيره لأنّه ممارسة وسلوك عملي.

وفيما يلي نستعرض أهم مظاهر الجنوح لدى الأحداث:

---

(١) سايكولوجية الطفولة والمراهقة: ٢٦٨.

الاستهانة بالمفاهيم والقيم الدينية

الاستهانة بالمفاهيم والقيم الدينية هي من أخطر ألوان وأنواع ومظاهر الجنوح ، حيث يفقد الحدث الوازع الذي يحميه من اقتراف المآثم ، ويفقد العاصم الوحيد من الانحراف والشذوذ ، فتضمحل النفحات الروحية ، وتضعف القدرة على التخلّق الفاضل .

والاستهانة أول خطوة من خطوات التمرّد على الدين والتديّن ، فإذا تجذرت وتأصلت في النفس الإنسانية للحدث ، فانّه سيفقد الهناء والسعادة والاستقرار النفسي لانعدام الطاقة الروحية التي ترفده بالطمأنينة والثبات .

والاستهانة تجعله متمرداً على جميع المقدسات والضوابط ومعايير السلوك ، فيعيش اللامبالاة والعبث واللهو ، وعدم التحرز من بقية ألوان ومظاهر الجنوح .

وهذا المظهر الجنوحي أقل استشراءاً بين الأحداث دون مرحلة المراهقة ، لأنّ الطفل مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى وبالمفاهيم والقيم الدينية المتفرعة على هذا الإيمان ، وينمو هذا الإيمان ويترعرع في ظل المحيط المتديّن الذي يتبنى افراده الدين منهجاً في الحياة ، والطفل لا يستهين بالمفاهيم والقيم الدينية ، لأنّه بحاجة إلى الالتصاق والاندكاك بها لضعفه وحاجته إلى الرحمة والمحبة والمغفرة ، فحالات الاستهانة أو التمرد على المفاهيم والقيم الدينية تكاد تكون معدومة أو محدودة ونادرة . ولكنّها تجد لها مرتعاً خصباً في مرحلة المراهقة ، فنجد بعض المراهقين يتمردون على مقدسات المجتمع ، بنكران وجود خالق للكون أو نفي حقيقة اليوم الآخر ، ويتشبثون بالعقائد الباطلة ذات الشعارات البرّاقة ، والتعلق بأماني كاذبة أو بقيم لاحظّ لها من الواقع ، ويتأصل

نكران الحقائق في ذات المراهق فيأنس بمفاهيمه وقيمه ولا يتنازل عنها لارتباطها بكبريائه وكرامته، وقد يجد الحدث المنبوذ نفسه ذا قيمة اجتماعية حينما يخالف مفاهيم وقيم المجتمع، وحينما يدخل في حوارات مع افراد مجتمعه.

وبما ان المراهقة مرحلة ذات حدّين نجد ان الأحزاب والمنظمات العلمانية تكثّف حركتها باتجاه المراهقين لضمهم إلى صفوفها، وخصوصاً المراهقين الذين يعانون من عقد نفسية بسبب الحرمان الذي يعانونه جراء فقدان العدالة والتكافل الاجتماعي والاقتصادي، ومن خلال دراسة الواقع وجدنا انّ بعض المراهقين فاقوا قادتهم وأحزابهم في الاستهانة بالمفاهيم والقيم الدينية، وتجاوزوا حدود الاسس الفكرية المتبناة، وكرّسوا أوقات فراغهم لاكتشاف أساليب جديدة في اقناع الاخرين بمفاهيمهم وقيمهم الزائفة.

والاستهانة بالمفاهيم والقيم الدينيةأخطر مظاهر الجنوح لدى الأحداث، وهي أساس جميع الشرور والآثام ومظاهر الجنوح الأُخرى، ولذا نجد ان المجتمعات غير الدينية زاخرة بألوان وأنواع الانحراف والشذوذ والجريمة، لغياب المفاهيم والقيم الرادعة عن الممارسات المنحرفة والشاذة.

الكذب:

الكذب مظهر جنوحي يمارسه بعض الأحداث في جميع مراحل النمو، وهو ظاهرة غير مقبولة لدى جميع المجتمعات دينية كانت أم غير دينية.

والكذب بجميع ألوانه ومناشئه غير مستساغ سواء كان نفسياً أوخلقياً، ويكون أشدّ قبحاً في مرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة.

والكذب لدى الأحداث الأطفال قد يكون كذباً طبيعياً بريئاً ناجماً عن خيال الطفولةالخصب، حيث يتخيل بعض الامور ويحوّلها إلى واقع، وقد يلتبس عليه الواقع والخيال بسبب عدم القدرةعلى التمييز، فيتكلم خلافاً للواقع أو لبعض الواقع.

وقد يكون القصد من الكذب المستمد من وحي الخيال هو ايهام الآخرين بقبوله لغرض بريء هو المتعة والتلذذ أولاً، ولجلب اهتمام الآخرين والاستئثار بانتباههم ثانياً.

وقد يكون الكذب ناجماً عن الشعور بالنقص والضعف وعدم مساواة الاخرين من الأطفال من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

ويلتجأ الطفل إلى الكذب حينما يتعرض لمواقف جديدة في حياته، وخصوصاً في مرحلة الدخول إلى الروضةأو المدرسة، حيث يشق عليه الأمر لابتعاده عن امّه أو ابتعاده عن وضعه الذي اعتاده كل يوم في البيت، فيدعي انّ المعلم انسان جاف ويستخدم القسوة مع التلاميذ.

وقد يكذب بدافع الغيرة فينسب إلى غيره ما ليس فيه ويتهمه باتهامات لتشويه سمعته أمام الآخرين.

وقد يلجأ الطفل أحياناً إلى الكذب لحماية نفسه من تهجمات الكبار عليه، وينشأ هذا النوع من الكذب عادة لدى الأطفال الذين لا تتمثل فيهم قوة الشخصية وممن تعوّدوا أو عوّدوا على الاستكانة أو الخنوع بدلاً من تنمية الثقة بالذات عندهم، ومثل هذا النوع من الأطفال يصوغون الكذبة لساعتها، خالية من المحتويات الخيالية وبعيدة عن التزويق، فيأتونها وكأنها حقيقة لا غبار

عليها، فتكون الكذبة وكأنها فعل انعكاسي دفاعي تولد لتوه[١].

وللخوف من العقاب النفسي والبدني دور كبير في كذب الاطفال في أجواء انعدام القدوة الصالحة، وانعدام علاقات الانفتاح بين الأطفال وبين الكبار من والدين ومعلمين وغيرهم.

ويتأثّر الأطفال بالكبار آباء أو غرباء حيث يتعلمون الكذب منهم بعد طول الملاحظة والاحتكاك.

والكذب مهما تعددت اسبابه وعوامله فانه مظهر جنوحي مذموم، وحالة سلبية خطيرة لأنّها مفتاح لظواهر اخطر تقود الفرد والمجتمع إلى الهلاك في كثير من الأحيان.

والكذب إذا لم يعالج عند الأحداث في مرحلة الطفولةفانّه يستمر معهم في مرحلة المراهقة وسائر مراحل العمر، لأنّ تجذره في اغوار النفس يجعل الإنسان مطبوعاً عليه، ويصعب عليه التخلّي عنه، وغالباً ما يحدث أنس بين الشخص والكذب، حيث يجد معه الراحة والبهجة، وهذا ما نلاحظه عند متابعةالمشهورين بالكذب وخصوصاً بعض القصّاصين في المحلات الشعبية وفي المقاهي.

وأخطر ألوان الكذب هو الكذب المتجذر في النفوس والمتفشي في السلوك، عن عبدالرحمن بن الحجّاج قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الكذّاب هو الّذي يكذب في الشيء؟ قال: «لا، ما من أحد الّا يكون ذلك منه ولكنّ المطبوع على الكذب»[٢].

---

(١) سايكولوجية الطفولة والمراهقة: ٨٧، ٨٨.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٠.

السرقة:

السرقة سلوك جانح يصاب به الأحداث في عهد الطفولة والمراهقة سواء كانوا ينحدرون من بيوت فقيرة أو غنية، والسرقة في السنة الثانية والثالثة وحتى الرابعة من العمر لا تعدّ جنوحاً لعدم تمييز الطفل بين ملكيته وملكية غيره، وعدم ادراكه لحقوق الآخرين، لذا نجده يسرق ممتلكات أخيه أو اسرته علناً دون أن يشعر بشيء غير طبيعي، ويبدأ وصف السرقة بالجنوح ان كانت محاطة بالخفاء والسرية وكان الطفل متقدماً في العمر.

وللسرقة دوافع ظاهرية وهي الحاجة إلى التملك، وهنالك دوافع باطنية نفسية ناجمة عن التعرض للظلم والتجاوز على الحدث طفلاً كان أم مراهقاً، سواء كان الظلم استهزاءً أو احتقاراً أو تعدّي على حق من حقوقه.

والحرمان عموماً بشقيه المادي والروحي يلعب دوراً كبيراً في شيوع ظاهرة السرقة عند الاحداث، فالمحروم من الملكية للنقود أو وسائل اللعب والترفيه، وكذلك المحروم من الحنان والدفيء العاطفي والتقدير الاجتماعي يلتجأ إلى السرقة للتعويض عن حرمانه.

وقد تكون للسرقة مناشيء نفسية لاشباع روح المغامرة كما نلاحظه في قيام مجموعة من الأحداث بالسطو على المدارس مثلاً وسرقة الكتب والقرطاسية منها، أو السطو ليلاً أو نهاراً على بعض البساتين أو بعض البيوت الحاوية على أشجار العنب والبرتقال وسائر الفواكه، ومثل هؤلاء الأحداث قد لا يسرقون أشياء أُخرى غير الفواكه أو القرطاسية أو وسائل اللعب من المراكز الرياضية، وقد لا يسرقون من جيوب الآخرين وان كانوا قادرين على ذلك، ومن

الوان السرقة قيام بعض الاحداث بعدم دفع اجرة السيارة أو قيمة الغذاء في المطعم، واعتبار مثل هذه الاعمال اعمالاً بطولية، والتحدث عنها دون حرج لاثبات القدرة على اتخاذ موقف دون علم من أصحاب المطاعم والسيارات، وغالباً ما يقوم الحدث بهذه الممارسات تأثراً بالاصدقاء.

والسرقة بجميع ألوانها ومصاديقها عملية جنوحية خطرة قد تنمو مع الحدث إلى الكبر وتتأصل في اعماقه بحيث يجد الراحة والمتعة بالسرقة، وقد يفتخر بهذا العمل أو لا يجد فيه حرجاً اجتماعياً.

وأخطر الوان السرقة تلك السرقةالتي تقوم بها عصابات منظمة من الاحداث والتي يصاحبها العدوان والارهاب كما نلاحظه في الدول الغربية المختلفة.

وفي جميع الاحوال فانّ أخطر الوان السرقة تلك السرقة التي يرتكبها الحدث على الرغم من النصائح والارشادات التي يتلقاها باستمرار، اضافة إلى عدم حاجته للاشياء المسروقة.

التخريب

يقوم بعض الاحداث دون الخامسة من العمر بتخريب الاشياء التي تقع انظارهم عليها، كتمزيق الدفاتر والكتب، وكسر الاواني والمصابيح، وزجاجات الشبابيك، وتسويد الجدران بالحبر والأصباغ، وكسر ادوات اللعب، ويصل الأمر إلى كسر الاجهزةالثمينة كالراديو والتلفزيون.

وهذا النوع من التخريب ظاهرة طبيعية ان حصل مرّة أو مرتين، وهو

ناشيء عن حب الاستطلاع لمعرفة مكـنونات ومـحتويات الاشـياء المـحيطة بالأطفال، واشباعاً لظاهرة الحل والتركيب في العقل البشري لمعرفة خـصائص الأشياء، اضافة إلى زيادة النشاط البدني والطاقة الحركية مع عدم توفر الاجواء المنظمة لتصريف النشاط والطاقة الحركية، كضيق المنزل، وعـدم تـوفر آلات اللعب التي يحتاجها الطفل.

وتصبح ظاهرة التخريب ممارسة جنوحية إن استمر الحدث في ارتكابها، وتكرارها باستمرار على الرغم مـن النـصائح والارشـادات أو العـقوبات التـي يتعرض لها من قبل الوالدين أو المعلمين أو مطلق السلطة الضاغطة، اضافة إلى وجود مراكز واماكن للعب والترفيه.

ومنشأالتخريب المتكرر هو الشعور بالنقص وعدم التقدير من قبل الأُسرة أو المجتمع، والشعور بعدم الأمان والطمأنينة، وللعوامل الانفعالية دورهـا فـي هـذه الظـاهرة مـثل الغـيرة أو الكـراهـية للآخـرين أو السـلطة المـدرسية أو الاجتماعية.

ونلاحظ في الواقع ممارسات تخريبية متكررة يقوم بها احداث فوق سن السابعة وإلى العشرين، حيث يقومون بـالكتابة عـلى جـدران بـعض المـنازل والدوائر الحكومية، وتسـويد جـدران المـدارس، اضـافة إلى ثـقب عـجلات السيارات أوكسر زجاجها، ويقوم أحداث آخرون بقطع الورود مـن الحـدائـق العامة وكسر أغصان الأشجار، وحرق بعض المواد القابلة للاحتراق.

وأخطر الوان التخريب هو التخريب الذي يصدر من عصابات الاحـداث المتكونة من مجموعةمنهم، كمانراه أو نسمعه وخصوصاً في المدن الكبيرة ومنها المدن التابعة للمجتمعات غير الاسلامية.

العناد وعدم الطاعة

يحاول الطفل اثبات ذاته وشدّ أنظار الوالدين أو غيرهم اليه عن طريق العناد والتمرد على الأوامر، وهذه ظاهرة وممارسة طبيعية ومألوفة في المراحل الأُولى من الطفولة، وتكاد تكون ردّ فعل للتقصير في حقوقه أو حرمانه من اشباع حاجاته الأساسية سواء كانت حاجة مادية كالمأكل والملبس وأدوات اللعب أوحاجة عاطفية كالحب والحنان والتقدير.

فإذا كان العناد ناشئاً عن الرغبة في اثبات الذات فهو أمر طبيعي بل صحيّ من الوجهة النفسية، وإذا استمر العناد مع الطفل في مرحلة الطفولةالوسطى والمتأخرة وبقي ملازماً له في مرحلة المراهقة، فهو يعبّر عن ظاهرة جنوحية خطيرة لأنّ العناد في مثل هذا العمر المصحوب بعدم الطاعة والتمرد على أوامر وتوجيهات الوالدين أو المعلمين أو السلطات القائمة يخلق من الحدث شخصية متمردة على جميع السلطات الضاغطة ومنها السلطة الاجتماعية التي تتحكم بها المفاهيم والقيم المتأصلة في المسيرة الاجتماعية، وهذاالتمرد يخلخل العلاقات الاجتماعية، ويعرقل الكثير من الخطط والبرامج الانتاجية أو الاصلاحية، ويجعل المجتمع يعيش في دوّامة من القلق والاضطراب الفكري والعاطفي والسلوكي.

والعناد أو التمرد قد يكون موجهاً إلى سلطة معينة كسلطة الوالدين والأُسرة أو سلطة المدرسة أوسلطة الدولة، وقد يكون موجهاً إلى جميع السلطات بما فيها السلطة الروحية لعلماء أو رجال الدين، وهذاالنوع هو اخطر انواع وألوان الجنوح في مجال هذه الظاهرة، لأنه يؤدّي إلى الهروب من المدرسة والهروب من الأُسرة ثم التشرد في الشوارع والطرقات أو الانتماء إلى العصابات المتمردة على المجتمع وعلى السلطات القائمة.

العدوان اللفظي

العدوان اللفظي بين الأحداث ظاهرة مشهورة لا تخلو منها اسرة من الأسر، وهو يحدث نتيجة لتصادم رغبتين متناقضتين بين الاطفال، فيوجه احدهما إلى الاخر كلمات تدل على العدوان كالشتم والاتهام والتعيير والتحقير، وهذه الظاهرة تكاد تكون طبيعية ان كانت الالفاظ مألوفة وفي خصوص أطفال ما قبل الروضة أو المدرسة، لان التعبير بالألفاظ عن الأحاسيس والهموم أمر طبيعي يمارسه الصغار والكبار على حدّ سواء، وهذه الظاهرة تهذّب تدريجياً بالتربية وبالتقدّم في العمر، ولكنّها تصبح ظاهرة جنوحية ان استمرت مع الحدث وتطورت في ألوان وتعابير جديدة وخصوصاً بالألفاظ المستهجنة اجتماعياً.

والحدث يتعلم اسلوب التعبير من محيطه الاسري والاجتماعي، فهو يسمع الشتائم والأتهامات وأساليب التحقير اللفظية من والديه مباشرة وخصوصاً الوالدين اللذين يتبادلان الشتائم والاتهامات أو الاهانات، وبالدرجة الاولى الأب وخصوصاً في مجتمعاتنا الشرقية حينما يمارس العدوان اللفظي مع الأم أمام مرأى ومسمع الحدث، ثم يتأثر الحدث بمحيطه الاجتماعي بأصدقائه أو أقربائه أو جيرانه أو معلميه.

وتزداد قباحة العدوان اللفظي كلما ازداد استهجان الألفاظ المستعملة وخصوصاً ألفاظ البذاءة والفحش، وكلما كان العدوان لا مبرر له كاتهام الاخرين بلا سبب وبلا مقدمات، وبلا فعل من قبلهم، وهذه ظاهرة مألوفة عند بعض الأحداث المنحدرين من أسر متصدعة حيث يوجهون اتهامات إلى غيرهم بلا سبب وبلا عدوان مسبق، وينسبون إلى غيرهم الموبقات كالسرقة والانحراف الجنسي وغير ذلك.

العدوان البدني

العدوان البدني يحدث باستمرار بين الأحداث وخصوصاً بين أبناء الأُسرة الواحدة، وهو أمر طبيعي ناشيء عن غريزة المقاتلة والدفاع عن الذات وخصوصاً عند الذكور حيث تحدث فيما بينهم أكثر من حدوثها بين الاناث، والعدوان اعلى مرحلة من مراحل الغضب المركوزة في النفس الإنسانية.

ويرى الباحثون «ان النزعات الاعتدائية بمختلف أنواعها صادرة عن استعداد راسخ في طبيعة الإنسان، ويمكن أن يتجه نشاطها اتجاهاً هدمياً ضاراً، ويمكن أن يتجه اتجاهاً مفيداً لكل من الفرد والمجتمع»[1].

واضافة إلى هذه الاستعدادات فانّ للبيئة الاجتماعية دوراً فعّالاً في تنمية تلك الاستعدادات الكامنة واخراجها إلى طور الفعل في الواقع الخارجي، فالضغط الزائد وتقييد الحرية يؤدّي غالباً إلى العدوان البدني على الغير سواء كان لهم دور في تقييد حرية الحدث أو لم يكن لهم أي دور، وانّما تقع ردود فعل الحدث عليهم.

والعدوان البدني ينتقل عن طريق التقليد، من الاباء إلى الأبناء، فالطفل يقلد أباه المعتدي بالضرب على اُمّه، وأحياناً تكون الأُم مسلوبة الارادة ضعيفة القلب فتقع ضحية لاعتداء الابن نفسه أو اعتداء البنت عليها، ويصدر الاعتداء من الأطفال الذين تعرضوا للافراط والتفريط من قبل الوالدين في اللين والشدة أو الاهمال والمتابعة الزائدة، فيكون عدوانهم رد فعل اتجاه عدم التوازن التربوي.

والعدوان البدني ظاهرة خطيرة ان لم تعالج في بداية الطريق، علاج الأسباب والمناشيء أو علاج النتائج والاثار، لانها تؤدّي إلى تجذر روح

---

(١) أسس الصحة النفسية: ٣٧٢.

العدوان واستحكامه في النفس وفي الواقع، وتطوره إلى عدوان على الاعراض والارواح ابتداءً باعاقة المارة في الطرقات أو قطع الطريق وخصوصاً في الطرق الخارجية، وقد يتطور العدوان كماً ونوعاً كما في عصابات الاحداث واستغلالهم من قبل الحركات الهدّامة لخلق الارهاب والخوف في صفوف المجتمع، وتزداد خطورة الظاهرة العدوانية في مرحلة المراهقة حيث الطاقة المتوقدّة والقدرة على التنفيذ بأسرع الأوقات.

ويرى «ج. ر. باك» انّ التغاضي عن الاعتداء بأشكاله الاولى سيعزز الميل إلى النزعة الاعتدائية، ويرى ايضاً: انّ مقدار التعبير عن الاعتداء يتناسب بصورة ايجابية مع مقدار الصرامة الواقعة على الطفل، ومع مقدار الحد من نشاطه، وعدم فسح المجال له لممارسة قدر كاف من اللعب[1].

والحدث في مرحلة المراهقة يمكنه الانفلات من أيّ سلطة واظهار عدوانيته على المجتمع الذي لم ينل منه طعم السعادة والهناء.

ويصل العدوان احياناً إلى حد القتل أو إلى الحد الذي يوجب القصاص، بعد سلسلة من الاعتداءات على الاخرين، وتشجيع من قبل عصابات الاحداث أو بعض الاشرار.

تعاطي المخدرات والمسكرات

أن تعاطي المخدرات والمسكرات من قبل الاحداث وخصوصاً في مرحلة المراهقة ناجم عن مسايرة الاباء المدمنين، حيث يترعرع الحدث وهو يرى الأب مخموراً أو يكلفه بخدمة أصدقائه في جلسات السكر أو تعاطي

(١) سايكولوجية الطفولة والمراهقة: ٩٩.

المخدرات، فينشأ غير متحرج من تعاطيها، لأنّه يصبح عرضة للانفتاح مع الاخرين في مثل هذه الممارسات.

ويرى بعض الباحثين: ان أفضل السبل للقضاء على انحراف الاحداث هو أن نلقط الاباء من الشوارع ليلاً[1].

فتعاطي المخدرات والمسكرات من قبل الاباء يؤدّي إلى انحراف الأبناء وجنوحهم إلى ذلك أو إلى غيره من ألوان وأنواع الجنوح.

يقول الشيخ محمد تقي فلسفي: «لقد انتشر شرب الخمر في كثير من دول العالم، وتكبلوا بهذا الداء الوبيل وأسراره، هذا السم الفاتك لا يكتفي بتوجيه ضربات قاسية إلى المدمنين عليه فقط، بل يتعداهم إلى اطفالهم البريئين ويجعلهم يرزحون تحت كابوس الأمراض والعوارض المختلفة، تترك الخمرة آثاراً سيئة على أجسام المدمنين عليها، ومن تأثيرها ايجاد اختلالات في خلايا المخ والأعصاب مما تجعلهم أناساً غير اعتياديين. ومما يبعث على الأسف إنّ هذا الاختلال ينقل إلى أولادهم،والنطف الحادثة من أناس مأسورين للخمرة تنتج أطفالاً منحرفين وغير اعتياديين في سلوكهم وتفكيرهم...»[2].

فأبناء المدمنين أسرع من غيرهم للجنوح، ويلعب الاهمال وعدم المراقبة دوراً في الجنوح نحو هذه العادة الرذيلة. فالطفل والحدث الذي يشعر بعدم المراقبة والاهمال قد يقع ضحية رفاق السوء أو بعض الكبار فينشأ في مثل هذه الأجواء ابتداءً بالتدخين في سن مبكر وانتهاءً بشرب الخمر أو تعاطي المخدرات، أو نقلها للبيع والشراء، ولا غرابة إذا وجدنا أن بعض العاملين بتهريب المخدرات هم من الأحداث.

---

(١) النظام التربوي في الاسلام: ٧٩.

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية ١: ٧٦.

وتعاطي المخدرات والمسكرات تكاد تكون معدومة في بلداننا الاسلامية وخصوصاً العربية منها، فقليل جداً من الأحداث يقومون بها، على العكس من أحداث المجتمعات والبلدان غير الاسلامية حيث تنتشر بينهم هذه الرذيلة تأثراً بالعادات والتقاليد المحيطة بهم.

الانحراف والشذوذ الجنسي

الانحراف والشذوذ الجنسي لدى الأحداث ظاهرة طبيعية في المجتمعات المتحلّلة من القيود والضوابط الدينية والإنسانية، وهو منتشر في المجتمعات التي ازدادت فيها فرص التهيج الجنسي كالصور والأفلام والكتب والمجلات والحفلات المختلطة.

والأحداث في أغلب الأحيان يحاكون الوالدين في ممارساتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فالأبناء الذين يشاهدون أحد الوالدين أوكلاهما له علاقات جنسية منحرفة أو شاذة، فإنّهم سينشؤون نشأة انحرافية محاكاة لوالديهم أو تحت تأثير الغير المرتبط مع والديهم بروابط غير مشروعة.

وقد دلّت الدراسات على انّ الانحلال الخلقي في الأُسرة يؤدّي إلى الانحراف الجنسي المبكر عند الأبناء، وقد يدفع النشاط الجنسي المبكر البنت إلى امتهان البغاء ويدفعها إلى ذلك ما تحصل عليه في سن مبكرة من هدايا أو مبالغ مالية من الشباب أو الكبار عندما تستسلم لهم جنسياً[1].

والانحراف أو الشذوذ الجنسي يأتي في مرحلة متأخرة من عمر الحدث في مرحلة الطفولة الوسطى أو المتأخرة، امّا في مرحلة الطفولة الاولى فانّ بعض

(١) الموسوعة النفسية الجنسية: ٨٩.

الممارسات غير المتكررة لا تعد جنوحاً، فالطفل ومن دافع حب الاستطلاع يقوم بتناول أعضائه التناسلية فيجد في أغلب الاحيان اللذة في ذلك.

وقد يشترك الأطفال في اللعب الجنسي قبل سن الروضة اي قبل سن السادسة أو الخامسة حيث يقوم أحد الأطفال بدور الأب أو العريس أو الطبيب، والاخر ـ وهي البنت ـ بدور الام أو العروسة أو المريض، والهدف من هذا اللعب هو الاهتمام بفحص أجسام بعضهم البعض وملاحظة الاختلاف بينهما واستعراض الاعضاء التناسلية[1].

وقد يمارس البعض الانحراف أوالشذوذ الجنسي عن طريق الصدفة أو بسبب حب الاستطلاع والتقليد، أو بسبب المشاهدة والملاحظة، وهي ظاهرة طبيعية في المراحل المتقدمة من العمر لأنّ الحدث في سن ما قبل الروضة أو المدرسة لا يدرك مفهوم الجنوح والانحراف والشذوذ.

وتصبح الظاهرة جنوحية حينما تتكرر وتعاد ممارستها بانتظام ويبقى الحدث مستمراً عليها في مراحل لاحقة من العمر، وهي بحاجة إلى علاج بعد وقوعها.

وغالباً ما يستمر الحدث على الانحراف أو الشذوذ بتأثير الاحداث الأكبر سناً أو بعض الكبار الشاذين جنسياً، وقد يستمر على هذاالعمل الجانح بحثاً عن الأمن والاستقرار والحنان والدفيء العاطفي كما دلّت بعض الدراسات.

وهذه الظاهرة الجنوحية ظاهرة خطرة ان بقيت ملازمة للحدث لأنّها تؤدّي إلى شيوع الرذيلة وإلى افساد العلاقات الاجتماعية، اضافة إلى تفكيك أواصر الاسر الاجتماعية، ولها دور كبير في اشاعة عدم الاستقرار في الحياة الإنسانية.

---

(١) علم نفس النمو: ١٩٩.

ويرى الشيخ الفلسفي: «ان الأطفال الذين لاقوا اثارات فاسدة لغرائزهم الجنسية قبل دور البلوغ على اثر انحراف البيئة التي عاشوا فيها يصابون بالعقد النفسية، والمشاكل الروحية، والانحرافات الخلقية العديدة بعد البلوغ»[1].

ظاهرة عصابات الأحداث

في عمر معين يميل الأحداث إلى التجمع وتشكيل نواد أو تأليف عصابات، وهذا العمر غالباً ما يكون ما بعد العاشرة أي في مرحلة الطفولة المتأخرة وبداية المراهقة.

وتتخذ العصابات اشكالاً مختلفة. فاحياناً تنتظم حول الفرق الرياضية، فيكون الملعب مقراً لها، وأحياناً يكون لها مقر خاص.

والعصائب أو العصابات قد ارتبطت في أذهان المجتمع بالجنوح والانحراف، ولكن الحقيقة ان العصابة مجرد تجمع قد تكون عصابة خير واستقامة أو عصابة شر وجنوح.

وفي جميع الأحوال فانّ الهدف الأساسي لتأليف العصابة أو الجماعات المنظمة هو اشباع روح المغامرة لدى الاحداث، فهم عموماً يميلون إلى الحركة والفعّالية الذهنية والبدنية ذات الحدّين الخير أو الشر.

والعصابات تتبع المجتمع في صلاحه وفساده وفي استقامته وانحرافه، وتتبع البيئة المحلية وخلفياتها التربوية، وفكرة الاحداث ونظرتهم إلى الكون والحياة والمجتمع، فتجد بعض العصابات من الأحداث المتحمسين للاصلاح والتغيير، وبعضها من الاحداث الذين يريدون الانتقام من المجتمع أو من

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ٢: ٢٩١.

السلطات القائمة.

والعصابات المنحرفة للأحداث الجانحين ظاهرة تقلق الوالدين والباحثين الأجتماعيين والمربين كثيراً ـ وخصوصاً في البلدان غير الاسلامية ـ لأنّ نسبة جنوحها واجرامها في تصاعد مستمر، وأسبابها كثيرة ومتعددة تظافرت على جعل الحدث بدون موجه ومربّي، فيتلقفه الشارع بشروره وانحرافاته، وقد دلّت الدراسات على ازدياد اجرام الاحداث في كل مكان تقريباً، فبلغ عدد المعتقلين في امريكا مثلاً مليون حدث، أحيل نصفهم إلى المحاكمة، وقد تبين للباحثين، أن نسبة اجرام الاحداث تزيد اربع مرات عن زيادة نسبتهم إلى مجموع السكان.

وأخطر أشكال اجرام الاحداث، هو هذه العصابات التي تتشكل في بلد من البلدان، ثم تنتقل بالعدوى إلى غيره، فهي موجودة في الولايات المتحدة وانگلترا وفرنسا والمانيا والسويد وروسيا واليونان والصين واليابان... وغيرها.

وهذه العصابات تنطلق إلى الشوارع بأعداد كبرى ثم تنقض على المارة والمتاجر أو على عصابات أُخرى. بأقسى أشكال العنف، وهذه معلومة بتفاصيلها في الدول غير الاسلامية، امّا في الدول الاسلامية وخصوصاً العربية منها فإنّها محدودة جداً في عددها وفي درجة جنوحها.

وقد اهتم علماء الاجرام بهذه الظاهرة، وتداعوا إلى مؤتمر، قام بالدعوة اليه معهد اليونيسكو في بافيرا «المانيا» عام ١٩٥٨، وكان شعار المؤتمر: «السلوك غير المألوف لبعض الشباب في المجتمع الحالي».

وقد درست هذه الظاهرة بروح واقعية علمية، بعيدة عن الاندفاعات العاطفية، وانتهى المؤتمرون إلى أنها: «شكل معاصر لازمة طبيعة الحدث... وأنّها لا تمسّ الّا عدداً قليلاً من الشباب».

ولكن الوقائع التي تلت هذا الرأي، لم تؤيده، لأنّ اعداد المجرمين

الأحداث ظلت في تزايد مستمر ومقلق.

والمتفق عليه أن هذه العصابات أخذت تشاهد منذ عام ١٩٥٥، وهي تندفع في طريق الملذات لأنّها تتكون عادة من فتيان وفتيات، رفعوا شعار المجون، وارتدوا ملابس شاذة الأشكال والألوان، أرفقوها بتصرفات مثيرة، وراحوا يتحلقون في الشوارع وتحت الجسور بشكل لا ينقصه التحدّي، وهم معروفون في فرانسا وبلجيكا باسم القمصان السوداء، وفي السويد، بالقمصان المذهبة، نسبة لوجود نسبة كبيرة فيهم من أبناء البرجوازيين.

وقد درس معهد جنائي بلجيكي حالة واحدة من هذه العصابات تتكون من أربعة وعشرين شخصاً، فتبيّن أنّ أعمارهم تتراوح بين ١٧، ٢٥ سنة، ويحاول هؤلاء المنحرفون أن يظهروا بمظهر الرجولة الكاذبة، فيسيرون في الشوارع دافعين أكتافهم إلى الخلف، لاظهار الميوعة في تصرفاتهم، وقد تبيّن أنّه يوجد بينهم عدد قليل من أولاد الأسر المحتشمة، أمّاأكثرهم فينتمون إلى الفئات المحرومة... وقد علل الذين درسوا هذه العصابة ظاهرة انحراف افرادها بالرغبة في الانعتاق والتحرر والشعور بالرجولة وتأثير رفاق السوء واضطراب الشخصية التي حرمت من العطف الأبوي، فشعرت بمركب النقص واستولى عليها الحقد والقلق، فاصيبت باندفاعية مفاجئة إلى العنف[١].

وقد أكدت بعض الدراسات على انّ الأولاد يرتكبون الانحرافات الخشنة التي فيها قدر من القسوة، امّاانحراف البنات فهو غالباً ما يكون جنسياً[٢].

وتبقى عصابات الاحداث أكثر خطورة من الممارسات الفردية الجانحة، لأنّها تمد الحدث بالقوة وتشجعه على الممارسة الجنوحية ما دام يرى غيره على شاكلته.

---

(١) دراسات معمّقة في الفقه الجنائي المقارن: ٣٤ـ٣٦.

(٢) حديث إلى الامهات: ٢٣٨.

الفصل الثاني

أسباب جنوح الأحداث

الأسباب الأساسية للجنوح

قال تعالى: ﴿والعصر إنّ الإنسان لفي خسر الّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر﴾[1].

الإنسان والمجتمع في تدهور واضطراب وخسران في جميع مقوّمات الحياة وميادينها، باستثناء من تكون المفاهيم والقيم الدينية هي الحاكمة على مسيرته وحركته، حيث تحرر الإنسان والمجتمع معاً من جميع العبوديات الفكرية والاجتماعية والمادية، وتزرع في الضمير والواقع الاستقرار والطمأنينة التي هي أساس الصحة النفسية والخلقية، وتدفع إلى العمل الايجابي البناء في اصلاح وتغيير النفس والمجتمع، والإيمان بالله تعالى وباحاطته التامة بالانسان في حركاته وسكناته، يجعل الضمير طامعاً في ثواب الله، وخائفاً من غضبه وعقابه، وهذه الحالة النفسية تحل محل الرقابة البشرية والخوف من عقوباتها.

وأثبتت حركة التاريخ وسننه المتتابعة انّ الابتعاد عن الدين فكراً وسلوكاً هو اساس جميع الوان الجنوح والانحراف الفردي والاجتماعي، ابتداءً بفقدان الصحة النفسية والروحية، وانتهاءً بالممارسات الجانحة في جميع مظاهرها، وجنوح الاحداث أثر من آثار الجنوح الاجتماعي والاسري بسبب الابتعاد عن المنهج الالهي في الحياة، ولهذا نجد انّ الجنوح يتزايد في المجتمعات غير الدينية

---

(١) سورة العصر: ١ ـ ٣.

التي لا تؤمن بمفاهيمه أو لا تتبناه منهجاً لها في الحياة.

قال تعالى: ﴿ ... فمن اتَّبع هُداي فلا يضلُّ ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ... ﴾[1].

والضنك هو الضيق في كل شيء، ومنه الضيق الحيوي والقلق الدنيوي، والمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي انزله على رسله واخرهم رسول الله محمد ﷺ، والاعراض يبعد القلب عن الهدوء، والنفس عن الطمأنينة، ويجعل الإنسان يعيش الانفلات من الرقابة الذاتيةفلا كابح لشهواته ورغباته، فيكون همّه اشباع الرغبات بأيّ طريق أمكن دون النظر إلى الاثار الوخيمة المترتبة على ذلك.

والاعراض عن ذكر الله له مصاديق عديدة، كالكفر، والشرك، والالحاد، واتخاذ المناهج الوضعية في الحياة، وجميع ذلك يجعل الإنسان يعيش في دوّامة من الصراع والضياع باضطراب العقل والقلب والارادة، وهذا الاضطراب هو اساس جميع أو أغلب المظاهر والممارسات الجنوحية وخصوصاً عند الاحداث تأثراً باسرهم ومجتمعاتهم.

ويلعب الإيمان السطحي الذي لا يتعدى القلب واللسان دوراً اساسياً في الانحراف عن المنهج المستقيم، لأنّه لا يؤثر في السلوكوالممارسة العملية، ولا يتحول إلى حقيقة حيّة فاعلة متحركة، ويكون المؤمن سطحياً عرضة للوقوع في توجيهات المناهج الوضعية والأرضية في جوانب الحياة المختلفة، لذا نرى ان بعض البلدان التي لم تتبن المنهج الالهي منهجاً لها في الحياة أكثر انحرافاً من غيرها وأقرب إلى البلدان الكافرة في انحرافها وجنوح احداثها، والواقع شاهد على ذلك.

---

(1) طه: ١٢٣ ـ ١٢٤.

يقول ويليام جيمس استاذ الفلسفة في جامعة هارفرد: إنّ أشدّ العقاقير تأثيراً في رفع القلق هو الإيمان بالله والاعتقاد الديني... انّ الإيمان هو أحد القوى البشرية التي يحيا الإنسان بمددها، وإنّ فقدانها الكامل يعني سقوط الإنسانية[1].

ومن أهم آثار عدم الإيمان بالله أو عدم اتخاذ منهجه في الحياة هي:

١ـ الاصابة بالقلق والاضطراب.

٢ـ انطلاق الغرائز والرغبات للاشباع.

٣ـ فقدان الوازع.

وهذه هي أساس الجنوح لدى الحدث والكبير معاً، وجميع الأسباب تبقى في الدرجة الثانية بعد فقدان الإيمان بالله تعالى وبمنهجه في الحياة.

وفي هذا الصدد قال الدكتور عطوف محمود ياسين: «حينما تغطي القيم الماديّة كافة مناحي المجتمع ومظاهر السلوك تتقهقر القيم الروحية وتتجمد المفاهيم الخلقية، وتصبح معايير العلاقات بين الافراد «المصالح المادية المحضة» ويتخذ السلوك شكلاً شرساً من الصراع الذي يولد عند الإنسان واحداً من الحلول التالية:

أ ـ الانسحاب الكامل للعزلة والانطواء.

ب ـ الانجراف الخضوعي والانهيار في التيار المادي، والاستسلام لكلّ ما فيه.

جـ ـ التمرد على الواقع بسلوك عدواني عن طريق الجريمة أو الانحراف أو العصاب، أو الذهان الفصامي بحجة اعادة التوازن»[2].

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ١: ٣٧١.

(٢) مدخل في علم النفس الاجتماعي: ٢٩٥.

شهادة الأرقام والاحصائيات

أثبت الواقع انّ البلدان غير الاسلامية أكثر انحرافاً من البلدان الاسلامية على مستوى الاحداث وغيرهم، فيترشح الانحراف من الكبار إلى الاحداث، ومن المجتمع إلى الافراد، ومرجعه إلى فقدان الإيمان بالمفاهيم والقيم الالهية أو عدم تحكيمها في الواقع.

وفيما يلي نستعرض بعض الاحصائيات التي تتحدث عن الجنوح عموماً وعن جنوح الاحداث وهو جزء لا يتجزأ من الجنوح الاجتماعي العام.

عدد الجرائم في أمريكا

جاء في تقرير «إدغار هوفر» رئيس منظمة التحقيقات الأمريكية (FBI) أن عدد الجرائم في أمريكا قد ازداد في عام ١٩٦٧ بنسبة ١٥/٣٪.

وقال: ان أرقام واحصائيات هذه الجرائم التي أخذت من ملفات الشرطة المحلية والشرطة الفدرالية تشير إلى انّه في عام ١٩٦٧ قد وقعت أكثر من ٣٨ مليون جريمة عنيفة في أمريكا.

وتنقسم هذه الجرائم إلى قسمين:

١ ـ القتل والسلب والاغتصاب والهجوم بالاسلحة.

٢ ـ سرقة الأموال بقوة السلاح.

وجاء في التقرير تأكيد بأنّ أكثر هذه الجرائم تمت بواسطة الأسلحة النارية، فقد حدثت ٧٦٠٠ جريمة قتل بالمسدس، و٥٢ ألف حالة هجوم واغتصاب، و٧٣ الف حادثة سرقة عام ١٩٦٧[1].

---

(١) الافكار والرغبات ١: ٢٩٩.

وفي نيويورك وحدها يوجد أكثر من ٣٠٠ ألف مدمن على المخدّرات، من بينهم ١٢٥ ألف مدمن على الهيروين. وهؤلاء يحتاجون يومياً إلى ٥٠ ـ ١٠٠ دولار لكل شخص لتأمين الهيروين لأنفسهم، والقسم الأعظم من الجرائم انما هي ترتكب من قبل المدمنين، كالهجوم المسلح والسطو على البيوت وسلب سائقي السيارات، وانّ احصاءات الجرائم في نيويورك تدل على أنّ الجرائم بلغت ٣٦٨ الف جريمة خلال العشرة اشهر الاولى من عام ١٩٧٢، من أمثال القتل، الاغتصاب، الهجوم المسلح[1].

وفي عام ١٩٩١ بلغ عدد جرائم القتل إلى ٢٤٠٠٢٠ جريمة وقد ازداد العدد في عام ١٩٩٢، وحسب الاحصاءات الأخيرة، فانّ الشرطة الامريكية لا تستطيع اكتشاف هوية مرتكبي أكثر من ٨٠٪ من الجرائم[2].

وفي احصائيات حديثة في السبعينات ورد: حدوث جريمة كل ثلاثين ثانية في نيويورك، وتتعرض تسع فتيات للاغتصاب والاختطاف من أصل كل اثنتي عشرة فتاة في بريطانيا، وان رجال الأمن تمكنوا من القبض على ١٣٪ من الجناة فقط، وان مجموعات من الشبان والفتيات ـ دون العشرين ـ يقفون يومياً أمام المحاكم بتهمة ارتكاب أبشع الجرائم، مثل حرق السيارات والاعتداء الخلقي والاغتصاب والنهب والقتل[3].

الجرائم في أمريكا اللاتينية

دلّت الاحصائيات على انّ أمريكا اللاتينية هي القارّة الأعنف في العالم،

---

(١) الأفكار والرغبات ١: ١٨٦.

(٢) مجلة نور الاسلام العدد: ٤٣ ص٩٦.

(٣) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد: ٢٨٢ ـ ذو القعدة ١٣٩٦ هـ ـ ص: ٤.

حيث تحدث ١٤٠ جريمة قتل لكل ١٠٠ ألف مواطن في السلفادور و٧٧ في كولومبيا و٢٥ في البرازيل، مقابل ١٢ في نيويورك و٦ إلى ٧ في اوروبا.

واشار لويس راتينوف إلى انّ تكاليف العنف في هذه البلدان مرتفعة جداً والشرطة لا تستطيع بسط سيطرتها الّا على مناطق صغيرة جداً... وان كولومبيا على سبيل المثال تستخدم ١٣٪ من مجمل الانتاج الوطني الخام لمكافحة الجريمة مقابل ٥، ٦٪ للولايات المتحدة، وهناك مليون اميركي في السجن يكلف الواحد منهم ٢٥ الف دولار سنوياً في المتوسط واشار إلى ان رئيس بلدية بوغوتاتمكن من خفض معدل الجريمة بعد ان وضع برنامجاً خفض فيه استهلاك الكحول وحمل السلاح[1].

احصائيات في التسعينات

تشير الاحصائيات إلى ٩٦٣ حالة اغتصاب في الولايات المتحدة، علماً أن الاباحية الجنسية منتشرة والسلوك الجنسي سهل الاشباع، وعن الاتجاه المتصاعد في عدد الجرائم، تحتل ايطاليا المرتبة الاولى عام ١٩٩٠ في لائحة من عشر دول أوروبية مع ارتفاع نسبة الجرائم فيها بنسبة ٨٢و ٢١٪، ثم تأتي اليونان بزيادة ١٩ و١٥٪، ثم البرتغال بزيادة ١٧ و٩٪ ثم فرنسا بزيادة ٩٣ و٦٪ وبلجيكا ٠٤و٥٪ واللوكسمبورغ ٠٩ و٤٪ وألمانيا ٢٢ و٤٪ واسبانيا ٠٦ و١٪ وهولندا ٤٥ و٠٪، مع العلم أن الدانمارك هي الدولة الوحيدة التي سجلت تراجعاً في حدوث الجريمة بنسبة ٠٣ و٢٪ لكنّها بقيت تحتل المرتبة الاولى بالنسبة لعدد الجرائم الحاصلة على ارضها بحيث بلغت ٧ و١٠٢ جريمة لكل ألف

(١) صحيفة كيهان العدد: ٣٨٩٥ـ ١٩٩٧/٣/٦.

شخص، وفي موسكو أعلنت وزارة الداخلية أن عدد الجرائم في روسيا زاد في خلال الربع الاول من العام ١٩٩٢ بنسبة ثلاثة اضعاف عمّا كانت عليه في العام ١٩٩١ وتنتشر هذه الزيادة بشكل خاص بين الاحداث.

ودلّت الاحصاءات على الجنح التي يرتكبها قاصرون في فرنسا، وفي سن تقل عن ١٣ سنة ارتفع من ٣٦ ألف جنحة عام ١٩٨٠ إلى ٤٨ ألف جنحة عام ١٩٨٧، وكانت هذه الجنح الجديدة أشد عدوانية وعنفاً وتفاقمت بالاغتصاب المنظم.

وفي دراسة جرى تقديمها لمؤتمر الامم المتحدة لمنع الجريمة عقد في القاهرة عام ١٩٩٥ تبين أن الولايات المتحدة تشهد أعلى معدل في الجرائم، وان تكلفة الجريمة فيها تصل في النهاية إلى ٢٠ × ٤٢٠ مليار دولار سنوياً.

وفي مجال جرائم القتل العائلية أفادت دراسة لوزارة العدل الأمريكية في ١٠ تموز ١٩٩٤ أنّ ٨٠٪ من ضحايا القتل في الولايات المتحدة قتلوا بأيدي أفراد من عائلاتهم، وحسب الدراسة يرتكب الأزواج ٤١٪ من جرائم القتل العائلية وهم يقتلون زوجاتهم بنسبة أكبر من قتل الزوجة للزوج[1].

وفي عام ١٩٩٥ أعلنت وزارة الداخلية البريطانية أن نسبة الجريمة في انكلترا وويلز ارتفعت للمرة الاولى في عامين، وكانت أكبر زيادة في جرائم العنف والاعتداء والاغتصاب.

وقالت وزارة الداخلية أنّ اجمالي الجرائم التي تمّ الابلاغ عنها ارتفعت بنسبة ٤ و ٠٪ في هذا العام حتى حزيران مقارنة بالعام ١٩٩٤[2].

(١) العنف والجريمة: ١٣ إلى ١٨.

(٢) مجلة نور الاسلام ـ العدد: ٦٥ ص٩٦.

قتل الأطفال وانتحارهم

جاء في دراسة نشرها مركز مراقبة الامراض والوقاية منها في اتلانتا بولاية جورجيا انّ الولايات المتحدة تتصدر الدول الصناعية في مستوى جرائم قتل الاطفال دون الخامسة عشرة وانتحارهم.

وأظهرت الدراسة انّ نسبة جرائم قتل الأطفال الاميركيين في العام ١٩٩٥ بلغت ٢٥٧ طفلاً بين كل مائة الف وهي نسبة تفوق خمسة أضعاف المتوسط الذي سجل في الدول الخمس والعشرين الأكثر تصنيعاً في العالم.

وقالت أن ١٩٩٥ جريمة من هذا النوع وقعت في ذلك العام بينها ١٤٦٤ جريمة في الولايات المتحدة وحدها.

وفي العام نفسه بلغت نسبة الانتحار بين الاطفال دون الخامسةعشرة في الولايات المتحدة ٥٥ بين كل مائة الف وهي نسبة تساوي ضعفي ما سجل في الدول المتقدمة الأُخرى.

وسجلت نسبة جرائم القتل بالأسلحة النارية لهذه الفئة من الأطفال في الولايات المتحدة ١٦٦ بين كل مائة الف.

وتتقدم الولايات المتحدة في هذه اللائحة على فنلندا وايرلندا الشمالية وكندا وبلجيكا والنرويج والنمسا وفرنسا وسويسرا[1].

المراهقون الامريكيون

قالت وكالة يونايتدبرس: ان دراسة فدرالية جديدة اظهرت انّ العديد من المراهقين الامريكيين يعيشون للحال ويعرضون أنفسهم لمخاطر الموت وهم شباب.

---

(١) كيهان العربي ـ العدد ٣٨٧٦ ـ ١٩٩٧/٢/١١.

ويقول الباحثون من (مركز منع الأمراض والسيطرة عليها) في اطلانطا في دراسة عن العادات الخطرة للشباب في امريكا انّه يمكن ارجاع حوالي ٣ أرباع حالات وفاة الاشخاص من اعمار ١٠ إلى ٢٤ سنة إلى أربعة اسباب: تحطم السيارات والحوادث المشابهة، القتل والانتحار.

وتقول احصائيةمن المركز نفسه: ان هذا يبين ان العديد من الشبان يمارسون تصرفات تعرضهم لمخاطر الاصابة بالجروح أو الموت، وتبين الدراسة التي تعكس ١٩٩٧ معلومة أخذت من أكثر من ١٦ الف طالب في الصف التاسع إلى الصف الثاني عشر انّ أكثر من ثلث طلاب المدارس الثانوية الامريكية قاموا بتدخين السجائر في الشهر الذي سبق اجراء الدراسة، ... وانّ ٣٧٪ منهم قد ركبوا في سيارات يقودها اشخاص سكارى، وان نسبة مماثلةمنهم قالوا انهم شربوا الخمر خمسة مرات أو أكثر في الشهر الماضي، وحوالي ١٧٪ منهم قالوا: انهم قادوا سيارات بعد ان شربوا الكحول، وقد كان عدد الطلاب البيض أو من اصل اسباني والذين شملتهم الدراسة ضعف عدد الطلاب السود الذين قادوا سيارات بعد شربهم الكحول.

كما اكتشف العلماء انّ واحداً من كل خمسة طلاب كان يحمل سلاحاً في الشهر الماضي، وان ٦٪ منهم قالوا: انهم حملوا مسدسات وبنادق، وعدد الطلاب السود ومن أصل اسباني الذين حملواالاسلحة كان ضعف عدد الطلاب البيض، وانّ حوالي ٣٧٪ من الطلاب في جميع ارجاء امريكا دخل في مشاجرة بدنية واحدة على الأقل خلال السنة الماضية وقد توجب على ١٤٪ منهم أن يتلقوا العلاج الطبي لمعالجة جروحهم.

كما اكتشفت الدراسة: انّ واحداً من كل خمسة قد فكر جدياً بالانتحار في السنة التي سبقت اجراء الدراسة، وبلغ عدد الفتيات اللاتي فكرن جدياً بالانتحار

ضعف عدد الفتيان تقريباً، وانّ ٨٪ من الطلاب حاولوا قتل انفسهم، وان حوالي ١٦٪ منهم استعملوا مواداً مخدرة. وان ما يقرب من ٤٪ منهم استعملوا الكوكايين في الشهر الماضي[1].

أطفال روسيا المشرّدون

في روسيا اليوم أكثر من ٥٠٠ ألف طفل يتيم أو مشرد يعيش ١٥٠ ألفاً منهم طوعاً أو مكرهين في دور غالباً مالا تحترم فيها حقوقهم على ما تلاحظ المنظمات الروسية للدفاع عن حقوق الإنسان.

ودلّت الدراسات على انّ هؤلاء يقعون ضحية المخدرات وفريسة الجريمة والبغاء في الشارع.

وتشير المنظمات إلى انّ الأطفال ينشأون في هذه الدور معزولين عن العالم الخارجي ولا يتلقون أي تأهيل مهني، وان ثلثي الذين يتركونها منهم لا يتمكنون تالياً من تحمل صعوبات الحياة في العالم الخارجي، ومن ١٥ الفاً يخرجون يمثل خمسة آلاف أمام المحاكم سنوياً لارتكابهم جنحاً، ويصير ثلاثة الاف مشردين من دون مسكن ثابت، في حين يجد (١٥٠٠) الحل في الانتحار وفق احصاءات رسمية يستشهد بها مركز الدراسات عن حقوق الإنسان في موسكو.

وهكذا يقع هؤلاء بسهولة فريسة المخدرات وإدمان الكحول، ويتجهون إلى الجريمة والبغاء، وفي الاحصاءات انّ ٥٥٪ من الأطفال المشردين في موسكو وعددهم ٥٠ الفاً سبق أن تعاطوا المخدّرات.

---

(١) الوفاق ـ العدد: ٣١٤ ـ ١٩٩٨/٨/٢٦.

ويقول بالاشوف أحد النواب الروس: لا نملك عملياً أيّة معلومات اذ انّ المراجع الرسمية المكلفة بالملف لا تتسق في ما بينها، بل هـي عـلى خـلاف، ويرى ان الأرقام الحقيقة المتعلقة بالأطفال المشردين تـوازي ضـعف الأرقـام الرسمية أو ضعفيها.

وأعلن بالاشوف ان برنامجاً بلدياً يلحظ اقامة عشرة مراكز لايواء الأطفال المشردين قبل نهاية ١٩٩٨، وخصصت لهذا المشروع موازنةمقدارها ٤١ مليار روبل أي ما يعادل ٦/٨ ملايين دولار[1].

أطفال الشوارع والمخدرات

أكّدت منظمة الصحة العالمية خـلال اجـتماع دولي خـصص لمكـافحة المخدرات، أن حوالي مائة مليون من أطفال الشوارع حديثي السـن يـتعاطون الخمر والمخدرات وأن وضعهم يدعو للقلق.

وأعلن الدكتور أندروبول أنّ تعاطي اطفال الشوارع المخدرات له جانب ايجابي على الأقل في البداية، فهي وسيلة للتكيف يستخدمهاالطفل كـي يـبقى متيقظاً في العمل ويقظاً إزاء تعرضه لأي سوء معاملة، وأيضاً كي ينام أو يـخفف من معاناته أو ينسى الجوع.

والأطفال يتناولون الخمور والقنب والأدوية المخدرة والصمغ والمذيبات والكوكا في المناطق التي تنتجها، وفي غواتيمالا هناك تسعة أطفال من عشـرة أدمنوا مذيبات الدهان والصمغ بخس الثمن.

وفي بلاد الأنديز وبخاصة بوليفيا وكولومبيا وبيرو ترتفع نسـبة الأطـفال

---

(١) كيهان العربي ـ العدد ٣٩٥٤ ـ ١٩٩٧/٦/٧.

الذين يدخنون سجائر تحتوي على مادة «باسوكو» الضارة المشتقة من الكوكا، وتحتوي أيضاً على كيروسين ومواد كيميائية أُخرى، والكثيرون منهم لم يتجاوزوا الثامنة من العمر.

وأوضحت منظمة الصحة العالمية أنّ هذه العادات قد تصحبها شرور كثيرة أو تؤدّي إليها، مثل الأزمات الصحية وسوء التغذية والدعارة والإيدز[1].

وكشفت دراسة نشرت في الصحف البريطانية أن عدد الصبية البريطانيين البالغين من العمر ١٥ و ١٦ عاماً والذين يتعاطون القنّب زاد إلى ثلاثة أمثاله في الأعوام الثلاثة الماضية، ويقول ثلثهم الآن: انهم دخنوا المخدر المحظور!

وشملت الدراسة التي قام بها باحثون من جامعة اكستر أكثر من ٤٨ ألف طفل تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٦ عاماً في مختلف أنحاء البلاد.

ووجد الباحثون أن ٩ و٣٢٪ من الصبية و ٣ و٢٧٪ من الفتيات، اعترفوا بانهم دخنوا القنب في عام ١٩٩٤.

وقالت هيئة الاذاعة البريطانية في بيان لها انّ احصائيات الدراسة بالمقارنة مع عام ١٩٩١ كانت بنسبة ٣ و ١١٪ من الصبية و ٩ و ٨٪ من الفتيات[2].

العلاقات الجنسية بين الأحداث في أمريكا

دبّ الخوف الشديد في العائلات نتيجة شيوع العلاقات الجنسية بين الشبان الصغار، وان هذه المسألة أصبحت من أحد المشاكل الداخلية في أمريكا بعد ازدياد استعمال المخدرات والتفرقة العنصرية، وأقلقت الاباء والامهات

---

(١) نور الاسلام ـ العدد ٥٣ و ٥٤ ص: ٩٣، كانون الاول ١٩٩٤.

(٢) نور الاسلام ـ العدد ٥٩ و ٦٠ ـ ص: ٨٧، كانون الأول ١٩٩٥.

والمسؤولين في المدارس والادارات الرسمية في الحكومة الأمريكية.

وقد دلّت الاحصائيات على أنّ عدداً كبيراً من فتيات تحت سن الخامسة عشرة تظهر عليهنّ آثار الحمل كل شهر، وبماأن الأطباء يخشون القيام باسقاط الجنين، لصغر ستهن، فإنهنّ يصبحن امهات، وواحدة من هذه الحالات، حالة فتاة في سن الثانية عشرة حملت من فتىً في سن الرابعة عشرة، وقد امتنع الأطباء من إسقاط جنينها فأقدمت على الانتحار.

ويزداد طلب اجراء عملية الاجهاض يوماً بعد يوم من المستوصفات الأمريكية[1].

وغالباً ما تطرح الطبقة السياسية الأمريكية من الجمهوريين والديمقراطيين على السواء مشكلة المراهقات الحوامل وخصوصاً في غمرة الحملة الانتخابية الحالية، وتشدد المعارضة الجمهورية على العبء الاجتماعي لهذه الظاهرة.

وذكرت الجمعية الطبية الامريكية انّ الولايات المتحدة تشهد أعلى نسبة حمل وولادة لدى المراهقات بين الدول المتطورة[2].

بريطانيا والانحراف الجنسي

دلّت الاحصائيات على استشراء الانحراف الجنسي في بريطانيا وازدياد الأطفال غير الشرعيين، ففي احصائية اقيمت سنة ١٩٨٥ دلّت على انّ طفلاً واحداً من بين كل ستة أطفال يولدون في عام ١٩٨٤ بصورةغير شرعية.

---

(١) الأفكار والرغبات ١: ١٨٠.

(٢) نور الاسلام ـ العدد ٦٥ و ٦٦ ـ ص: ٩٦ ـ كانون الثاني ١٩٩٧.

كما أنّ استفتاء لعدد من طالبات الدراسة الثانوية كشف أن ثلاثة أرباع هذا العدد لا يرغبن في الزواج، ويفضلن إشباع رغباتهن الجنسية دونما زواج.

وقد ارتفع عدد حالات الاغتصاب بنسبة ٢٧٪ خلال الستة شهور من سنة ١٩٨٥.

وتفيد المعلومات المستقاة من مسؤول في بيت الطفل الوطني أن واحداً من كل خمسة أطفال بريطانيين يتعرضون للاعتداء الجسدي والجنسي.

وفي دراسة واسعة اجريت من قبل مسؤول تربوي، اظهرت أنّ راشداً واحداً من بين كل (١٠) في المملكة المتحدة تعرض لاعتداء جنسي خلال طفولته.

كما كشف تقرير آخر أن (٩) فتيات من بين كل (١٢) فتاة تعرضت للاختطاف والاغتصاب[١].

ودلّت الاحصائيات الاخيرة على قبول الناس لفكرة الانجاب غير الشرعي للأطفال، وأكدت على أنّ ٣٤٪ من الأطفال الذين ولدوا أحياء في انكلترا وويلز عام ١٩٩٥ ولدوا سفاحاً دون زواج[٢].

استغلال الأحداث جنسياً

استناداً إلى مجموعة خبراء من برلين وبومباي وبروكسل واستانبول ركّزت المجلّات العالمية على هذه الظاهرة، وأشارت إلى أن حوالي ثلاث مئة صغيرة لم تتجاوز سن الخامسة عشرة تصطف على جانبي طريق تشيكي يطلق

---

(١) الاسلام دين البشرية: ٦٢.

(٢) نور الاسلام ـ العدد ٦٥ و ٦٦ ـ ص: ٩٦.

عليه (طريق الحب الرخيص) يتحدثن خليطاً من لغات عديدة: تشيكية، رومانية، بلغارية، مجرية، ألمانية، يبيعن شيئاً واحداً وهو الجنس، وتقول التقارير أنّ صغيرات السن قد اكرهنّ على هذا الرق الجنسي وتعرضن بعد الاغواء من قبل محتالين للاغتصاب والضرب والايذاء النفسي لاجبارهن على الاستسلام.

وتشير التقارير أيضاً إلى أنّه يتم بيع نحو سبع مئة قاصر سنوياً إلى بيوت الدعارة في بومباي، وان حوالي ٢٥ ألف فتاة في البرازيل يجبرن على ممارسة الدعارة في مخيمات التنجيم في مناطق الأمازون النائية.

وتقول السيدة «تمزالي» مديرة ادارة حقوق المرأة في منظمة اليونسكو في مؤتمر المنظمات النسائية في جنوب شرق آسيا الذي عقد في عام ١٩٩١: ان صناعة الجنس سوق ضخم يمتلك زخمه الخاص... وقد أصبح بيع الفتاةفي الرابعة عشرة من عمرها أمراً شائعاً وحدثاً لا يثير الانتباه.

وتحت عنوان «الاشكال الحديثة للعبودية» كشف تقرير، بعد تحقيق شمل نحو عشرين دولة ليرفع إلى لجنة الامم المتحدة لحقوق الإنسان المجتمعة حتى ١٩٩٦/٨/٣٠ في جنيف، عن وجود نصف مليون شابة يمارسن الدعارة في مدينة ساوباولو البرازيلية، كماكشف عن اطفال في البرازيل بين سن السابعة والثامنة يعيشون من ممارسةالدعارة.

وفي تقرير آخر يشير «مايكل سيريل» تحت عنوان «تدنيس الطفولة» إلى حالة ساندرا باتريشيا ابنة الحادية عشرة والتي تعمل منذ عامين عاهرة في العاصمة الكولومبية بوغوتا، وكانت قد هربت من عنف زوج امها إلى حياة الشوارع، ويضيف أن انفجار ظاهرة بغاء الأطفال المتستّر بخوف الزبائن من مرض الايدز، جعل موسكو تعاني وحدها من وجود أكثر من ألف من الأولاد

والفتيات الصغار يتاجرون ببيع أجسادهم.

ودلّ التقرير على وجود ثماني مئة الف من البغايا الأطفال في تايلند، وأربع مئة الف في الهند، ومئتان وخمسون ألف في البرازيل، وستون ألف في الفيليبين، كما ظهرت مراكز دولية جديدة لبغاء الأطفال في فيتنام وكمبوديا ولاوس والصين.

وفي تقرير «كينث كلوزن» أشار إلى ان أكثر من ٥٠٪ من البغايا الأطفال في تايلند مصابات بفيروس الآيدز[١].

ويقول رئيس شرطة الاداب في براغ الرائد «بيتر فوسولوب»: أصبحت الدعارة خارج نطاق السيطرة، وقد أصبحت براغ مركزاً للرذيلة التي تقدم غالبيتها فتيات في سنّ المراهقة تقل اعمار حوالي ٧٠٪ منهن عن ١٨ سنة، وتعرض البغايا أنفسهن حول ميدان فنسيلاس في براغ وفي شارع بيرلوفا الراقي في العاصمة.

وتقول الشرطة انّ الدعارة تزدهر في فنادق براغ الكبرى حيث يحصل البوابون وموظفوا الاستقبال على رسوم دخول من العاهرات، وانّ هنالك ما يتراوح بين ١٥ ألف و ٢٠ ألف فتاة هوى في براغ، وانّ هنالك غيرهنّ يشاركن في تجارة الرقيق الأبيض في ذروة الموسم السياحي[٢].

وأوضحت شابة أمام محكمة بريطانية أنّ الطائفة التي نشأت بين أبنائها قد استغلتها جنسياً منذ طفولتها، ولقد استغلت جسديا ونفسياً منذ كانت في الثالثة من عمرها، وانها اغتصبت من قبل ٢٥ شخصاً في بريطانيا والهند ولم تكن قد تجاوزت الاثني عشر سنة، وقالت: انها استسلمت للرجال لانها تخافهم ولانهم

(١) الطفولة المنحرفة: ١٠٦ـ١٠٨.

(٢) نور الاسلام ـ العدد ٤١، ٤٢ ـ ص٩٥.

كانوا يقولون لها انذاك: انّ هذه هي ارادة الرب، ولم تكن تدري أنهم يستغلونها جنسياً، بل اعتقدت أن ذلك شيء روتيني عادي[1].

التشجيع على الشذوذ الجنسي

في تموز عام ١٩٩٧ تظاهر نحو ٦٠ ألفاً من الشواذ جنسياً في شوارع لندن، على غرار ما يفعلون سنوياً للمطالبة بحقوقهم، ويتوقع أن يشارك ما بين ٢٥٠ ألفاً و ٣٠٠ ألف في الحفل السنوي الذي يقام في حديقة كلابهام كومون، ويلقي وزير الثقافة البريطاني كريس سميث الذي يجاهر بممارسة اللواط كلمة خلال الحفل ينقل فيها إلى المشاركين تأييد رئيس الوزراء العمالي توني بلير مطالبهم، كذلك يلقي النائب العمالي الشاذ سيتفن تويغ كلمة.

ولاحظ الناطق باسم منظمي الحفل انّ رئيس الوزراء أكدّ من جديد تعهده تأييد حقوق اللواطيين والسحاقيات واشار إلى انّ المشاركين في التظاهرة سيصفقون بدلاً من أن يطلقوا صيحات الاستنكار لدى مرورهم امام مقر رئيس الحكومة دلالة على امتنانهم لموقفه[2].

وجرى للمرة الأُولى في سويسرا حفل زواج لشابين شاذين جنسياً في كنيسة بروتستانتية بمنطقة برن، وقال القس كلاوس بوملين: انّه بادرة تعويض صغيرة حيال مثلي الجنس الذين رفضتهم الكنيسة ولاحقتهم طوال قرون.

ويشار إلى أنّ الدانمارك كانت أول بلد في العالم اعترف في العام ١٩٨٩ قانونياً بزواج مثلي الجنس، وفي ٨ شباط ١٩٩٥ دعا البرلمان الاوروبي في

---

(١) نور الاسلام ـ العدد ٦٣، ٦٤.

(٢) عالم غريب: ١٠٩.

قرار الدول الأعضاء إلى منحهم الحقوق والواجبات نفسها التي يتمتع بها الأزواج العاديون[1].

ارقام وشواهد من المجتمع العربي

بعد الغزو الفكري والعسكري الغربي للمجتمع العربي دبّ الانحراف والجنوح أكثر فأكثر بين الشباب وجميع قطعات المجتمع وخصوصاً في الأقطار المنفتحة على العالم الغربي والمتخلية عن تبني الاسلام أو الدين منهجاً لها في الحياة.

وحول هذا الواقع تشير تقارير النيابات العامة في لبنان إلى تعرّض الفتيات القاصرات للاغتصاب، إذ إنّه في العام ١٩٩٠ قدّمن ١٢٧ دعوى أو شكوى إلى النيابات العامة بتعرض فتيات قاصرات للاغتصاب بالقوة، وكذلك اغتصاب ٣٩ غلاماً قاصراً و١٦٢٥ امرأة متزوجة.

وفي العام ١٩٩١ سجلت ٢٣٥ شكوى لفتيات قاصرات تعرّضن للاغتصاب و٨٦ غلاماً قاصراً و١٧١١ امرأة متزوجة وفي العام ١٩٩٢ تقدمت ٤١١ فتاة ومعظمهن جامعيات شكاوى اغتصاب، وازداد العدد في السنوات اللاحقة، حتى وصل إلى ٢٤٢١ عملية اغتصاب تعرضت لها فتيات قاصرات وكذلك ٦١٢ غلاماً قاصراً تعرّضوا للاغتصاب و٣١٣٦ امرأة متزوجة.

ويلعب الوالدان احياناً الدور الأكبر والمباشر في دفع اطفالهم إلى الرذيلة كسباً للمال.

وأشارت مجلة الأمن اللبنانية إلى أنّ الأطفال الذين يعيشون على التشرد

---

(١) نور الاسلام ـ العدد ٥٩، ٦٠ ـ ص: ٨٦ ـ ١٩٩٥.

هم أيضاً مرشحون رئيسيون للاستغلال الجنسي، وصناعة الجنس ككل هي جزء لا يتجزأ من مشكلة اطفال الشوارع، وبغاء الاولاد أصبح الان أمراً عادياً مثل بغاء الفتيات(١).

وفي تقرير لصحيفة الأنوار روت مديرة مكتب الاتحاد لحماية الاحداث القصة التالية: طفلة في الثالثة عشرة من عمرها حملت طفلاً من زوج والدتها إذ كان يجامعها منذ العاشرة من عمرها بعد معاشرة شقيقتها التي تكبرها بثلاث سنوات بعد اعطائهن مواد مخدرة، وحينما علمت الوالدة بالأمر فضلت السكوت للحفاظ على زوجها ولم تقم بواجب الدفاع عن أبنتيها، بل حوّلت علاقتها معهن إلى علاقة غيرة ومنافسه، وعندما حملت الابنة وقفت الوالدة إلى جانب زوجها وأجبرت أبنتها على اختلاق شخص وهمي يكون والداً لطفلها، وهكذا نبذ المجتمع تلك القاصرة بسبب خطيئة كانت هي ضحيتها، وبعد الولادة سلخ الطفل عن والدته القاصر وجرى التخلص منه لإخفاء العار فرمي في الشارع، وهكذا هربت القاصر من منزلها للبحث عن طفلها المجهول المصير فوقعت ضحية المصير المجهول، حيث مدّ لها أحد أبناء السوء يد المساعدة فأوصلها إلى ممارسة الدعارة ومنها إلى سجن النساء بعد أن أوصدت المؤسسات الاجتماعية أبوابها في وجهها(٢).

وفيما يلي نستعرض الاحصاءات الرسمية في الكويت حول الانحراف

(١) الطفولة المنحرفة: ١٠٣، ١٠٥ عن:
المرأة اللبنانية في مواجهة الحرب والعنف: ٥٥.
صحيفة الأنوار: ٦، ١٩٩٧/٤/٢٤.
مجلة الأمن: ١٠٦، كانون الثاني ١٩٩٥.
(٢) الطفولة المنحرفة: ١٠٤، عن صحيفة الأنوار: ٧، ١٩٩٧/٦/٥.

والجنوح[1].

بلغ عدد الجنايات عام ١٩٦١ : ٥٨٧ جناية، وبلغ عـام ١٩٦٥ : ١٤٨٣، وعام ١٩٦٧ : ١٥٣١، وارتفع عام ١٩٨٠ إلى ٣٤٤٩.

وقد بلغ عدد النساء الجانيات : ٢٠٦ أي ٦ر٥٪، وبـلغ عـدد الاحـداث الجانحين ٣٤٤ حدثاً.

أما الجنح فبلغ عددها عام ١٩٦١ إلى ٢٥٦٨ جنحة، وفـي عـام ١٩٦٥ وصل العدد إلى ٣٢١٥، وارتفع عام ١٩٨٠ إلى ٨٣١٣.

وبلغ عدد النساء الجانحات ٧٤٤ أي ٩٪، وبلغ عدد الأحداث الجانحين ٥٤٧ حدثاً.

(١) دراسات معمقة: ٢٦.

الأسباب الثانوية للجنوح

تقدّم: أنّ الأسباب الأساسية للجنوح هي الابتعاد عن الدّين عقيدة وسلوكاً، لأنّه العاصم الوحيد من جميع ألوان ومظاهر الجنوح، وفي مقابله تصبح جميع الأسباب ثانوية مهما اشتدت وطأتها على الشخصية الإنسانية، لأنّها لا تعمل عملها ان كان الحدث متبنياً للدين منهجاً له في الحياة، ومطبقاً لتعاليمه وتوجيهاته في نفسه وفي محيطه الاجتماعي، فبالايمان يتعالى الإنسان ـ حدثاً كان أم كبيراً ـ على جميع اثقال الأرض وأهوال الحياة ومصائبها، وبالارتباط بالقيم الروحية يستصغر شأن كل المعوقات والمؤثرات المحيطة، بل تتحول الشدائد إلى متع ولذائذ إن آمن بالتعويض الالهي في يوم القيامة.

والأسباب التي سنتطرق إليها هي أسباب ثانوية قياساً بالسبب الأساسي، والّا فهي أسباب هامة لوحدها.

ويمكن تحديد أهم الأسباب الثانوية للجنوح بالنقاط التالية:

اولاً: الأسباب الذاتية أو الاصيلة.

ثانياً: الأسباب النفسية.

ثالثاً: الأسباب البيئية الأُسرية.

رابعاً: الأسباب البيئية الاجتماعية.

وقد تعمل بعض الأسباب عملها بمفردها، وقد تتضافر مع أسباب أُخرى، وكلّما كان سبب الجنوح محدوداً أمكن العلاج باسرع وقت، والّا فانّه سيتجذر ويتأصل ويصعب علاجه.

أولاً: الأسباب الذاتية أو الأصيلة

الأسباب الذاتية أو الأصيلة، أوقل الأسباب الحيوية لها دور كبير في كثير من مظاهر وألوان الجنوح وخصوصاً ان كانت البيئة الاسرية والاجتماعية غير ملائمة للنمو السليم المتوازن.

وهذه الأسباب تعمل عملها في خلق الأجواء الجانحة، لأنها غالباً ما تكون مرافقة وملازمة للانسان في جميع مراحل حياته، لا تنفك عنه من حيث وجودها وتأثيرها على اتزانه العاطفي والسلوكي، ومن هذه الأسباب:

الوراثة غير الصالحة

من الحقائق الثابتة ان الأبناء يرثون الوالدين في خصائصهم وصفاتهم الجسمية والعقلية والعاطفية، وكذلك يرثون أجدادهم في بعضها، ولهذا أكدّ رسول الله ﷺ على حسن الاختيار في الزواج، فقال: «تخيّروا لنطفكم فانّ العرق دساس»[1].

ومصطلح (العرق) يقابله في الاصطلاح المعاصر مصطلح الجينات genes، والتي تحملها الصبغيات (الكروموسومات) chromosomes التي

(١) المحجة البيضاء ٣: ٩٣.

تحتويها نواة الخلية الناجمة عن البويضة الانثوية ovum المخصبة من الحيوان المنوي الذكري sperm.

وتحذير رسول الله ﷺ من العرق الدساس ناظر إلى الصفات النفسية والروحية والخلقية التي تنتقل بالوراثة، أو يكون العامل الوراثي خالقاً للاستعداد في نفس الوليد للاتصاف بصفة من الصفات التي يحملها الوالدان أو الأجداد.

والوراثة تؤثر في النمو العقلي، والصحة العقلية والانفعالية، وتتوقف مكانة الإنسان في الحياة إلى حد كبير على كفاءاته التي تحددها الوراثة إلى حدّ بعيد، والمواقف والعقائد والقيم تتأثر بمكانة الإنسان في الحياة، وهكذا فإنّ الوراثة تؤثر ولو بصورة غير مباشرة في المواقف والعقائد والقيم[١].

والوراثة تحدّد مدى احتمالية اصابتنا بامراض دون أُخرى[٢].

وقد أثبت كثير من العلماء دور الوراثة في تحديد الصفات النفسية والروحية والعقلية للانسان، كوراثة الجنون، ومرض انفصام الشخصية، ويرى لوسين: انّ الطبع هو مجموعة الاستعدادات الوراثية التي تؤلف الهيكل النفسي للانسان[٣].

ويقول بيرون: ان ابني وهو منسوب اليّ، ولكنّي أرى أجداده الماضين ينازعوني هذا الملك العزيز لدي، فانهم يشوهون طهارة نفسه، ويكدرون صفاء روحه بما رسب في أعماقهم من نزعات شريرة مجهولة انتقلت اليه بالوراثة[٤].

---

(١) علم النفس التربوي: ٦٢، ٦٣.

(٢) علم النفس العام: ٩٤.

(٣) الشخصية واثر معاملة الوالدين في تكوينها: ٤٠.

(٤) النظام التربوي في الاسلام: ٥٧.

والوراثة تؤثر في تحديد جميع صفات الشخصية، حيث تخلق الاستعداد في النفس، فإذا وجدت البيئة المناسبة نمت وترعرعت بالاتجاه المناسب لها، والّا ذبلت واضمحلت.

والصفات التي يمكن توريثها هي باختصار[1]:

١ ـ الصفات الجسمية.

٢ ـ الصفات العقلية: كحدة الذكاء أو البلادة، والطباع النفسية والعقلية ايجابية أو سلبية، وصدق النظر في الميول والاهتمامات والاتجاهات.

٣ ـ الطباع والسجايا: كالاهتمام أو عدم المبالاة، والرعونة وحدة الطبع، وسرعة الاجابة أو الخمول والجمود، والاحساس أو تعب الأعصاب، والانشراح والاكتئاب.

٤ ـ الميل في أعضاء الجسد نحو القوة أو نحو الضعف.

٥ ـ وظائف الاعضاء الجسدية ونوعها.

٦ ـ المزاج العصبي.

٧ ـ غرابة الطبع وشواذ الحالات العصبية.

ويمثل الوراثة كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند الاخصاب، وتوضح دراسات الوراثة أن الامكانيات الكامنة ـ وليست السمات أو الخصائص ـ هي التي تورث، وتعتبر الوراثة عاملاً هاماً يؤثر في النمو من حيث صفاته ومظاهره، نوعه ومداه، زيادته ونقصانه، نضجه وقصوره، ويتوقف معدل النمو على وراثة خصائص النوع[2].

---

(١) سيكولوجية النمو والارتقاء: ٨١.

(٢) علم نفس النمو: ٣٥.

ومن خلال ما تقدّم نتوصل إلى انّ الحدث يتأثر بالجانب الوراثي الصالح أو الطالح على حد سواء، حيث انّ الصفات غير الصالحة تنتقل اليه أو تخلق الاستعداد للاتصاف بها، وهذا ما يؤكده الواقع.

ومن الأمثلة المساقة على ذلك دراسة عائلة كالليكاك حين كان جندياً في عهد الثورة الامريكية حيث اقترن مع فتاة ضعيفة العقل كانت خادمة في خان، ثم اقترن عن طريق زواج شرعي بفتاة مدنية ذات ذكاء سوي تزوجها بعد عودته من الحرب.

ففي السلسلة الناتجة عن زواجه الشرعي لوحظ انّ السواد الأعظم من نسله كان سوياً، ولا يوجد الّا صدف من ضعيف عقل أو مدمن للخمر أو شائن السلوك الجنسي، امّا في السلسلة الثانية التي نشأت عن علاقة كالليكاك بفتاة الخان فقد لوحظ عدد كبير جداً من ضعاف العقول ومدمني الخمر والمومسات والمجرمين، وكان هناك بعض الاسوياء، كماانّ مصير بعضهم ظل مجهولاً[1].

وقد أُجري عدد من الدراسات عن جنوح الاحداث وجرائم الكبار بين الصنوف التالية من التوائم:

١ ـ التوائم المتماثلين.

٢ ـ التوائم الاخوة من نفس الجنس.

٣ ـ التوائم الاخوة من جنسين متخالفين.

ويظهر تحليل عدد من الدراسات عن جرائم الكبار بين التوائم أن صنوف التوائم تختلف في نسبة الحالات التي إذاكان لتوأم سجل اجرامي، فإنّ توأمه

---

(١) علم النفس: ٢٦٤.

يكون له مثل هذا السجل وفقاً للجدول التالي:

صنوف التوائم	توأم واحد فقط	التوأمان معاً
توائم متماثلون	٣٣٪	٦٧٪
توائم إخوة من نفس الجنس	٦٥٪	٣٥٪
توائم اخوة من جنس مخالف	٩٠٪	١٠٪

ويتضح من هذا الجدول أنّه إذا كان توأم مماثل لتوأم آخر مجرماً ففي حالتين من ثلاث يكون توأمه مجرماً أيضاً، أما في حالة التوأم الاخوة من نفس الجنس فالحال على العكس تماماً. أمّا في حالة التوائم الاخوة من جنس مخالف فلا تزيد على حالة من عشر حالات، ويتضح أيضاً انّ الغالب انه يكون التوأمان المتماثلان جانحين كلاهما[1]

ومهما تعددت الاراء حول تفسير ظاهرة الوراثة وعلاقتها بالمحيط في أمثلة التوائم فانّ القدر المتيقن أو الثابت هو انّ الوراثة تخلق في الإنسان الاستعداد للاتصاف بصفة من الصفات النفسية أو العقلية والتي تؤثر على سيرة الإنسان أو الحدث السلوكية.

الطفرات والتشوهات الوراثية

تنتقل الخصائص الوراثية عن طريق المورثات (الجينات) التي تحملها الكروموسومات، وتتأثر المورثات نفسها بعدة عوامل منها: تفاعلها وتأثرها بعضها ببعض، وتفاعلها مع المواد التي تصل إليها من البيئة الخارجية التي تحيا فيها الخلية، وتفاعلها مع المادةالداخلية للخلية، وتفاعلها مع النتائج الكيميائية للمورثات الأخرى، وقد تؤدّي هذه العمليات إلى تغير في احدى المورثات

---

(١) علم النفس التربوي: ٥٤، ٥٥.

فتنشأ صفات وراثية جديدة.

وتتأثّر الجينات بالعوامل الخارجية مادية كانت أم روحية أم نفسية، فتتأثر بالأشعّة الاصطناعية التي تخلق بعض الطفرات الوراثية، وكذلك تتأثر ابتداءً بأوضاع المباشرة الجنسية بين الوالدين، وقد دلّت الروايات الشريفة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ على هذه النظرية، إلّا انّ العلم الحديث لم يبحث عن مثل هذه المظاهر لصعوبة اجراء التجارب على الإنسان ووجود المعوقات الاجتماعية والعرفية والدينية، وقد دل الواقع على صحة الروايات وان لم تبحث علمياً.

ونستعرض الروايات على هيئة جدول للزيادة في التوضيح:

أوضاع وأحوال المباشرة	الصفة الوراثية
بدون بسملة	يكون الوليد شرك شيطان
اول ليلة من الهلال	الخبل
ليلة النصف من الشهر القمري	الخبل
اخر ليلة من الشهر القمري	الخبل
ليلة عيد الفطر	كثير الشر
آخر الشهر اذا بقي منه يومان	عوناً للظالم
أول ساعة من الليل	يكون ساحراً مؤثراً الدنيا على الاخرة
بين الاذان والاقامة	يكون حريصاً على اهراق الدماء
بعد الاحتلام وقبل الغسل	الجنون
تخيل امرأة أُخرى	التخنث، الخبل
تحت شجرة مثمرة	جلّاد، قتّال

والصفة الوراثية الناجمة عن مثل هذه الأوضاع والأحوال تكون ملازمة للوليد وللحدث ولا تنفك عنه الاّ بابداء عناية تربوية واجتماعية استثنائية، وتوفير البيئة الصالحة أو خلق الأجواء المحيطة المناسبة للاستقامة النفسية والتوازن الانفعالي، والاّ فانها ستظهر أو تنمو وسط اي محيط اجتماعي يقرب من الانحراف والشذوذ.

وقد لوحظ بعض الاضطرابات الوراثية في الأشخاص الجانحين والمنحرفين، فقد وجد ان الذين يرتكبون جرائم عنف يمتازون بوجود كروموسوم ذكري اضافي اي XYY بدلاً من XY ويمتازون بالطول وقلة الذكاء.

وتناول ايلنجسون عينات بلغ عددها ١٥٠٠ منحرفاً كان من بينهم نسبة تتراوح ما بين ٣١ و ٥٨٪ ظهر في رسوم موجات المخ عندهم نوع من الشذوذ من أكثرها الموجات البطيئة، وبين المنحرفين المندفعين والعدوانيين كان الشذوذ في موجات المخ لا يشمل كل اجزائه، ولكنه كان محدداً في الفصوص الصدغية في النصف الكروي من المخ[1].

وقد وجد الباحثون انّ للغدد تأثيراً في السلوك، وترتبط وظيفة الغدد الصمّاء ارتباطاً وثيقاً بوظائف أجهزة الجسم المختلفة وخاصة الجهاز العصبي وبصفة أخص الجهاز العصبي الذاتي، ومعروف أنّ العمليات الفسيولوجية والنفسية تعتبر متغيرات يعتمد بعضها على بعض، وتلعب الغدد الصماء دوراً هاماً في وظائف الأعضاء وتؤثر عن هذا الطريق في السلوك والشخصية، انها تؤثر بشكل واضح في النشاط العام للفرد، وفي سرعة وشدة السلوك الانفعالي، وفي كم ونوع واستمرار السلوك الذي يختاره الفرد، انّ النضج الجنسي مثلاً يتدخل

(١) سيكولوجية الجنوح: ٤٠، ٤١.

في تحديد مدى التوافق الاجتماعي للمراهق، وتلعب الغدد الجنسية دوراً في ابراز الفروق بين الجنسين في الحجم وشكل الجسم والقوة العضلية ويستتبع ذلك فروق في التفاعل مع البيئة، ومعروف ان التوازن في افرازات الغدد يجعل من الفرد شخصاً سليماً نشطاً ويؤثر تأثيراً حسناً على سلوكه بصفة عامة.

وتؤدّي اضطرابات الغدد إلى المرض النفسي وردود الفعل السلوكية المرضية، كذلك يزيد اضطراب الغدد في حدّة السمات النفسية العادية للفرد، وبصفة عامة فانّ اضطرابات الغدد تحدث اضطراباً حيوياً وتشوهاً جسمياً ممّا يسبب الاضطرابات النفسية مثل احساس الفرد بالنقص والاحباط وعدم الأمن والشعور بالذات وتكون مفهوم الذات السالب، وينشط حيل الدفاع النفسي، ويسبب سوء التوافق النفسي والاجتماعي واضطراب الشخصية[1].

وهنالك عوامل أُخرى تؤثر في نمو الوليد والحدث، فالأطفال الذين يولدون من زوجين شابين يختلفون عن الاطفال الذين يولدون من زوجين جاوزا مرحلة الشباب إلى الشيخوخة، من حيث انّ الأزواج الشباب ينتجون اطفالاً أكثر حيوية واطول عمراً وأصح نفسياً من اولئك الذين يولدون لازواج قاربوا الشيخوخة، وكذلك فان المرض والحوادث التي قد تصيب الام الحامل أو الطفل قد تؤثر على النمو الجسمي والنمو العقلي، والفرد المريض بمرض مسعد كالدرن الرئوي مثلاً قد يعيش قلقاً مضطرباً وتضيق دائرة تفاعله الاجتماعي ممّا يؤثر على توافقه النفسي، وتؤثر الأمراض المزمنة في النموبصفةعامة والنمو الانفعالي بصفة خاصة، وقد يصاحب العاهات الجسمية كالعمى والصمم بعض الاضطرابات في الشخصية والتوافق العام، وهكذا نرى أنّ المرض قد يؤثر في

(١) علم نفس النمو: ٤٢.

سلوك الفرد بوجه عام، وتؤثر الانفعالات الحادة في نمو الطفل بصفة عامة لارتباط مظاهر النمو الانفعالي والنموّ الجسمي والفسيولوجي بصفة خاصة[1].

وذكر بعض الأطباء انّ الأطفال الّذين يولدون قبل أكثر من خمسة أسابيع من اكتمال فترة الحمل يصبحون اكثر عرضة لمواجهة صعوبات في القراءة، ومشكلات سلوكية في مرحلة المراهقة[2].

وقد دلّت الروايات الشريفة وبحوث العلماء على دور ادمان الأباء على الخمور في التأثير على الممارسات السلوكية للاحداث مستقبلاً.

ونتيجة للآثار الوخيمة التي يخلقها الاباء المدمنون على الخمر في أبنائهم حذّر رسول الله ﷺ من تزويج شارب الخمر، فقال: «شارب الخمر لا يزوّج اذا خطب»[3].

وقال الإمام جعفر الصادق ﷺ: «من زوّج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها»[4].

وتنسب إلى ديوجن هذه الكلمة حين التقى بابله: «يا فتى كان ابوك سكران حين حملت بك امك»، وكتب الطبيب الفرنسي Le Grand هذا القول: «أن أولاد السكيرين يشكلون متحفاً للأمراض، من سوء نمو الجهاز العظمي، ومن السل إلى الصرع إلى الهستيريا، ومن ضعف الملكات العقلية وانحلالها تماماً إلى ميول أخلاقيةفاسدة واستعداد عجيب للاجرام»[5].

ويقول الدكتور كاريل: «ان سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسي

(١) علم نفس النمو: ٤٨.

(٢) صحيفة الوفاق ـ العدد: ٥١٨ ـ ١٦/٥/١٩٩٩.

(٣) الكافي ٥: ٣٤٨.

(٤) الكافي ٥: ٣٤٧.

(٥) دراسات معمقة في الفقه الجنائي المقارن: ٣٤.

بينهما يعتبر جريمة عظيمة، لأنّ الأطفال الذين ينشأون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج»[1].

وفي جميع صور النقص العضوي أو التشوهات الوراثية جسدية كانت أم نفسية، فانّ الحدث قد يعوض عن نقصه بتقوية نواحي أخرى في شخصيته، أو يؤدّي به التعويض الزائد إلى الكبرياء والخروج على النظام، أو يتكون في حال الفشل مرض عصبي يخلص المرء من عملية الكفاح ويعفيه من لوم نفسه أو لوم الناس له كالشلل الهستيري[2].

وتكون ردود افعال الحدث اشدّ وطأة إن عاش في مجتمع لا يمنحه التقدير الاجتماعي المناسب، أو يقابله بالاساءة كالاستهزاء والسخرية.

الضعف العقلي

هو حالة نقص أو تخلف أو توقف أو عدم اكتمال النمو العقلي، يولد بها الفرد أو تحدث في سن مبكرة، نتيجة لعوامل وراثية أو مرضية أو بيئية تؤثر على الجهاز العصبي للفرد، ممّا يؤدّي إلى نقص الذكاء، وتتضح اثاره في ضعف مستوى اداء الفرد في المجالات التي ترتبط بالنضج والتعليم والتوافق النفسي والاجتماعي والمهني.

والضعف العقلي يمكن ارجاع معظم حالاته إلى اسباب:

١ ـ وراثية.

٢ ـ بيئية.

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية: ٧٨ عن كتاب: طريق الحياة: ٩١.

(٢) علم النفس، عبدالعزيز القوصي: ٣٥٦، ٣٥٧.

٣ ـ نفسية مساعدة يصاحبها ردّ فعل وظيفي فقط.

وتلعب الاسباب الوراثية الدور الاكبر في معظم حالات الضعف العقلي.

وضعف العقل درجات تتناسب مع نسبة الذكاء التي يمكن تحديدها بالمعادلة التالية.

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

مثال ذلك: حدث عمره الزمني ٨ سنوات وعمره العقلي ٤ سنوات أيّ ان مستوى تفكيره كمستوى حدث عمره ٤ سنوات، وعلى ضوء المعادلة تكون

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{٤}{٨} \times ١٠٠ = ٥٠$$

ونسبة الذكاء تقاس على الأشخاص من اعمار واحدة لكي تتوضح الفروق في الذكاء والضعف العقلي.

ويصنف الضعف العقلي على اساس نسبة الذكاء مقاساً باختبارات الذكاء ويشمل:

١ ـ المأفون Moron : وتتراوح نسبة ذكائه بين ٥١ ـ ٧٠ ويتراوح عمره العقلي في أقصاه بين ٧ ـ ١٠ سنوات.

ومن خصائصه العقلية أنّه غير قادر على متابعة الدراسة في فصول المدرسة العادية، الا انّه يكون قابلاً للتعليم ببطء وفي مدارس أو فصول خاصة، ومن الناحية الاجتماعية نجده على درجة معقولة نسبياً من التوافق الاجتماعي في شكل بسيط ويستطيع أن يحافظ على حياته، ومن الناحية الاقتصادية يستطيع أن يكسب عيشه من العمل في حرفة متواضعة بعد التدريب، وقد يظهر لديه بعض النقائص الجسمية والفسيولوجية الطفيفة.

٢ ـ الأبله imbecile: وتتراوح نسبة ذكائه بين ٢٦ ـ ٥٠، ويتراوح عمره

العقلي في اقصاه بين ٣ ـ ٧ سنوات.

ومن خصائصه العقلية أنّه غير قابل للتعليم، الاّ انّه قابل للتدريب على بعض المهارات التي تساعده على المحافظة على حياته، وهو لا يستطيع القيام بعمل مفيد، وبالتالي لا يستطيع أن يعول نفسه، ومن الناحية الاجتماعية نجده لا يستطيع التوافق الاجتماعي ويكون غير مسؤول اجتماعياً، ومن الناحية الانفعالية يلاحظ أن الانفعالات رتيبة وضحلة.

٣ ـ المعتوه Idiot: تقل نسبة ذكائه عن ٢٥ ولا يزيد عمره العقلي في أقصاه عن ٣ سنوات.

ومن خصائصه العقلية أنّه غير قابل للتعليم أو التدريب ولا يستطيع القراءة أو الكتابةمطلقاً، والتفكير يكاد يكون معدوماً، ومن الناحية الاجتماعية يكون غير مسؤول اجتماعياً، ويحتاج إلى رعاية كاملةواشراف مستمر طوال حياته كالأطفال الصغار تماماً، لأنّه لا يستطيع حماية حياته من الأخطار ولا يستطيع أن يكسب عيشه، ومن الناحية الانفعالية يكون ضحل الانفعالات تماماً[1].

وهذه الدرجات الثلاث هي أعلى درجات الضعف العقلي، وهي دائماً أقل من ٧٠، ثم يقترب الحدث من مستويات أرفع وارقى حسب المعادلة السابقة وكالتالي:

١ ـ الغبي من ٧٠ ـ ٨٥.

٢ ـ دون المتوسط من ٨٥ ـ ١٠٠.

٣ ـ متوسط الذكاء ١٠٠.

ثم يبدأ الذكاء والتفوق في التصاعد على ضوء المعادلة السابقة.

---

(١) علم نفس النمو: ٤٣٣.

ولضعف العقل دور كبير في الجنوح والانحراف لدى الاحداث أو غيرهم، وفي أغلب مظاهر الجنوح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

فقد العقل شقاء.

من لا عقل له لا ترتجيه.

من لم يكمل عقله لم تؤمن بوائقه.

من لم يكن له عقل يزينه لم ينبل.

لا مرض أضنى من قلة العقل[1].

الحمق شقاء.

الحمق أدوأ الداء.

اضرّ شيء الحمق.

بئس الداء الحمق.

السفه يجلب الشر[2].

الجهل معدن الشر.

الجهل فساد كل أمر.

الجهل أصل كل شر.

الجهل وبال[3].

الجهل يزل القدم ويورث الندم.

من جهل كثر عثاره.

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٥٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٧٦.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٧٣.

لا يرى الجاهل الّا مفرطاً[1].

ولقد كشفت الدراسات المتعلقة بالاحداث الجانحين ونزلاء السجون من المجرمين انّ معظم هؤلاء يتميزون بتدني مستوى الذكاء لديهم، ففي احدى الدراسات وجد ان ٨٠٪ من الأحداث الجانحين يقل ذكاؤهم عن المتوسط وان ٨٪ منهم من ضعاف العقول، بينما تبلغ نسبة ضعاف العقول من المجموع العام للسكان من ١ ـ ٢٪، وهكذا تؤيد هذه الدراسات ومعطياتها الحقيقة القائلة: ان الذكاء المتدني عامل هام من عوامل الاجرام، وتؤكد ما قاله أحد العلماء بهذا الصدد: «انّ الطفل الغبي لا يملك من البصيرة اللازمة التي تمكنه من الادراك بذاته ولذاته، وهو عاجز عن التذكر بانّ ما يغريه خسيس وانّ الخساسة خطأ»[2].

ويكثر ضعاف العقول بين الجانحين، فهم من ناحية عاجزون عن الضبط النزوي وعن الاشباع البديل أو التأجيل لحاجاتهم، وهم من ناحية أُخرى يعجزون عن مجابهة الظروف الصعبة والتحديات الحياتية فيلجأون إلى الحلول السهلة والاشباع المباشر عن طريق الانحراف، وهم من ناحية ثالثة معرضون كثيراً للوقوع ضحايا التغرير بهم من قبل كبار الجانحين واستغلالهم كأدوات تنفيذية لنشاطهم غير المشروع... ويظلون هكذا أدوات تنفيذ في حالة من الانقياد والتبعية لحين القبض عليهم.

فالحدث الغبي أو ضعيف العقل لا يدرك أبعاد بعض الأعمال والممارسات، ولا يفكر بعواقبها النفسية والاجتماعية، فتراه ينخدع بالمظاهر والملذات الوقتية، وينخدع بايحاء كبار الجانحين دون رويّة أو تفكير عقلائي،

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٧٥.

(٢) علم النفس التربوي ٢: ٤٥٣، للدكتور علي منصور.

ومن ملازمات الضعف العقلي عدم الحذر وعـدم الاحـتياط أو المـبالغة فـيهما وكلاهما يؤديان إلى الوقوع في حبائل الجنوح.

والضعف العقلي يؤدّي غالباً إلى عدم التمييز بين ماهو مهذّب وما هو غير ذلك، وعدم التمييز بين مناقب الاستقامة ومثالب الجنوح.

والذي يتمعن في دراسة تاريخ الامم والشعوب يجد أنّ الاستقامة تتناسب تناسباً طردياً مع قوة العقل والعكس صحيح، فالأنبياء والأولياء كانوا قـمة فـي العقل وقمة في الاستقامة والنزاهة في آن واحـد، فـي حـين كـان الكـثير مـن المنحرفين من ضعّاف العقول أو الأغبياء، وكل منّا لو نظر إلى الماضي القـريب ووجّه ذاكرته إلى المرحلة الابتدائية والمتوسطة لوجد الأمر في غاية الوضوح، ولصنف المستقيمين والمنحرفين من زملائه على اساس قـوة العـقل وضـعفه، والأمثلة والشواهد لا تحصى في هذا المجال.

وهنالك استثناء في بعض حالات الجـنوح فـي فـترات مـعينة وظـروف اجتماعية محددة، حيث تنفصل الملازمة بين الجنوح وضعف العقل أو انحطاط الذكاء، اذ تتطلب طائفة من الممارسات الجانحة ذكاءً عالياً وقدرة على التخطيط الناجح كبعض السرقات والعمليات الاجرامية كقطع الطريق والقتل والاغتصاب وتشويه السمعة وما شابه ذلك، حيث يكون سبب الجنوح غير ضعف العـقل أو قلة الذكاء، ويسمى الذكاء والدهاء المستخدم في عمليات وممارسات جنوحية بالشيطنة وهي أفضل التعابير عن ذلك، وخصوصاً فـي مـصطلحات الشـرائـع الدينية.

ويلحق بضعف العقل الجهل ـ كما تقدم في الأحاديث ـ حيث يكون له دور هام في الجنوح، لذا كان في مقدمة المظاهر التي أوجس رسـول الله ﷺ مـنها

خيفة على أُمّته، فقال: «ثلاث أخافهنّ على أُمّتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة ومضلّات الفتن وشهوة البطن والفرج»[1].

والضلالة هي قمة الجهل وعدم المعرفة، ولو اطبقت على الإنسان لجعلته أسيراً لأهوائه ونزواته سواء كان حدثاً أم كبيراً.

---

(١) الكافي ٢: ٧٩.

ثانياً: الأسباب النفسية

انّ للجنوح وللانحراف أسباباً نفسية ناشئة من عدم الاستقرار النفسي والروحي والعاطفي، وعدم التمتع بالهدوء والطمأنينة، حيث ينعكس على جميع مقومات الشخصية: العقل والقلب والارادة، ويثير مشاعر داخلية غامضة لا يستطيع الحدث التخلّص منها في أغلب الحالات، وتبقى حالة التردد والحيرة ملازمة له في سكناته وحركاته، وكلّما اشتد الصراع داخل النفس كلّما ازداد القلق والاضطراب وفقدان الطمأنينة، فيلتجأ أغلب الأحداث إلى اتخاذ بعض المواقف والممارسات التي تعيد له استقراره وطمأنينته وان كانت سراباً، وأغلب ما تكون المواقف والممارسات ذات صفة جنوحية تجاه الذات أو تجاه الاخرين، يخرج من خلالها عن المبادىء وقواعد السلوك التي يحددها المجتمع لافراده.

والسلوك الجنوحي يمر بمراحل أربع:

ـ مرحلة الرغبة المخففة، حيث تولد الفكرة الجنوحية وتنمو بغموض احياناً وبوضوح أحياناً أُخرى.

ـ مرحلة الرغبة الموضحّة، حيث يتأرجح الحدث بين الرغبة بالسلوك الجنوحي وبين الخوف منه.

ـ مرحلة اختيار التنفيذ.

ـ مرحلة التنفيذ، حيث يقدم على السلوك الجانح مع كل ما يحمله من قبح

واشمئزاز.

وفي جميع المراحل يعيش الحدث الصراع بين الاحجام والاقدام، وبين الانكماش والاندفاع، ومن أجل أن يتحرر من هذا الصراع النفسي يتخذ قراره من أجل الحصول على الاستقرار وانهاء الصراع النفسي.

ويتم التنفيذ للممارسة الجانحة بعد تحقق المراحل النفسية على التوالي:

١ ـ مرحلة الانانية.

٢ ـ مرحلة السقوط.

٣ ـ مرحلة الجنوح النفسي.

٤ ـ مرحلة اللامبالاة العاطفية.

وبعد أن تترسخ هذه الحالة، يصبح تكرار الممارسة الجنوحية أمراً سهلاً، ويرتقي به الحال لممارسات أشد وطأةً وأعنف مظهراً، وتتطور في كمها ونوعها ان لم يجد الاستقرار والطمأنينة بهذه الممارسة.

وفيما يلي نستعرض هذه الأسباب.

القلق

القلق ازمة نفسية يصاب بها الحدث كغيره نتيجة لخبرات مؤلمة، أو صدمات انفعالية، أو اضطراب في علاقته مع الاخرين، ومن اعراضه النفسية ترقب وقوع الاذى عليه، وفقد الثقةبالنفس، ولومها احياناً، والهروب من مواجهة المشاكل الواقعة في طريقه.

وجميع حالات القلق تجعل الحدث فاقداً للاستقرار والهدوء النفسي، فاقداً للطمأنينة، وتنتابه الهواجس من كل جانب.

والقلق هو حجر الزاوية في «كلّ نوع من أنواع السلوك السيكوباتي، إذ انّ وجوده يعني نذيراً بالخطر الذي يتهدد أمن الفرد وسلامته النفسية وتقديره لذاته كما يتهدّد احساسه بالسعادة والرضى، وهو أمر مصاحب للصراع، كما أنّه هو ذاته مرتبط بمصاحبات فسيولوجية»[1].

وترى هورني: ان الطفل القلق الذي ينعدم لديه الشعور بالامن ينمي أساليب مختلفة ليواجه بها ما يشعر به من عزلة وقلق، وبالتالي قد يصبح عدوانياً ينزع إلى الانتقام لنفسه من هؤلاء الذين نبذوه أو اساءوا معاملته، أو قد يصبح خاضعاً حتى يستعيد الحب الذي فقده، أو قد يكون لنفسه صورة مثالية ليعوض ما يشعر به من نقص، فاذا لم يستطع الحصول على الحب، فقد يلجأ إلى تحقيق القوة والسيطرة على الاخرين، وبهذه الطريقة يعوض احساسه بالعجز، ويجد منفذاً لعدوانيته، وهكذا يصبح لديه الميل للسيطرة والتنافس[2].

والقلق الاضافي الذي يرافق الحدث في مرحلة المراهقة هو قلق كبير وخصوصاً في المجتمعات التي تسيء التعامل مع المراهق ولا تعترف باستقلاليته أو حاجاته الاساسية، ويزداد القلق مع سوء المعاملة ومع الخوف من عدم القدرة على النضج.

وفي جميع الأحوال فانّ الجنوح لا يحدث بدون قلق نفسي مهما كانت منابعه؛ يجد الحدث فيه استقراره واطمئنانه، ويتنوع الجنوح بتنوع القلق، فقد ينهي بعض الاحداث قلقهم بالكذب واتهام الآخرين وقذفهم بالمنكرات، ويلتجأ اخرون إلى السرقة والاعتداء على أموال وممتلكات الآخرين، والبعض يلتجأ إلى الاعتداء على الأعراض لشفاء الغيض وانهاء القلق، وقد يكون باتخاذ

---

(١) سيكلوجية السلوك الانساني: ١٩.

(٢) أساليب دراسة الشخصية: ٤٣.

ممارسات انحرافية وشذوذ جنسي، وقد تلتجأ الفتاة إلى الارتماء باحضان الكبار للبحث عن الاستقرار والطمأنينة.

وقد يكون بالاعتداء على الاخرين بالضرب أو الجرح أو أحياناً إلى القتل.

ومن تتبع حياة الصالحين يجد هنالك ملازمة بين الصلاح والاستقرار النفسي وبين الجنوح والقلق النفسي.

الاحباط

الاحباط بابسط تعاريفه هو عرقلة السلوك المتجه نحو هدف، وعدم تحققه أو عدم اشباع الحاجات الاساسية، وبعبارة اخرى هو فشل الإنسان وعدم نجاحه في تحقيق اهدافه أو اشباع حاجاته الأساسية.

وقد أثبتت الدراسات انّ الفرد عندما يواجه باحباط يقف حائلاً امام اشباع حاجته، فانّ ذلك يؤدّي إلى التوتّر الذي يدفع بدوره الفرد إلى الاتجاه نحو سلوك يشبع هذه الحاجة لخفظ التوتر، وفي هذا الصدد قال والتركوفيل: انّ اشباع الحاجة أو عدم اشباعها يصاحبها دائماً استجابة انفعالية، فاذا اشبعت الحاجة كان الشعور المصاحب ساراً، وإذا لم تشبع يكون غير سار، وفي هذه الحالة وبمرور الوقت قد يصبح الانفعال نفسه مؤدياً لوظيفة الدافع وبالتالي يؤثر دينامياً في السلوك[1].

وأهم الحاجات النفسية للحدث الطفل هي:

١ ـ الحاجة إلى الأمن.

٢ ـ الحاجة إلى المحبة.

---

(١) سيكلوجية السلوك الانساني: ١٩.

٣ ـ الحاجة إلى التقدير.

٤ ـ الحاجة إلى الحرية.

٥ ـ الحاجة إلى سلطة ضابطة.

٦ ـ الحاجة إلى النجاح.

وأهم حاجات الحدث المراهق هي:

١ ـ الحاجة إلى المكانة.

٢ ـ الحاجة إلى الاستقلال.

٣ ـ الحاجة إلى المحبة.

٤ ـ الحاجة إلى فلسفة ومنهج حياة.

٥ ـ الحاجة إلى الجنس.

وقد دلّت التجارب الاجتماعية والدراسات الدينية والوضعية ان الحرمان من اشباع الحاجات الاساسية يشكل الدوافع والأسباب الحقيقة لكل انحراف وجنوح.

وأهم ما في الأمر ان الحاجات إذا لم تشبع، فان الحدث يشعر بعدم الراحة والتوتر ويحاول القيام بأعمال تعيد إلى نفسه وجسده اتزانهما الذي أخلت به الحاجة غير المقضية[1].

وقد يتحقق الاحباط بسبب الصراع بين الحاجات ودوافعها في آن واحد، وهنالك ثلاثة أنواع من الصراعات:

١ ـ صراع الاقدام ـ الاقدام:

ويسمى بصراع الاقتراب المزدوج، حيث يجب على الحدث أن يختار

---

(١) اصول علم النفس وتطبيقاته: ١٥٠.

بين هدفين أو حاجتين لهما جاذبية بالنسبة له.

٢ ـ صراع الأحجام ـ الأحجام:

ويسمى بصراع الابتعاد المزدوج، حيث يجب على الحدث أن يختار بين ضررين كالقيام بعمل كريه أو الافلاس.

٣ ـ صراع الاقدام ـ الأحجام:

ويسمى بصراع الاقتراب الابتعاد، حيث يجب على الفرد أن يقرر ما إذا كان يقترب من هدف سار يتضمن الوصول إليه تكبد مشاق كثيرة أو لا يقترب.

ومعظم الصراعات الهامة في شخصية الحدث هي عبارة عن التعارض بين دوافع تتصارع مع المعايير الاجتماعية والخلقية، ونظراً لان هذه الاحباطات والصراعات مؤلمة ومحملة بالتوتر فانها تدفع الفرد نحو افعال تعمل على تخفيف الضيق الناشيء حينئذٍ، وعندما يكون الاحباط أو الصراع شديداً ومستمراً فان الحدث قد يشعر بتهديد الذات وبالتالي يشعر بالقلق، ويدفع القلق والتوتر الفرد نحو الاستجابات الاساسية للعراك أو الهرب[1].

وقد دلّت التجارب النفسية على ضرورة التكيف لتخفيف التوتر الناجم عن الاحباط.

آليات التكيف

المهاجمة: وهي رد فعل انموذجي للاحباط، ويرى الكثيرون من علماء النفس ان الدافع للهجوم هو الاحباط.

وتقول كارن هورني: ان كبت كل المشاعر المعادية والهجومية أمر مضرّ

(١) سيكولوجية السلوك الانساني: ١٩.

من وجهة نظر الصحة النفسية، ذلك بأن هذا الكبت قد يقود إلى القلق والعصاب[١].

والهجوم لا يكون سافراً فالحدث الذي يخاصمه أبوه أو يضربه، فانه لا يقابل أباه بالمثل فيلتجا إلى مهاجمة غيره كاخيه أو حدث مثله، أو يلتجأ إلى سرقة حاجات ابيه أو الاضرار به بشكل أو بآخر.

التعويض

التعويض أحد وسائل علاج الصراع النفسي، وهو متصل بجهد الحدث للتخلص من الشعور بالضعة أو الاحباط، فيقوم ببعض الأعمال والممارسات يعوض من خلالها ما فقده في الواقع، فينمي أحد صفاته ليعوض عن احباطه، فقد يدفعه الفشل في الدراسة إلى النجاح في الرياضة أو الفن.

التصعيد

هو شكل من اشكال التعويض يستبدل الحدث فيه رغبة غير مقبولة اجتماعياً أو اخلاقياً برغبة مقبولة، فالمراهق مثلاً يصعد ميوله الجنسية ويستعيض عنها ـ مؤقتاً ـ بميول فنية أو رياضية أو غيرها.

التبرير

حينما يعجز الحدث عن اداء دوره، وانجاز عمله، أو اشباع حاجاته

---

(١) أصول علم النفس وتطبيقاته: ١٥٢.

ورغباته، ويفقد التبريرات المنطقية والواقعية لهذا العجز، فانه يلتجأ إلى التبرير المخالف للواقع، والتبرير ظاهرة يراد بها الاحتفاظ بالتقدير الذاتي، فالحدث الذي يفشل في الامتحان أو لا يحصل على الدرجة التي يريدها الوالدان، فانّه يبرر فشله بان المعلم ليس جيداً في التعليم، أو انّه يعادي الطلاب فيضع اسئلة صعبة وخارجة عن المنهج الدراسي.

والتبرير وان كان كذباً وخداعاً للذات وللآخرين إلّا انّه يخفف من المعاناة النفسية تخفيفاً جزئياً مؤقتاً. ومع هذا التخفيف يبقى الحدث في دوامة من الصراع النفسي ان بقيت معاناته دون حل ودون علاج.

الاضفاء

ويسمى الاسقاط، وهو آلية ينسب فيها الحدث أخطاءه إلى الأخرين ويسقطها عليهم، وينسب اليهم ما لم يفعلوه أو يشيع ما فعلوه لكي يتساوى مع غيره في الاحباط والفشل وفي الممارسات الخاطئة،وكثيراً ما يكون مصدر الاسقاط هو الشعور بالاثم، أو خوف الملامة من والديه أو المجتمع.

وظاهرة الاضفاء أو الاسقاط ظاهرة سلبية على الطفل وعلى المجتمع وهي أشبه بالمسكن المؤقت الذي يسكّن الألم ولكنّه لا يعالج المرض.

الكبت والقمع

يحاول بعض الاحداث كبت وقمع مشاعر الفشل والهزيمةوالاخفاق، أو مشاعر الاثم والذنب، من أجل ان لا تحدث الصراع النفسي، والكبت والقمع اسلوبان للتخلص من تأثيرات تلك المشاعر وما يتصل بها من افكار وتصورات،

أو التخلص من الرغبات غير المتحققة أو المستحيلة التحقق في الواقع من أجل أن لا تولد ضغطاً على صاحبها.

والفرق بين الكبت والقمع، هو انّ الكبت نسياناً لا شعورياً لذكريات الاخفاق أو عدم نيل رضى المجتمع، أمّا القمع فهو الاحتفاظ بصورة سرية بالمشاعر والأفكار المؤلمة، فهو يشعر بما يؤلمه ولكنّه يسكت عنه ويخفيه دون ذكر.

والكبت والقمع قد يعالج بعض المشاعر الناجمة عن الفشل والاخفاق والحرمان ولا يولد صراعاً نفسياً آنياً، ولكنه علاج وقتي، وله تأثيرات سلبية على الحدث بتقدمه في العمر حيث يسبب له التعقيد النفسي، وقد يظهر بممارسات جنوحية تتجذر في النفس وتمارس في أجوائها المناسبة.

التركز حول الذات

ان بعض الاحداث الذين لا يشعرون بالاطمئنان والرضى عن ذواتهم كثيراً ما يميلون إلى وضع انفسهم في مركز الانتباه، فيقوم الحدث بكثير من الألاعيب، ويحاول الظهور بمظهر الذكي، ويبدو معجباً بنفسه أشدّ الاعجاب، وبهذا التركيز يخفف من معاناته ومن الاحباطات المتكررة التي تواجهه.

السلبية

ان من آثار الاحباط والتثبيط القيام بممارسة السلبية في كل شيء، وتكون الكلمة المفضلة للحدث هي (لا)، فيعترض على كل شيء، ويرفض اي رأي واي فكرة، وموقفه سلبي في جميع الأحوال.

الانسحاب

الانسحاب هو الهروب من الواقع ومن الصعوبات والمشاكل والمعوقات، والانزواء عن المجتمع أوعن مجالات العمل والحركة والعلاقات، وقد يبدو لاول وهلة انّ الانسحاب لا يحتاج الّا إلى قليل من الطاقة، الّا انّه مؤلم، وقد يقود إلى احلام اليقظة غير الطبيعية، وقد يؤدي إلى تناول الكحول والادمان على المخدرات، أو ممارسة بعض الوان الجنوح كالعادة السرية وشبهها من الانحرافات الجنسية لدى الأطفال أو المراهقين على حد سواء.

النكوص

هو نوع من الانسحاب، يرجع إليه الحدث لمقاومة الاحباط والفشل الذي يمرّ به، وهو الرجوع إلى مستوى من النضج والتكيف اقل من مستواه الحالي وذلك للحفاظ على تماسك الشخصية ووحدتها. فالراشد العاجز عن حل المشكلات التي تواجهه قد يلجأ إلى تصرفات وممارسات طفولية وصبيانية، وكذلك الحال مع الحدث المراهق حيث يلجا إلى تصرفات وممارسات كان يقوم بها حين كان طفلاً صغيراً، وقد تكون هذه التصرفات والممارسات أقوالاً أو أفعالاً.

التكيّف العصابي والذهاني

ان آليات التكيف السابقة يلجأ إليها جميعها الاحداث الأسوياء بمقادير ودرجات متفاوتة استجابة لاحباطات الحياة المختلفة، وكلماكان الاحباط أكثر جدية زاد لجوء الحدث إلى أحد الآليات التي تخفف من توتره النفسي،

والاحداث العصابيون يلجأون إلى نفس آليات التكيف التي يلجأ إليها الأحداث الاسوياء ولكنهم يتجاوزون الحدود التي يصل إليها هؤلاء الأسوياء، ومن انواع التكيف العصابي هي الهستريا والوسواس، ومن أكثرها وطأة فصام الشخصية بأنواعه.

وألوان التكيف وآلياته تعتبر سلوكاً دفاعياً للوقاية من أخطار الاحباط أو منعها، وتسمى هذه الاليات أو الحيل الدفاعية بـ«الميكانيزمات العقلية أو ميكانيزمات الامان»[1] لأنّها تستخدم في تأمين الشخصية ضدّ مزيد من الأخطار، ولابد من الاحتفاظ بهذه الاليات والحيل الدفاعية حتى يحتفظ الحدث بالشعور بالأمن والطمأنية والاستقرار النفسي ولو مؤقتاً.

الجنوح بعد عجز آليات التكيّف

حينما تعجز اليات التكيف عن منح الحدث الاستقرار والأمن والهناء نتيجة لشدة الاحباط، فانه سيلتجأ شعورياً أو لا شعورياً إلى الجنوح، ويتخذ المظهر الجنوحي أو الممارسة الجنوحية التي يراها مناسبة لمواجهة الاحباط واثاره السلبية على العقل والقلب والارادة.

وأغلب مظاهر الجنوح الناجمة عن أسباب نفسية تكاد تكون عدوانية سواء على الأموال أو الأعراض أو الأرواح، وفي هذا الصدد يقول أنطونيني: «إنّ كل احباط يولّد توتراً عدوانياً،وشدة العدوانية تكون موازية ومتناسبة مع شدة الاحباط»[2].

---

(١) سيكولوجية السلوك الانساني: ٢٤.

(٢) العنف والجريمة: ٤٤.

وتزداد العدوانية مع نمو عناصر الاحباط، والعدوانية قد تكون باتجاه الحدث نفسه فيتولد عنها تدمير الذات بتعاطي المخدرات أو الكحول، وقد تكون باتجاه الاخرين فيتولد عنها تدمير المجتمع من خلال اعمال النهب أو الاغتصاب أو الجريمة، وقد اكدت الدراسات والاحصاءات لمؤسسات متخصصة في بلدان متقدمة على انّ الاغلبية الساحقة من المجرمين يأتون من بين الأشخاص الذين عاشوا طفولة غير سليمة تلقوا خلالها بعض انواع التعدي عليهم.

وأبطال الجرائم مهدّدون في أمنهم الذاتي وفي حياتهم ويعيشون مشاعر القلق والاحباط، اندفعوا إلى ممارسة فعلتهم تحقيقاً لحالة من الاشباع النفسي تؤمّن لهم، حسب تفسيرهم الخاص إذا لم ينكشفوا، ردّاعتبار لذواتهم المتأججة علها تستكين.

وعلى العموم انّ السلوك الاجرامي ينتمي إلى شخصية مريضة عانت من حرمان عاطفي حقيقي في فترة الطفولة[1].

تطبيقات واقعية

نستعرض بعض التطبيقات الواقعية لجنوح الاحداث والتي هي نتيجة طبيعية لحالات الاحباط والحرمان من اشباع الحاجات الأساسية.

كانت (...) بنتاً تبدو عليها البلادة، ليس في هيئتها ما يجذب، يلوح عليها سوء التغذية، واستعدادها العقلي وسيط، وقد تعودت أن تأخذ الأدوات من أدراج التلميذات وجيوبهن، وظهر من الأدلة أنها كانت تقترف ذلك منذ شهرين

---

(١) العنف والجريمة: ٤٤، ٤٨.

أو ثلاثة، وحين اقبلت على العيادة اندفعت تقول قبل البدء في مفاتحتها عن موضوع السرقة بأنّها لم تكن مذنبة، فاغفل الطبيب التعرض لموضوع السرقة وقتذاك، فبدأت تتحدث في طلاقة وغبطة عن حياتها المنزلية والمدرسية، وعن ميولها وعما تحب وما تكره ويقول طبيبها: وبذلنا جهدنا لتوثيق العلاقة مع هذه الطفلة وانتوينا الا نشير إلى ذنبها في الزيارة الاولى، لكنها حين كانت في طريقها لمغادرة حجرة الفحص، وقفت عن السير فجأة وقالت: «لا يحبنّي أحد، ولست ادري لماذا، فالبنات لا يملن إليّ، بل يعتدين عليّ بالضرب والكيد، لهذا لم أسرق الّا من اللواتي أغظنني وممّن لا أحبهنّ».

وهكذا كانت السرقة في هذه الحالة بالذات طريقة اتبعتها الطفلة لتأخذ بثأرها من غيرها، فلجأت إليها كرد فعل يقوم على الثورة والانتقام ممّن اعتدين عليها، فكانت تحطم أو تخفي ماتأخذه من الأشياء، الأمر الذي يبيّن أنّها رغم أنها لم تبلغ سوى السادسة من العمر كانت تدرك ادراكاً واضحاً معنى الأفعال التي ترتكبها، وهكذا كان الدافع إلى السرقة عند هذه الصغيرةهو الانتقام، لأنّ السرقة كثيراً ما تستخدم كطريقة لتسوية الحساب عن ظلم حقيقي أو وهمي يلحق بالحدث أو يخيل إليه أنّه لحق به[1].

وحالة الحدث (ص) وعمره ١٤ عاماً اعتاد الكذب حتى أصبح ظاهرة متجذرة ومتأصلة في كيانه، وكان يتصف بطلاقة اللسان، والمهارة في عرض القصص والمواقف الكاذبة، وكان يفتعل القصص ذات السمة الواقعية، التي يمكن تصديقها، أو بحاجة إلى وقت طويل لكشف زيفها وعدم صحتها، فكان يختار الغائبين أو المسافرين ليجعلهم ابطالاً لقصصه الكاذبة، ويختار أيضاً

(١) مشكلات الأطفال اليومية: ٢١٥.

المواقف التي يصعب التحقق منها لسريتها، فيتهم فلاناً بالانحراف الجنسي وانّ له علاقة مع فلانة، وقصصاً شبيهةَ بها، اضافة إلى مساهمته في خلق الفتن بين زملائه وبين الكبار أحياناً.

وعند دراسة حالته النفسية وجد انه كان محروماً من كثير من الحاجات النفسية والروحية، وكان عرضة للاعتداء عليه من قبل أبناء الأغنياء، ومن قبل أحد معلميه ومدير المدرسة الذين كانوا يحقرونه ويستهزؤون به، فاختار هؤلاء وبعض اقاربهم مرتعاً لبث أكاذيبه المتعلقة بتشويه سمعتهم والصاق التهم بهم، وقد توقفت اكاذيبه ضد البعض بعد ما غيّروا معاملتهم معه وعاملوه بتقدير واحترام خوفاً من أكاذيبه.

وحالة الحدث (ط) الذي انحدر من أسرة فقيرة تعمل أمّه خادمة في بيوت الأغنياء أو متوسطي الحال، وكان أبوه معوقاً غير قادر على العمل، وكان يراقب وضع أمّه وتصاغرها أمام ربات البيوت، وما تعانيه من عدم احترام وتقدير، وكان الأطفال يلقبونه بابن الخادمة ويستهزؤون به، بل ويعتدون عليه فلا يردّ العدوان خوفاً على عمل امّه، وكانت أمّه تواجهه بقسوة ارضاءً لذوي الأطفال المعتدين عليه، فكان يتحمل العدوان والاستهزاء، إلى ان وصل إلى الثالثة عشر من العمر فبدأ بسرقة تلك البيوت والاعتداء على اخوان واخوات من اعتدوا عليه سابقاً، اضافة إلى استغلال صغارهم جنسياً، وبث الاشاعات على الكبار منهم، وكان جنوحه مختصاً بمن اعتدى عليه في طفولته بالضرب أو بالاستهزاء، والمقربين اليهم.

وأجريت دراسات في امريكا حول بيئة الفتيات اللواتي يحملن سفاحاً، فتبين منها انّ الفتاة التي تنجب طفلاً غير شرعي، تأتي من بيئة قاسية في الغالب، وتكون ذات شخصية عصابية، ويكون الطفل بمثابة عرض لمرضها النفسي.

وقد وجد انّ أغلب الممارسين للاباحة الجنسية كانوا يعانون من الحرمان في عهد الطفولة، وبشكل خاص إلى حاجتهم إلى المحبّة[1].

وحالة حدث لم يتمتع بالمحبة والتقدير ولم تشبع حاجاته النفسية والروحية، فوقع أثناء تشرده على أحد رؤوساء العصابات الذي يتمتع بالقوة والسطوة، وقامت بينهما علاقات لواطية، وشعر الحدث بالحماية والحب والمكانة، ولم يكن انفصاله عنه بالأمر الهيّن، كان يعود إليه عندما يشعر بالحرمان، وكانت العلاقة اللواطية تشكل ملاذاً بالنسبة له في صراعه مع العالم المحيط[2].

ولوحظ أيضاً ان أكثر الاحداث ميلاً لممارسة العادة السريّة هم أكثر شقاءً وأكثر فراغاً، وأكثرهم عجزاً عن ملء فراغهم بانتاج يجلب احترامهم لأنفسهم واحترام غيرهم لهم[3].

---

(١) الشخصية واثر معاملة الوالدين في تكوينها: ١٤٠، ١٤١.

(٢) الأحداث الجانحون: ٢٩٩.

(٣) علم النفس التكويني: ٦٥٧.

ثالثاً: الأسباب البيئية الأُسرية

انّ الأُسرة هي إحدى العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي، وهي المؤسسة الاولى والأساسية من بين المؤسسات الاجتماعية المتعددة المسؤولة عن اعداد الحدث للدخول في الحياة الاجتماعية، حيث تشبع حاجاته المادية والنفسية والروحية، وتوفر له أجواء النمو السليم جسدياً وفكرياً وعاطفياً وسلوكياً.

والأُسرة مسؤولة بالدرجة الاولى عن النشأة والترعرع، وهي التي تحدد مساره السلوكي الأخير ان كانت التنشئة الاجتماعية خارجها ملائمة ومشابهة، والغالب في عاقبة الحدث انّ الأُسرة المنحرفة تؤدي إلى انحراف الاحداث أو جنوحهم وهذا ما اكدته التعاليم الدينية والدراسات النفسية والاجتماعية في الواقع.

وقد تجتمع الأسباب البيئية الاسرية لخلق مظاهر الجنوح، أو تقتصر على سبب واحد يكون بمفرده دخيلاً في ظاهرة جنوحية أو ظواهر جنوحية متعددة.

انحراف الوالدين

من الحقائق الثابتة في حقل التربية انّ الحدث يتاثر بالوالدين أو

بأحدهما، ويتلقى تربيته عن طريق المحاكاة والتلقين والقدوة، ففي بداية أو منتصف نشوئه يعمل ما يعمله والداه، والحدث يقلّد ما يراه، ويتشبه بالأشخاص الذين يعيشون معه، ويقتبس منهم افكاره وعواطفه وممارساته.

والحدث غالباً ما يتشبه بمن لهم سلطان روحي ونفسي عليه وبالدرجة الاولى والديه، فلا غرابة ان لا يشذ عنهما في سيرته الحياتية استقامة أو انحرافاً وجنوحاً.

ومن خلال الملاحظة المتكررة للأفعال والممارسات العملية تصبح لدى الحدث عادة تتناسب مع ما يمارسه الوالدان، والتكرار يقوي العادة ويسهل التأثر بها، ويجعل الحدث خاضعاً لانماط محدودة من الفعل قد لا يكون للعقل اثر فيها ولا لحرية الارادة، فالحدث الذي يرى والده أو والدته ترتكب عملاً أو اعمالاً معينة تتكرر أمامه، فانه من الطبيعي سيتاثر بها ويحاول تقليدها، فينشأ كوالديه، وهذا ما نشاهده في الواقع الاّ ما ندر، اضافة إلى ذلك فانّ المنحرف لا يتمتع بالحرص على استقامة غيره وان كان ابناً أو بنتاً له، لان فاقد الشيء لا يعطيه، وان فرضنا انّ احد الوالدين أراد أن يكون ولده صالحاً ومستقيماً ونبيلاً، فلا يتحقق له ذلك، والولد يراه ويشاهده منكباً على ارتكاب الأعمال والأفعال المنحرفة، فما لم يكن قدوة لا يستطيع أن يؤثر فيه، واضافة إلى الوالدين فانّ الولد الأصغر يتأثر باخلاق وممارسات الأكبر منه، وبالتالي فانّ انحراف الكبار يؤدي إلى انحراف الاحداث، فالحدث الذي يلاحظ كذب أحد والديه فانه سيتاثر بهذه العادة السيئةويشب عليها، وكذا الحال في السرقة، والغش، والاحتيال، والعدوان، وشرب الخمر، والاعتداء على الأعراض وما شابه ذلك.

والشواهد والقصص على ذلك لا تعد ولا تحصى، فالمنحرف الساقط في هوة الرذيلة لا يستطيع ابداً أن يربّي أولاداً شرفاء، فالأحداث الذين يتلقون

تربيتهم في اسر منحطة يكونون بلا شك عناصر خبيثة في المجتمع.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد تقي فلسفي: «ما أكثر الامهات اللائي يعوّدن أطفالهن على الصفات البذيئة والسلوك الأهوج منذ الصغر، فيظل الأطفال مأسورين لتلك الأخلاق والصفات طيلة أيام حياتهم.

وما أكثر الآباء المجرمين الذين يحتقرون التعاليم الدينية والعلمية، ويصطحبون اطفالهم إلى مجالس اللهو والعبث! ويرتكبون الأفعال القبيحة امام عيونهم الناافذة، وبذلك ينشأ الأطفال نشأة فاسدة، كما أن بعضهم يحملونهم على الاجرام بجسارة شديدة».

ويقول أيضاً: «قبل حوالي الخمسة عشر عاماً، وفي وقت متأخر من الليل كنت واقفاً في موقف الباص منتظراً مجيء السيارة، وكان هناك عدة من الأشخاص واقفين في الموقف أيضاً، وكان من بين الواقفين رجل أمسك بيده يد طفل لا يتجاوز السادسة من عمره، وكان في حالة غير اعتيادية، وأخيراً جلس على جانب الشارع واستفرغ، فسأل أحد الواقفين أباه: ما هو المرض الذي أُصيب به ابنك؟ فأجاب: إنّه ليس مريضاً لقد اصطحبته الليلة إلى جلسة عند بعض الاصدقاء، وهناك ناولته خمراً!»[1].

ويلعب ادمان الاباء على الخمور والتبذل أقبح دور في توجيه الاحداث نحو الفساد والجريمة، حتى قال أحد الباحثين: انّ افضل السبل للقضاء على انحراف الاحداث هو أن نلقط الاباء من الشوارع ليلاً.

والحدث يلتقط ما يراه ويسمعه ويحاول تقليده، وهو يتأثر بالسلوك العملي أكثر من تأثره بالكلام والألفاظ.

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ٢: ٧، ٨.

ولو تتبعنا المسيرة التربوية لرأينا انّ المنهج الاسلامي يحتاط كثيراً ويقيّد الوالدين بجملة من القيود تحرزاً من الانحراف والشذوذ الناجم عن المحاكاة والتقليد.

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح ابداً، ان كان غلاماً كان زانياً أو جارية كانت زانية»[1].

وتكون المباشرة المحرمة أشدّ خطراً ووطأة لأنّ الحدث لا يميز بين الخطأ والصواب.

والشواهد على ذلك عديدة منها: قصة أحد الاباء الشباب كان بائعاً للعطور والملابس النسائية وكان يصطحب بنته البالغة ست سنوات إلى محل البيع، فاذا جاءته فتاة سوء واتفق معها على المعصية، أمر ابنته لتقف في باب المحل لمنع الاخرين من الدخول إليه، وتبقى البنت في الباب بعضاً من الوقت، وابوها مع الفتاة في محل ومكان تبديل الملابس، فنشأت هذه البنت في ظل تلك الاجواء، وبالفعل اصبحت زانية كما هو متوقع من قبل افراد المجتمع، وكانت هذه البنت ضحية من ضحايا انحراف ابيها.

وقصة حدث كان يسرق بعض الاشياء فتسأله والدته هل رآك أحد؟ دون أن توبخه أو تحاسبه أو ترجع ما سرقه إلى أصحابه، فنشأ على هذه التربية وبقي على هذه الممارسة حتى الكبر.

وانحراف الوالدين أو احدهما يشكل حجر الاساس لانحراف وجنوح الاحداث، ما لم تتوفر اجواء استثنائية في المدرسة وفي داخل المجتمع لانقاذ الاحداث من التنشئة غير الصالحة.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ١٣٣.

للمنهج التربوي المتبنى في الأُسرة تأثير على مسيرة الاحداث السلوكية، فهو الذي يجعل الايمان والشعور الباطني به حركة سلوكية في الواقع، ويحوّل هذه الحركة إلى عادة ثابتة، فتبقى فيه الحركة السلوكية متفاعلة مع ما يحدّد لها من تعاليم وبرامج، ووحدة المنهج التربوي تؤدي إلى وحدة السلوك، فالمنهج الواحد هو المعيار والميزان الذي يوزن به السلوك من حيث الابتعاد أو الاقتراب من التعاليم والبرامج الموضوعة.

وفي أجواء التضارب في منهج التربية بين الوالدين يحدث الارباك والاضطراب في العلاقات القائمة بينهما أو علاقاتهما مع الأحداث، ويؤدي إلى عدم وضوح الضوابط والقواعد السلوكية للحدث، حيث تصدر إليه أوامر وتوجيهات وارشادات متناقضة، وتوجه إليه عقوبات متضادة، أو تتغير الأحكام حول السلوك الواحد بين التصحيح والتخطئة.

وفي أجواء التضارب والاختلاف والتناقض في المنهج التربوي أو في تطبيق تفاصيله في الواقع، يبقى الحدث في حيرة وقلق وارتباك، فيحاول إرضاء الوالد تارة والوالدة تارة أُخرى فيتبّع سلوكين في آن واحد، وهذا ما يؤدي إلى اضطرابه النفسي والعاطفي والسلوكي.

والحدث دائماً يراقب الممارسات السلوكية للوالدين المتعلقة بتربيته ويقارن بينها، ولهذا تختلط عليه الأمور في حال التضارب، ويصعب عليه الركون إلى تشخيص الصواب من عدمه، وتتولد في ضميره عواطف متناقضة تبعاً للتناقض في التعامل معه من حيث اللين والشدة، والحرية والاستبداد، واللامبالاة أو الرقابة الشديدة.

وفي جميع الأحوال فانّ محاولته لارضاء كلا الوالدين تؤدي به إلى التناقض وعدم الوحدة في شخصيته بين مقوماتها الثلاث: الفكر والعاطفة والسلوك، وبالتالي تضعف لديه القدرة على التكيف الجدّي مع نفسه ومع اسرته ومع المجتمع، ويشعر بانّه ليس كبقية الاحداث، وتنعدم فيه الثقة بالنفس، ويبقى يعيش في دوامة من الكآبة والقلق والتردد، وجميع ذلك يكون مقدمة للجنوح.

والتضارب في منهج التربية يؤدي إلى الخلافات الزوجية وفقدان الأمن والمحبة في الأُسرة، وهي احدى الأسباب المؤدية للجنوح بعد أن يبحث الحدث عن بيئة أكثر استقراراً وأمناً، فيقع فريسة لأهواء المنحرفين والمبتذلين.

وإذا نظرنا إلى الواقع لوجدنا انّ أبناء الاسر المتناقضة في منهجها التربوي أكثر عرضة للانحراف والجنوح من غيرهم لغياب الموازين الثابتة في التعامل مع النفس ومع الغير، وفي التعامل مع المفاهيم والقيم النظرية والواقعية، ويتوضح ذلك أكثر فأكثر في الاسر التي يختلف فيها الوالدان في الانتماء الديني والمذهبي والقومي، حيث تختلف الموازين والمعايير والعادات والتقاليد في القضية الواحدة أو القضايا المتعددة، فتختلف تبعاً لذلك اساليب التربية وقاية وعلاجاً وتنعكس على ضمير الحدث وعدم تحكمه في ممارساته السلوكية على نسق واحد ونمط واحد.

والتضارب في المنهج يعني ضعف الهيمنة الابوية، لأنّ الام غالباً هي أكثر من الأب بقاءً ومكوثاً في البيت واحتكاكاً مع الحدث، وبالتالي فيكون أكثر تأثراً بأُمّه من أبيه، وهذه ظاهرة خطرة في استقامة الحدث عندما تكون الام مسيطرة وهي أساس لبعض أو أغلب مظاهر الجنوح.

أُسلوب التربية الخاطىء

انّ للتربية الخاطئة دوراً كبيراً في خلق الأجواء المساعدة على الجنوح أو خلق الجنوح دون توسط أجواء مساعدة، ومن مصاديق التربية الخاطئة منهجاً واسلوباً هو الافراط والتفريط في التعامل بلا توازن ولا اعتدال، وكذلك في اشباع حاجاته الأساسية.

فالطفل بحاجة إلى المحبة، والتقدير، والحرية، وإلى سلطة ضابطة، وكلّ ذلك ضروري في توازنه النفسي والعاطفي، بشرط أن يكون الاشباع متوازناً بلا افراط ولا تفريط، لأنّ عدم التوازن بنفسه يؤدي إلى عدم التمييز بين السلوك المحبوب والسلوك المنبوذ، اضافة إلى الاضطراب الذي يحصل في شخصية الحدث نتيجة الحرمان أو الاشباع المفرط للحاجات الأساسية.

وقد أكدت التعاليم الدينية على عدم الافراط في الأُسلوب التربوي المتبع في المسيرة السلوكية.

قال الامام محمد الباقر عليه السلام: «شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الافراط»[1].

وسئل الامام موسى الكاظم عليه السلام عن كيفية التعامل مع الحدث في مرحلة الطفولة فقال: «لا تضربه واهجره... ولا تطل»[2].

وهكذا يمكن القول: انّ الافراط في اللين والتساهل، والافراط في الرعاية والحماية، والافراط في الشدة والقسوة والعقوبة، والافراط في الرقابة وعدمها، كلّ ذلك يشكل حجر الاساس للجنوح أو على الأقل يخلق الاضطراب العاطفي والنفسي والسلوكي في النفس والواقع، وجميعها مقدمة للجنوح أو

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٣: ١١٤.

الوقوع في براثن الانحراف.

ويرى علماء النفس أنّ الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته والرجل في مستقبله تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين، كتناقض اسلوب المعاملة من حيث التذبذب بين التسامح والشدة، والعنف واللين، والتدليل والاهمال، وتكون نتيجة هذه التورطات أمّاخلق روح العدوان والجنوح وبرود العاطفة والاحباط والوسواس من ناحية، أو المغالاة في الاعتماد على الغير والسلوك المدلل وضعف الشخصية من ناحية اخرى[1].

ولقد دلّت التجارب والمشاهدات النفسية والتربوية على أنّ الأطفال الذين يواجهون المحبة والرأفة الزائدتين ويستسلم لهم اباؤهم وأُمهاتهم بدون اي قيد أو شرط، ويستجيبون لجميع مطالبيهم من صالح أو طالح، وبالتالي ينشأون على الاستبداد والاعجاب بالنفس، فانهم يحملون أرواحاً ضعيفة ونفوساً سريعة الإنهزام، ويتأثرون من دور الطفولة حتى آخر لحظة من العمر من مواجهة أبسط الأشياء، وأخف المصائب، وينكسرون أمام مشاكل الحياة بسرعة.

والأحداث الذين لاقوا محبة مفرطة من والديهم، فانّهم يتوقعون أن تقع افعالهم وأقوالهم دائماً موقع الاستحسان والاحترام في الأُسرة والمجتمع، لأنهم نشأوا على ذلك، انهم يريدون أن يمجدهم الناس ويقدروهم لاعمال حسنة لم يفعلوها، أو أفعال سيئة قاموا بها، وهذا التوقع إنْ لم يتحقق في الواقع، فانّ الانكسار سيصيب الحدث المعجب بنفسه عندما يجد عدم اعتناء الناس ونظرتهم السيئة إليه، وبالتالي يؤدي به إلى الدناءة والاحساس بالحقارة، ويتألم في باطنه من تحقير الناس بشدة، وبالتالي إمّا أن يصاب بداء روحي، وامّا أن

(١) أضواء على النفس البشرية: ١٠٣.

يقدم على الجرائم والاعمال الشنيعة[1].

ومن الممارسات الملازمة لافراط المحبة والدلال هي الافراط في اللـين والتساهل والحماية، وعدم التدخل في شؤون الحدث ولعبه وحركاته، وتوفير كل مطاليبه الضرورية وغير الضرورية، وأخطر ألوان التساهل هو التساهل في الأُمور التي يخالف فيها الحدث موازين السلوك وقواعد الاخلاق، وتركه دون محاسبة بالقول أو بالفعل.

فالإفراط في المحبّة ولوازمها يجعل الحدث محتاجاً لوالديه فـي جـميع المواقف التي تواجهه وتستمر هذه الحالة معه حتى في كبره، ويتأخر النـضوج العاطفي لديه، وتطول (فترة الطفولة لدية)[2].

ومن الأخطاء التربوية الافراط في القسوة وفي العـقاب، لأنّ الافـراط لا يجعل الحدث مطيعاً للاوامر أو التوجيهات، ولا يمنعه مـن المـمارسات الغـير مقبولة اجتماعياً، فاذا كان الحدث بحاجة إلى سـلطة ضـاغطة أو مـوجهة، أو بحاجة إلى الردع والعقاب لتقويمه وتوجيهه، فانّ الافراط في ذلك سيؤدي إلى نتائج عكسية.

والافراط مذموم في جـميع مـصاديقه ومـجالاته، فـي اسـتعمال اللـوم والمحاسبة القولية أو العتاب أو العقاب البدني والنـفسي، أو اي لون مـن ألوان القسوة.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «الافراط في الملامة يشبّ نيران اللجاج»[3].

والافراط في القسوة يوقع الحدث فـي دوامـة مـن الاضـطراب النـفسي

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ٢: ٢٠٠.

(٢) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ٥٣٥.

(٣) تحف العقول: ٨٤.

والعاطفي، وخصوصاً تلك القسوة النابعة من رغبة الوالدين أو أحدهما في صبّ غضبه على الحدث دون أيّ مبرر تربوي، لأنّ بعض الممارسات تحتاج إلى توجيه وارشاد بلا حاجة إلى استخدام القوة او العقاب، امّا لعدم ادراك الحدث لخطئها أو عدم تعمده لارتكابها.

والقسوة المفرطة في العتاب والذم والعقوبة تجعل الحدث يشعر بعدم المحبوبية والمرغوبية، فاذا تكررت واستمرت استمر معه هذا الشعور، وهو بنفسه مضر للصحة النفسية والعاطفية، وقد تكون ردود الافعال هي الوقوع في براثن الجنوح، كاللجوء إلى سرقة الوالدين انتقاماً لا شعورياً من القسوة أو اللوم الافراطي، أو محاولة الهرب من البيت والبحث عن أجواء لا قسوة فيها فيلتجأ إلى عصابات الاحداث أو يقع فريسة لأهواء الكبار المنحرفين، أو تتولد لدى الحدث الروح العدوانية تجاه الوالدين أو المجتمع بأسره، واضافة إلى ذلك فانّ بعض الاحداث يحاولون تشويه سمعة والديهم باسلوب ممارسة الجنوح، وان كان الدافع لا شعورياً، والقسوة تدفعه إلى التمرد على جميع المفاهيم والقيم التي يؤمن بها الوالدان.

وهكذا فالافراط في المحبة والدلال والافراط في القسوة والعقاب تؤدي إلى عدم التوازن النفسي والانفعالي، وخلق الاضطراب في شخصية الحدث وايقاعه في حبائل الجنوح والانحراف.

ومن الأخطاء التربوية التذبذب والتقلب في المعاملة بين اللين والشدة أو القبول والرفض، وهي من أشد الامور خطراً على اخلاقه وصحته النفسية، فاذا به يثاب على العمل مرة، ويعاقب عليه هو نفسه مرة اخرى، يعاقب على الكذب مرة ولا يعاقب عليه مرة اخرى، ويجاب إلى مطالبه المشروعة مرّة، ويحرم منها مرّة اخرى دون سبب معقول، يعاقب إن اختلس شيئاً من المنزل ويشجع ان

اختلس شيئاً من الخارج، وهذا التذبذب في المعاملة يجعل الطفل في حالة دائمة من القلق والحيرة، ولا يعينه على تكوين فكرة ثابتة عن سلوكه وخلقه، كما انّه يهز ثقته بوالديه ولا يدري إن عمل عملاً أيثاب عليه أو يعاقب من أجله، وقد يفضي به ذلك إلى اصطناع النفاق والكذب والختل وأن يكون ذا وجهين، ولقد ظهر أنّ الشدة المعقولة الثابتة أهون شراً من هذا التذبذب[1].

وفي جميع الظروف والأحوال فإنّ اسلوب التربية الخاطىء يودي إلى الجنوح وان كان الوالدان مثاليين في الاخلاق والاستقامة السلوكية.

موقع الحدث في الأُسرة

لوحظ أنّ الطفل الأكبر أكثر وروداً على العيادات النفسية من سائر اخوته وأخواته، وربما كان مرجع هذا الى:

١ ـ قلة خبرة الوالدين بتربية الأطفال.

٢ ـ تلهفهما عليه وحمايته أكثر ممّا يجب.

٣ ـ أو انهما حديثا عهد بالزواج ولم يستعدا بعد استعداداً كافياً لهذا التغيير الطارىء على نظام الأُسرة.

٤ ـ بقاء الطفل وحيداً عدة سنوات يحرمه من فوائد الزمالة والتنافس والأخذ والعطاء مع اطفال يقاربونه في السن.

٥ ـ ما يحس به الطفل الأكبر من مرارة الغيرة حين ترزق الأُسرة بمولود ثان يغتصب منه ما كان ينعم به من عطف ورعاية.

ومن خصائص الطفل الوحيد هي العناد والانطواء والحساسية المرهفة

---

(١) أصول علم النفس: ٦١٠.

وفرط الاعتماد على والديه.

وقد لوحظ أنّ الطفل الاخير يكون في العادة عرضة للتراخي في المعاملة أو الاهمال، لانه قد يولد يوم لا يعود الأطفال في نظر الأُسرة شيئاً طريفاً أو مستحباً، فاذا به في عين الأب فم جديد ومصدر ازعاج جديد، وفي نظر الأم حمل لا مفر منه، وفي نظر الاخوة هدف جديد للمشاكسة والاضطهاد، ممّا يفقده الشعور بالأمن أو يبث في نفسه الشعور بالنقص حين يقارن نفسه باخوته أو اخواته الكبار ومايحظون به من قوة او امتيازات.

وقد قام فريق من علماء النفس بدراسة وافية لمعرفة ما يترتب على مركز الطفل في الأُسرة من آثار في شخصيته فوجدوا:

١ ـ أنّ مركز الطفل ليس الّا عاملاً من عوامل عدة تؤثر في شخصيته.

٢ ـ أنّ مركز الطفل قد يكون ميزة له أو كارثة عليه، أو لا أهمية له، والأمر كله مرهون بموقف الوالدين منه، والجو العام الذي يسود الأُسرة.

٣ ـ وأنّ نفس المشاكل السلوكية تعرض للأطفال في كل مركز يحتلونه وبنفس النسبة[1].

ومن خلال الملاحظة الميدانية لعدد من الأسر وجد أنّ الطفل الأكبر والطفل الأصغر يختلفان في بعض الخصائص والممارسات السلوكية، وكلّ ذلك مرجعه إلى اختلاف معاملة الوالدين لهما تبعاً للخبرة وللاوضاع النفسية التي يعيشونها، وهذه ليست قاعدة عامة في جميع الأسر، لأنّ بعض الاسر تحافظ على حيويتها وقدرتها على اتقان أساليب التربية وطرق التعامل مع الأطفال في جميع المراحل الزمانية المعاشة دون تمييز أو اختلاف بين طفل وآخر.

---

(١) أُصول علم النفس: ٥٣٢، ٥٣٤.

من الحقائق الثابتة في سيرة الاسر انّ الطفل الأول فيها يكون موضع حبّ وحنان وعناية من قبل والديه لانه الطفل الأول والوحيد، فيمنح الاهتمام الزائد، والرأفة الزائدة، وتلبى كثيراً من حاجاته المادية والنفسية، فنجد الوالدين يسعيان إلى ارضائه بمختلف الوسائل ويوفّران له ما يحتاجه من ملابس وألعاب وغير ذلك من الحاجات، ويكون مصاحباً لوالديه في أغلب الأوقات، وبعبارةاخرى يلقى دلالاً واهتماماً استثنائياً، ومثل هذا الطفل وبهذه العناية والاهتمام، سيواجه مشكلة صعبة عليه في حالة ولادة الطفل الثاني، وتبدأ المخاوف منه لأنّه سيكون منافساً له في كلّ شيء، ينافسه في حب الوالدين ورعايتهم له، وينافسه في منصبه باعتباره الطفل الوحيد سابقاً، وينافسه في ألعابه، وتبدأ بوادر الغيرة عليه منذ أول يوم الولادة، إذ ينشغل الوالدان بالوضع الطارىء الجديد وسلامة الوالدة والطفل.

وتزداد الغيرة يوماً بعد يوم ـ وخصوصاً في حال عدم الانتباه إليه ـ وتتحول بالتدريج إلى عداء وكراهية للطفل الجديد، وينعكس هذا العداء على أوضاعه النفسية والعاطفية، سواء أعلن العداء أو أخفاه في مشاعره الباطنية.

ومما يزيد من العداء وعدم الاستقرار النفسي موقف الوالدين أو احدهما في المعاملة وعدم استخدام العدالة في النظر إلى الاثنين أو الثلاثة من الأطفال.

يقول الدكتور سبوك: ان كلّ أب وكلّ أمّ من الّذين أنجبوا أكثر من طفلين أو طفلين فقط، يعرف جيداً انّ هنالك احساساً بالغيرة يتولّد في أعماق الطفل الصغير عندما يأتي إلى الأُسرة مولود جديد، وانّ الطفل الذي لم يتعدّ العام الثالث يتعرض إلى الاحساس بضرورة العدوان على هذا المولود الجديد، ويظهر هذا

في محاولات الضرب أو الوخز أو توجيه ايّ اساءة إلى هذا المولود الجديد، لنرو الآن تلك القصة التي لا أنساها أبداً لأنّها تظهر بوضوح هذا الاحساس بالعدوان الذي يغمر أعماق الطفل الذي لم يبلغ عامه الثالث وخصوصاً عندما يتحول هذا العدوان من حدود الأُسرة إلى خارجها، وبطلة القصة طفلة في منتصف عامها الثالث والحقتها الأُسرة باحدى دور الحضانة، وعندما وضعت ام هذه الطفلة مولوداً جديداً، لم تظهر على هذه الطفلة أيّة مشاعر عدائية ناحية المولود الجديد، لكنّ والدة هذه الطفلة فوجئت بأنّ دار الحضانة الموجودة بها هذه الطفلة تشكو من عدوان الطفلة على كل طفل أصغر منها بدار الحضانة، انها تنتهز اي فرصة وتعض أحد الأطفال الأصغر منها، وأخيراً قررت ادارة الحضانة أن تضع حراسة على الأطفال الذين يقل عمرهم عن عمر هذه الطفلة، ورغم ذلك فقد استطاعت هذه الطفلة أن تفلت من الحراسة لتعض أحد الأطفال الذين يصغرونها[1].

وتزداد الغيرة كماً ونوعاً بسبب التفرقة في المعاملة، وتشتد اثارها السلبية وطأة على العقل والقلب والارادة، ويصبح الحدث فريسة للهموم والآلام النفسية والروحية حينما يرى والديه يميلان لغيره ويفضلانه عليه، قولاً أو فعلاً.

ومن الممارسات التي تترك آثارها على نفسية الحدث طفلاًكان أم مراهقاً هي المقارنة بينه وبين غيره، وهو دائماً يكره أن يوضع على نفس المستوى مع أحد غيره، والطفل دائماً يتمنى أو يطلب أن يكون موضع اعجاب من قبل والديه دون غيره من اخوته أو اخواته، والمقارنة دائماً تضعه في حالة تنافس مليئة بالقلق والاضطراب، وتجعله حساساً للغاية لأي تفاوت في المعاملة بينه وبين أُخوته.

(١) حديث إلى الامهات: ١٤٢.

وفي مجال الاستنكار والغضب من أحد تصرفات الطفل، علينا أن نعرف انّ الطفل لا يريد أيضاً المساواة مع اخوته في العقاب، فهو حينما يخطأ أو يرتكب ذنباً يشعر انه يسيء التصرف ويسعى لاصلاح اوضاعه، ويرى انّ العقاب الموجه إليه موضوع في محله وانّه يستحق ذلك، وهو يتقبل العقاب القولي أو الفعلي بشرط أن يكون مناسباً لعمره ومساوياً لغيره فيه.

والمقارنة أو التفرقة في المعاملة ظاهرة غير سليمة في جميع الوانها ومظاهرها، كالمقارنة بين الأحداث بالجمال أو الذكاء أو النشاط والحيوية أو الخلق، وكالتفرقة في اشباع الحاجات أو تنفيذ الطلبات أو في الثواب والعقاب على ممارسة واحدة، كل ذلك يؤثر على الأوضاع النفسية لهم ويتركهم مستسلمين للانانية والحسد والحقد الذي قد يتحول إلى ممارسة سلوكية خطرة.

قال الامام جعفر الصادق ﷺ: «قال والدي: والله لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأكثر له المحبّة، وأكثر له الشكر، وانّ الحق لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف أخوته»[1].

وهنالك مواقف غير مقصودة ولكنّ لها تأثيرات سلبية بأن يقول أحد الوالدين: ان ابني فلان يشبهني، وفلان لا يشبهني.

ومن أخطاء التربية في مجال المقارنة أو التفرقة في المعاملة التمييز بين الولد والبنت، وتفضيل الولد عليها، لأنّ التمييز يؤثر تأثيراً سلبياً على نفسية البنت، وعلى زرع العداوة والحقد بين الاخت وأخيها.

وفي جميع مظاهر وألوان عدم العدالة بين الاحداث يسود القلق والتوتر

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٦.

والإضطراب أجواء الأُسرة، فلا يتنعّم أفرادها بالهناء والسعادة حيث المشاكل والمشاكسات المستمرة، اضافة إلى شعور بعض الابناء بعدم الحصول على المحبة والعطف والتقدير، وشعورهم بالاهمال والنبذ، ممّا يدفعهم للانتقام ممن هو أرجح منهم وأقرب إلى والديهم منهم، ولا غرابة في الأمر، حيث تشب نار الاحقاد والعدوان مع عمر الحدث، وتزداد وطأة حينما تكون المقارنة ظاهرة متكررة ودائمية.

اضطراب العلاقات بين الوالدين والحدث

الحدث في جميع مراحل الحياة بحاجة إلى المحبة والتقدير من قبل الوالدين، وبحاجة إلى الاعتراف به وبمكانته في الأُسرة وفي المجتمع، وبحاجة إلى تسليط الأضواء عليه، وكلّما أحسّ بأنّه محبوب وشعر بمكانته، فانّه سينمو متكيفاً تكيّفاً حسناً من الناحية النفسية والخلقية، والعكس صحيح.

وفي جميع الأحوال فانّ شعور الحدث بعدم المحبوبية وبعدم التقدير، يؤثر تأثيراً ملموساً على أحواله النفسية والسلوكية، لأنّ الحدث في المراحل الاولى من عمره لا يستطيع أن يفرّق بين كراهية والديه لسلوكه الخاطىء وبين كراهيتهما له، والحدث دائماً يشعر أن أمنه واطمئنانه يتوقف على استمرار حبّ والديه له، وكثيراً ما يؤدي الغضب المتكرر إلى صدمة مفزعة له قد تبقى ملازمة له طول عمره فيكبر وفي نفسه خوف عظيم من غضب الآخرين عليه، قد يترجم هذا الخوف إلى استسلام للآخرين أو التمرد عليهم تبعاً لاوضاعه النفسية والروحية وتبعاً لطريقته في التكيف الاجتماعي.

لقد أثبتت البحوث التربوية الحديثة انّ المواطنين الصالحين، ورجال

العلم الطيبين انّما يأتون من الأسر التي تعني بالأطفال وترغب فيهم، وقد أكد علماء النفس هذه الظاهرة، كما ذكروا انّ الأبناء المنبوذين من اسرهم يبدون سلوكاً عدوانياً، ويكونون سلبيين، مشاكسين، متمردين، وكثيراً ما يبرعون في ابتكار الحيل التي تضايق الكبار، كما يظهرون الميل إلى السلوك الاجرامي، أمّا مظاهر النبذ فهي:

١ ـ القسوة في معاملة الطفل وأخذه بالشدة المسرفة.

٢ ـ استعمال العقاب البدني القاسي.

٣ ـ نقد الطفل نقداً مستمراً، وكشف معايبه له، وخاصة أمام الغير.

٤ ـ الاسراف في إهماله واتهامه.

٥ ـ عدم ذكره بخير.

٦ ـ الغض من شأنه بالقياس إلى اخوته.

٧ ـ ابداء الدهشة والاستغراب إذا ذكره بعض الناس بخير[1].

والظاهرة التي يتصف بها من يفقد الحب والعطف هي حمله للعقد النفسية وللضغينة على المجتمع، وقساوة في الخلق، وانّه يصاب ببعض المظاهر الجنوحية:

١ ـ الكذب.

٢ ـ السرقة.

٣ ـ القسوة.

٤ ـ الشرور.

٥ ـ الهجوم على الغير.

٦ ـ الانحراف الجنسي.

---

(١) النظام التربوي في الاسلام: ٧٧، عن: علم النفس التربوي لزكي صالح.

قال الشيخ النراقي: انّ الصبي إذا أُهمل في أول نشوئه خرج ـ على الأكثر ـ رديء الأخلاق والافعال، فيكون كذّاباً حسوداً لجوجاً عنوداً سارقاً خائناً ذا ضحك وفضول، وربما صار مختناً مائلاً إلى الفسق والفجور[1].

وقال ولالبري: انّ الكره الأبوي للطفل يستطيع دائماً أن يعوّق الطفل عن التكيّف في الحياة، وذلك بالقضاء على شعوره بالأمن، وتحطيم ثقته بنفسه، وقد أثبتت البحوث النفسية الحديثة أنّ من أهم أسباب القلق يرجع إلى انعدام الدفء العاطفي في الأُسرة، وشعور الطفل بأنّه شخص منبوذ محروم من الحب والعطف والحنان، وانّه مخلوق ضعيف يعيش وسط عالم عدواني ... والرجل القلق دوماً يحس بالهلاك والعذاب النفسي أينما وجد[2].

ويرى الدكتور سپوك: انّ التعمق في حياة الإنسان الذي لا ضمير له يكشف انّه يخفي احساس الرغبة في ايذاء الآخرين، وأن والديه كانا يعاملانه في الطفولة بالاسلوب القاسي نفسه، وأنّه يرتكب جريمته بنوع من التبلد التام، وان حياته غالباً تمتلىء بعدم تقدير المسؤولية والاندفاع الاهوج وعدم القدرة على أن يستفيد من تجاربه، ويطالب الآخرين بالالتزام نحوه دون أن يلتزم هو نحوهم، وعندما نقوم بتحليل العلاقة بين هذا النوع وبين والديه نجد انّ الأب انسان تخلى عن الابن أو الأُم فعلت ذلك، ويعاني في طفولته من احساس بالاهمال التام... ان كل ابن تهمله اسرته يمكن أن يصل إلى الانحراف... انّ الطفل يفتقد الاحساس بأنّه انسان يمكن أن يعيش في اسرة تحيطه بالحب والحنان، انّه يفتقد طعم الاحساس بالأمن، ولا يجعله العقاب يشعر بالخطأ، ولا

---

(١) جامع السعادات ١: ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) النظام التربوي في الاسلام: ٧٩. عن: التكيف النفسي: ٢١، ٢٢.

يعمل من أجل أن يحبّه أحد ويحترف الخداع الدائم[1].

ويرى أيضاً: انّ اعماق الطفل إذا عانت من فقدان الاحساس بالحب الدافىء من ناحية أهله أو من يقومون مقام الاهل ... انّ اعماق هذا النوع من الأطفال يعرف كيف ينتقم لغياب هذا الحب.

ان هذا النوع من الأطفال لا يكون مشاكساً أو ثقيل الظل ولا يجيد حسن التصرّف فقط. انّه أيضاً لا يهتم ابداً بنوعية سلوكه، ولا يهتم ما يظنه الآخرون عنه، ولا يهتم بما سيحدث له. لقد فقد أهم شيء في حياته وهو حب الأهل، فماذا يمكن أن يعطي سوى الانتقام من البيئة التي ينشأ فيها[2].

ويرى كثير من العلماء والباحثين انّ نبذ الطفل نبذاً قاسياً كانت الأسباب الاولية للسلوك المضاد للمجتمع[3].

وفقدان المحبة والعطف والحنان المتكرر وخصوصاً في مرحلة المراهقة يدفع بالحدث ولداً كان أم بنتاً إلى البحث عنه لدى الآخرين، وهذا البحث قد يوقعه في انحرافات سلوكية، ومنها الهروب من البيت والتسكّع في الشوارع والأماكن المشبوهة، وهذا الهروب تكمن وراءه رغبة في البحث عن اسرة أكثر حناناً.

وقد يكون انحراف الحدث باقامة علاقات منحرفة مع الآخرين من نفس الجنس أو من جنس مختلف، وأكثر مايكون انحراف الفتاة هو انحراف جنسي، حيث تبحث عن المحبة والعطف والحنان فتقع فريسة للكلمات المعسولة لبعض الشباب أو الكبار المنحرفين، لانها تجد الحب الذي تبحث عنه، وتشعر بانها

(١) حديث إلى الامهات: ٢٣٧.

(٢) مشاكل الاباء في تربية الابناء: ٩.

(٣) سيكولوجية الجنوح: ٣٧.

مرغوب فيها، وقد يكون عدم شعورها بالحب من قبل الوالدين سبباً لعدم الاهتمام لسمعتهما الاجتماعية أو الانتقام من غياب الحب عن طريق تلويث سمعتهما، وهذه الانحرافات تحدث في الطبقات الراقية أكثر من حدوثها في الطبقات الفقيرة، لوجود عوامل مساعدة اخرى للجنوح ومنها علاقات الانفتاح وعدم التحرج واللامبالاة، والتي تراها بعض العوائل الراقية تطوراً وتقدماً.

وما تقدم لا يعني انّ الحدث سيتخذ من الهروب وسيلة للفرار من القسوة أو البحث عن المحبة، وانّما سيكون هذا قراره النهائي ان عجز عن الحصول على حاجاته إلى المحبة والحنان والتقدير، بعد أن تتهيأ له الظروف والأجواء البديلة التي يشعر بانها تعوّضه عن الحب والحنان والتقدير المفقود.

ومن خلال الدراسات النفسية والاجتماعية وجد الباحثون نماذج ثلاثة من الأطفال أو الأحداث الجانحين:

١ ـ فريق غير اجتماعي وهجومي.

٢ ـ فريق اجتماعي.

٣ ـ فريق مضطرب عاطفياً.

امّا الصبيان من الفريق الأول فقد جاء معظمهم من بيوت عانوا فيها من كراهية الوالدين.

أمّا أطفال الفريق الثاني فقد جاؤوا من بيوت لا تعاملهم بكراهية، وانّما كانوا ينتمون إلى أُسر كبيرة العدد وكانت ظروف تربيتهمُ متراخية إلى حد كبير.

أمّا أطفال الفريق المضطرب عاطفياً فقد كانوا أطفالاً مظلومين في أُسرهم، وكان حجم أُسرهم أصغر من أُسر الفريقين السابقين[1].

---

(١) علم النفس التربوي، لفاخر عاقل: ١١١، ١١٢.

عدم الاستقرار وتفكك الأُسرة

عدم الاستقرار وتفكك الأُسرة الناجم من الخلافات والأوضاع المتشنجة بين الوالدين يؤدي إلى خلل في الثبات والتوازن العاطفي للحدث في جميع المراحل التي يعيشها، والأجواء المتوترة تترك آثارها على شخصيته المستقبلية حيث تسلب منه الأمن والاستقرار والسعادة والهناء.

ويقول العالم جيرارد فوجان: (والأُم التي لا تجد التقدير الكافي كإنسانة وأُم وزوجة في المنزل لا تستطيع أن تعطي الشعور بالأمن)[1].

والحدث طفلاً كان أو مراهقاً يبقى في دوامة من الحيرة والارتباك والقلق، لا يدري ماذا يفعل في أجواء الخلافات والتشنجات بين الوالدين، فهو لا يستطيع ايقاف النزاع والخصام وخصوصاً إذا كان مصحوباً بالشدة، ولا يستطيع أن يقف مع أحد والديه دون الاخر، اضافة إلى محاولات كلّ من الوالدين بتقريب الطفل اليهما باثبات حقه واتهام المقابل باثارة المشاكل والخلافات، وكل ذلك يترك بصماته الداكنة على قلب الطفل وعقله وارادته.

والخلافات تدمر اطمئنان الطفل، وفي هذا الصدد يقول الدكتور سبوك: انها تدمر الاحساس بالأمان في أعماق الابن وتجعله يشعر انّ النموذج العاطفي

---

(١) أضواء على النفس البشرية: ٢٠٢.

يهتز ويجعله يتشكك في معظم العلاقات... ويستمر احساس الطرف المهان في الخلاف بالعار والاثم والذنب، وهذه الاثار لا يمكن ازالتها لمدة طويلة... انّ العيادات النفسية تشهد آلاف الحالات من الأبناء الذين نشأوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد، انّ هؤلاء الأبناء يشعرون في الكبر بأنّهم ليسوا كبقية البشر، وتنعدم فيهم الثقة بالنفس، فيخافون من اقامة علاقات عاطفية سليمة، ويتذكرون انّ معنى تكوين اسرة هو الوجود في بيت يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الاهانات[1].

والخلافات الخطرة على نفسية الحدث وسلوكه هي تلك الخلافات المصحوبة بالممارسات السلبية كالتعبير بالألفاظ الخشنة البذيئة أو بالضرب والرفس وما شابه ذلك، حيث تسلبه الأمان والاستقرار وتجعله أسيراً للهموم والأحزان، ويبقى قلقاً يتخوف من انفصال الوالدين.

وبحوث علم النفس تعلمنا أنّ البيوت التي يغشاها الود والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام والمحبةوالتقدير، يتخرج منها الأصحاء الاسوياء، امّا البيوت التي تبث في نفوس الأطفال عواطف النقمة والحنق القائمة على الرعب والغيظ، فهي التي تخرج للحياة قوافل المنحرفين والمشكلين والعصابيين والجانحين، فمن نشأ في بيئة عدائية لم يشعر بالصداقة في كبره، ويتوقف اثر الأُسرة في عملية التطبيع الاجتماعي على عوامل عدة :

١ ـ وضعها الاجتماعي.

٢ ـ مستواها الثقافي.

٣ ـ حجمها وتماسكها واستقرارها.

---

(١) مشاكل الاباء في تربية الأبناء: ٤٥.

٤ ـ معاملة الوالدين للطفل.

٥ ـ معاملة الوالدين بعضهما لبعض.

٦ ـ ما يقوم بين الاخوة والأخوات من تنافس[1].

وكلما ازدادت الخلافات ازدادت الهموم والأحزان، وتكون اشدّ وطأة حينما تصل إلى مرحلة الهجران ومن ثم الانفصال بالطلاق، حيث يبقى الحدث قلقاً مضطرباً لا يقوى على اختيار أحد الوالدين دون الآخر، وتزداد حالته النفسية والعاطفية تدهوراً حينما يشاهد الانفصال يومياً، وخصوصاً الانفصال الذي تتخلله التهم والاشاعات عبر الرسائل أو الوسائط الفردية والاجتماعية.

وتزداد المأساة على الحدث حينما يعيش مع زوج أمّه أو زوجة ابيه، حيث يشعر بأنّه يعيش غريباً في مثل هذه الأجواء، وينصب جميع اهتماماته بوالده الحقيقي أو والدته الحقيقية، اضافة إلى الاحساس بالتنافس بينه وبين زوج أمّه أو زوجة ابيه، ويكون شديد الحساسية تجاه مواقفهما منه وان كانت مواقفاً تاديبية.

وفي الأعم الغالب انّ الزوج أو الزوجة لا تمنح الحنان الواقعي لابن أو بنت لا نسب بينهما، فيعيش الحدث الحرمان من المحبة والعطف والحنان حينما يعيش مع غير والده أو والدته، وكثيراً ما يشعر بالحقد على أحد والديه لأنّه سبب الطلاق، أو يشعر بالذلّ حينما لا يعيش معه أو يشعر بالعار من الطلاق أو الزواج الثاني.

والوالدان غير النسبيين لا يكترثان بتربية الحدث تربية سليمة من الناحية العاطفية والنفسية والخلقية، ويهملانه غالباً دون توجيه وارشاد، فيؤدي ذلك به

---

(١) أصول علم النفس: ٥١٩، ٥٢١.

إلى الجنوح والانحراف عندما يفقد المرشد والموجه والرقيب عليه.

وقد دلّت الدراسات على دور التفكك الاسري في الجنوح وخصوصاً في الدول الغربية التي لا تتبنى الدين منهجاً لها في الحياة، ومن هذه الدراسات:

دراسة أُجريت على ٧٥٩٨ جانحاً في الولايات المتحدة الأمريكية من نزلاء المؤسسات الاصلاحية سنة ١٩١٠ اظهرت انّ ٧ر٥٠٪ أتوا من أسر متصدعة، وانّ ٥ر٥٠٪ من نزلاء المدارس الاحصائية في انجلترا واسكتلندا أتوا من بيوت متصدعة.

وان احصاءً قام به أحد باحثي المانيا الغربية على ١٤٤ من المجرمين الأحداث بيّن انّهم جميعاً ينتمون إلى أُسر متصدعة.

كما أجرى أحد الباحثين في ألمانيا الغربية احصاءً على ٢٠٠٠ حدث مجرمين تبيّن من خلاله أنّ ٢٦٪ منهم ينتمون إلى أُسر انفصل فيها الوالدان عن حياتهما الزوجية لسبب وآخر.

وأجرى باحث فرنسي عام ١٩٤٢ فيمدينة باريس دراسة على الأحداث المنحرفين، فتبين أنّ ٨٨٪ منهم كانت اسرهم متفككة[١].

ولقد دلّت دراسات عديدة على أنّ مشكلة الجنوح ترتبط بمشكلة الطلاق ارتباطاً وثيقاً.

وتفيد المعلومات المستقاة من مسؤول في بيت الطفل الوطني انّ واحداً من كل خمسة اطفال بريطانيين يتعرضون للاعتداء الجسدي والجنسي، وقد عزا هذا المسؤول انتشار ظاهرة الاعتداء إلى الانهيار الاسري، وقال: انّ مصدر هذا الاعتداء هو الآباء غير الأصليين أو امهاتهم اللائي يعشن كعشيقات لا كأمهات

(١) الأحداث المنحرفون: ٦٠، ٦٢.

وزوجات[1].

وفي بعض الحالات يقوم زوج الام بطرد ابنها من البيت، أو تقوم زوجة الأب بطرد ابنه من البيت، فلا يجد له مأوى الّا بأماكن الدعارة والاستغلال الجنسي للأحداث، وقد يهرب بعض الاحداث من بيوتهم التي لا يتوقف الخلاف والشجار فيها، ويتوجهون إلى الشارع أو ينتمون إلى عصابات الأحداث فيقعون ضحايا انحراف الكبار واستغلالهم في شتى مجالات الفساد والفسوق.

وقد أثبت الواقع انّ الأزمات التي تحدث في الأُسرة لها تأثيراتها السلبية على نشأة الأحداث، سواء استمرت أو انتهت بالانفصال والطلاق، وان أكثر الجانحين ينتمون إلى اسر مفككة ومتصدعة بالخلافات أو الهجران أو الطلاق.

غياب أحد الوالدين

الطفل بعد فقد والده أو والدته أو غيابه يشعر بالحرمان الحقيقي من اشباع حاجاته العاطفية والروحية، فتنتابه الهواجس والمخاوف، ويخيّم عليه القلق والاضطراب.

والطفل يشتاق إلى حب الوالد وحب الوالدة بالتساوي، وهو بذاته بحاجة إلى ايمان عميق بان يكون له والد أو والدة يحبانه، والطفل الذي فقد والده أو والدته يبقى يتشبث به وان كان عن طريق نسج حكايات من الوهم والأحلام عنهما، فيتحدث عن صفاتهما وخصائصهما وعلاقاتهما معه، وغالباً ما يحدث ذلك في مرحلة الطفولة المبكرة، ولكنّ التقدم التدريجي في مراحل العمر الأُخرى ينبه الطفل إلى انّ ذلك الغائب لم يعد ولم يلتق معه، وبالتالي تتكون

(١) الاسلام دين البشرية: ٦٣.

فكرة لدى الطفل بأنّ والده أو والدته لا يحمل أو تحمل ذرة واحدة من الحب والحنان، فيبدأ يشعر شعوراً عميقاً بالكره والسخط لذلك الغائب الذي لم يعد، وتتكون في نفسه عقدة تقلّل من ثقته بالناس بصورة عامة، ويصبح موقفه العام من الآخرين موقف التوجس وعدم الثقة، والأكثر خطورة من ذلك احتقاره لنفسه حيث يراها غير جديرة بالحب والحنان.

ان الطفل الذي يعتقد حقاً انّ أحد والديه لا يحبه، انّه يشعر بأنّ فيه نقصاً أو عيباً أساسياً، انّه لا يصغر في عين نفسه فقط، ولكنّه يحس بأنّ نقصاً أساسياً يكمن فيه هو، وانّ هناك شيئاً ما موجود عند بقية الأطفال وغير موجود عنده، وكلّما كبر فإنّه يستمرّ في شكوكه الحساسة التي تجعله يرتاب فيما إذاكان الناس يحبونه حقاً أم لا مهما يبلغ عدد الذين يحبونه فعلاً في الواقع.

انّ كرامة الطفل الذاتية ومفهومه لذاته تصاب بالتصدع، فهو يفترض انّه إذا كان ابنا لأب أو أُم هارب أو هاربة من المسؤولية ،فلا بد أن يكون فيه نصيب من الحقارة[1].

والغياب بهجران أو طلاق يكون اشدّ وطأة على الطفل، أمّا الغياب بسبب السجن أو الأسر أو الهجرة فانّ تأثيراته السلبية ستكون أقل وطأة، حيث يبقى الطفل يعيش أحلام اليقظة ويضع صورة جميلة في مخيلته عن والده أو الدته.

ومن التقارير المهمة في هذا الموضوع تقرير مؤسسة اليونسكوفي هيئة الأُمم المتحدة، وقد جاء فيه:

(انّ حرمان الطفل من ابيه ـ وقتياً كان أم دائمياً ـ يثير فيه كآبة وقلقاً مقرونين بشعور الإثم والضغينة، ومزاجاً عاتياً متمرداً، وخوراً في النفس،

---

(١) مشاكل الاباء في تربية الابناء: ٢٥٥.

وفقداناً لحس العطف العائلي، فالأطفال المنكوبون بحرمانهم من آبائهم ينزعون إلى البحث في عالم الخيال عن شيء يستعيضون به عمّا فقدوه في عالم الحقيقة، وكثيراً ما يكوّنون في مخيلتهم صورة الأب مغواراً أو الام من الحور ... وقد لوحظ في معاهد الأطفال أنّه إذا كانت صحة الطفل البدنية، ونموه العضلي، وضبط دوافعه الارادية تتفتح وتزدهر بصورة متناسقة في تلك المعاهد، فإن انفصاله عن والديه قد يؤدي من جهة اخرى إلى ظهور بعض المعايب كصعوبة النطق، وتمكن العادات السيئة منه، وصعوبه نمو حسه العاطفي)[١].

وقد وجد جرير Greer أنّ هنالك ٦٠٪ من أرباب الشخصيات المضادة للمجتمع، قد فقدوا أحد الأبوين خلال سنوات الطفولة[٢].

ويرى الباحث النفساني الاجتماعي (باولبي): انّ الحرمان العاطفي والبعد عن الأم أو الأب، والأسرة المشتتة اي المهمشة بالفراق أو الطلاق أو الموت أو الحوادث تحدث في الطفل اضطراباً نفسياً، وخصوصاً إذا وقع هذا الحرمان في السنوات الخمس الاوليات من حياة الطفل[٣].

وقد دلّت المشاهدات على أنّ العيادات النفسية تزدحم بالأطفال الذين لا يتكيفون مع المجتمع وانّ من بين أسباب عدم تكيف الطفل مع المجتمع هو اختفاء الأب من حياته رغم انّه موجود[٤].

وقد قام العالم الانجليزي (جون بولبي) بفصل بعض الأطفال في عمر ستة أشهر عن امهاتهم ولاحظ عليهم أعراض الحرمان الجزئي والكلي، فالحرمان

---

(١) أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث: ٣٧.

(٢) سيكولوجية الجنوح: ٣٧.

(٣) السلوك الانساني: ٧٨.

(٤) حديث إلى الامهات: ١٢٨.

الجزئي ومصدره الام غير القادرة على عطاء الحب لسبب ما يتمثل في القلق وشعور الكراهية والكآبة وعدم الاستقرار وأعراض العصاب، ووجد ان الحرمان الكلي ومصدره الانفصال والطلاق وحياة الملاجيء ودور الرعاية، ويتمثل في عدم القدرة على التوافق الاجتماعي وحدوث تصدع في بناء الشخصية، وقد أوجز الأعراض تدريجياً في شعور الكآبة ثم اليأس والانسحاب ثم الرفض للآخرين[1].

ودلّت التجارب الأُخرى انّ انفصال الطفل عن اُمّه يسبب نوعاً من قلق الانفصال، لأنّ الشعور المتبادل بالأخذ والعطاء والراحة النفسية لا تقل أهمية من اشباع الحاجات والدوافع الأولية للطفل. فغياب الأُم مصدر تعاسة الطفل لأن فقدان الأُم يمثل فقدان الأمان، بينما فقدان الأب يمثل فقدان القدوة، وفقدان الاثنين يمثل فقدان القدرة على تكوين الضمير لدى الطفل، لأن تكوين الضمير عملية تقمص وامتصاص لقيم الوالدين وبدونهما يكون الطفل ضحية الاضطرابات النفسية والجنوح نتيجة ضعف تكوين الضمير اللاشعوري[2].

وغياب أحد الوالدين يعني غيابه التربوي وغيابه الروحي والعاطفي، بانشغاله بالعمل أو السفر وقلة اللقاء مع الأحداث في داخل البيت، أو عدم التفرغ لقضاء أوقات الفراغ معهم في حديقة أو مدينة العاب أو متنزه أو ما شابه ذلك.

ويكون لغياب الوالد أشد التأثير في الجنوح، لفقدان التوجيه والارشاد، وفقدان السلطة، وكذلك فقدان الحصانة من اعتداء الاخرين وخداعهم، وقد دلّت الدراسات والتجارب والمشاهدات على هذه الحقيقة وأخطر ألوان الغياب هو غياب الوالد الحاضر، أيّ ان الوالد موجود ولكن لا سيطرة له على من في

(١) أضواء على النفس البشرية: ٣٠٢.

(٢) أضواء على النفس البشرية: ٣٠٣.

البيت، والسيطرة منحصرة بالوالدة، فهي التي تأمر وتنهى وتوجه الأحداث، ونحن نسمي هذه الظاهرة بتربية المرأة، حيث تؤدي إلى خلق الظروف المناسبة للجنوح، وخصوصاً بدخول الأحداث مرحلة المراهقة حيث يتوجه الحدث باتجاه من له سلطة اجتماعية وبهذا التوجه قد يستغل استغلالاً جنوحياً فلا يقوى على المقاومة وسيتسلم طائعاً للمنحرفين والمبتذلين، لأنّه فقد الشجاعة اللازمة والقدوة الشامخة في فترة حداثته فلم يجد الّا والداً خانعاً مستسلماً لا حول له ولا قوة، ووالدة مسيطرة متحكمة في الأُسرة كلّها.

الأسباب الاقتصادية

الاقتصاد عصب الحياة الانسانية وله دور فعّال في انجاح البرامج التربوية، والتوازن الاقتصادي يحقق التكافل العام، والضمان الدائم، وازالة الفقر والجوع والحرمان، وله دوره الكبير في تهذيب النفس وتطهير الضمير، واشاعة الطمأنينة في داخل النفس.

والوضع الاقتصادي المتوازن يمنع من الانحرافات التي يولّدها الفقر أو الترف الفاحش على حد سواء، ويمنع من الأمراض النفسية والروحية كالحسد والحقد والطمع، والهمّ بسبب الفقر أو الخوف على المال.

ومن الحقائق الثابتة في حركة الحضارات ومسيرة الأُمم والمجتمعات انّ للفقر وللترف الفاحش أثاراً سلبية على فكر الإنسان وعاطفته وارادته، وفي مثل هذه الأجواء ينمو الانحراف والجنوح بسبب الحرمان أو الاشباع بلا حدود.

وقد أكدت الروايات على الاثار السلبية لكل من الفقر والترف، كما هو الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام في الأحاديث التي نوردها هنا.

قال عليه السلام: «انّ الفقر مذلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم».

«العسر يشين الاخلاق ويوحش الرفاق».

«ان افتقر قنط ووهن».

«العسر يفسد الأخلاق».

«الفقر يخرس الفطن عن حجته».

«الفقر في الوطن غربة»[1].

«الفقر الموت الأكبر»[2].

فالفقر يؤدي إلى خلق الاضطراب في مقومات شخصية الإنسان خصوصاً الحدث، وكما وصفه امير المؤمنين ﷺ حيث انّه يشكل مرتعاً خصباً لاذلال النفس وخلخلة العقل وجلب الهموم والاحزان، لأنّ عدم اشباع الحاجات المادية إلى المأكل والملبس والمسكن يؤدي إلى القلق والتوتر اضافة إلى الشعور بالحرمان والاحباط وإلى عدم التساوي مع الغير، فالحدث الذي يقارن بينه وبين ابناء المترفين يؤدي به إلى الشعور بالنقص والحقارة أحياناً، وخصوصاً إذا قابله المترفون بالازدراء والاحتقار.

والفقر بعد ذاته يجعل الحدث محمّلاً بالهموم والأحزان التي توقعه في براثن الحسد والحقد والانتقام من الغير، أو من الذين حرموه من العيش الهانيء، وتنامي الهموم والأحزان تدفعه أحياناً إلى السرقة للحصول على ما يريد، وقد يكون الفقر أساساً للكذب والبهتان وسائر مظاهر الجنوح ومنها الانحراف والشذوذ الجنسي من أجل اشباع الحاجات الأساسية المتوقفة على توفر المال وتملكه، وقد يصل الأمر بالبعض إلى اللجوء للقوة من أجل اشباع الحاجات المادية، والتي تتمثل بالاعتداء على أصحاب الثروة والمترفين.

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٣٦٥.

(٢) نهج البلاغة: ٥٠٠.

ويلتجأ بعض الأحداث إلى تشكيل العصابات كنوع من الحماية لهم لأنّهم يشعرون في بعض الأحيان انهم اقل شأناً من الآخرين، وانّ هنالك من يحتقرهم.

ومن لوازم الفقر ضيق البيت وهو عامل من عوامل تهيئة أجواء الجنوح، فالضيق يمنع الأحداث من اشباع حاجاتهم إلى اللعب، ويمنعهم من التمتع بالاستقلالية في غرف خاصة لهم، وقد يؤدي الفقر احياناً إلى النوم في غرفة واحدة أو في لحاف واحد، ويرافق ذلك بعض المظاهر السلبية كالنظر إلى المباشرة الجنسية بين الوالدين، وإلى اثارة الغريزة بسبب الاحتكاك الناجم من النوم تحت غطاء واحد وفي غرفة واحدة، وضيق المنزل وفقر الأُسرة يدفع الوالد إلى استخدام العقوبة البدنية في غير محلها، وتفريغ غضبه على أولاده.

ويزداد الجنوح شدة حينما لا يجد الحدث الراحة والهناء في البيت، فيبحث عن بيت بديل قد يجده في الشارع أو في عصابات الأحداث، أو يبحث عن إشباع حاجاته عن طريق الاستسلام للمغريات التي يعرضها المنحرفون عليه.

ويدفع الفقر بعض الاسر إلى تشغيل أبنائها وبناتهافي أعمال تعرضهم للجنوح، كالعمل في غسل السيارات في الشوارع، أو بيع بعض الحلويات في الشوارع أو على البيوت، أو العمل في المعامل والمزارع، أوالعمل كخدام في البيوت ،وهذه الأعمال تساهم أحياناً في الجنوح والانحراف، وخصوصاً إذا وجد المنحرفون الكبار الذين يستغلون حاجة الأحداث إلى المال فيدعونهم حسبما يريدون لتحقيق اغراض شريرة لهم، والقصص حافلة بالمآسي.

حالة وقصة (م) طفلة عمرها ٩ سنوات ترعرعت في أحضان عائلة فقيرة، والدها معوّق لا يقوى على العمل، ممّا دفع بالوالدة للعمل خبازة تخبز الخبز في بيتها وترسله إلى بعض البيوت، وكانت تصطحب ابنتها معها، وأحياناً ترسلها

لوحدها، وفي أحد المرات أرسلت ابنتها إلى بيت أحد الأغنياء لاستلام الأجرة، فأعطاها ذلك الغني الأجرة وأضاف إليها بعض النقود كهدية للبنت، وبمرور الأيام بدأت البنت تحل محل والدتها للذهاب إلى بيت الغني طمعاً في المال، ولم تعلم انه نصب لها كميناً،فقد اعتدى على شرفها واستسلمت له خوفاً وطمعاً، واستمرت على هذه الحالة إلى ان علمت الأم بالأمر، فاسكتها الغني بدفع مبلغ من المال لها، وبقيت تلك المسكينة سائرة على هذا الطريق الذي كان الفقر أحد العوامل المهيئة له.

وهنالك قصص عديدة تؤكد على أنّ لبعض الوالدين دوراًكبيراً في دفع الأبناء إلى الجنوح للحصول على المال، باي وجه أمكن.

والفقر أحياناً يؤدي بالأحداث إلى اتخاذ العنف وسيلة للحصول على المال، أو للدفاع عن الكرامة الممتهنة للوالد أو الوالدة من قبل الأغنياء، أو الدفاع عن كرامة الحدث نفسه، فيلتجأ إلى الانتقام من المجتمع الذي حرمه من الاستمتاع بحقه في المتعة.

ومن الدراسات في مجال جرائم العنف هي تلك التي قامت بها اللجنة الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث خلصت إلى النتائج التالية:

١ ـ جرائم العنف ظاهرة ارتبطت بالمدن وبخاصة التي يزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة.

٢ ـ غالبية جرائم العنف يرتكبها الذكور.

٣ ـ غالبية المدانين في قضايا جرائم العنف من صغار السن خصوصاً الفئة العمرية الواقعة بين ١٥ و٢٤ سنة.

٤ ـ غالبية المدانين في جرائم العنف تنمتي إلى أسر يشتغل افرادها في أعمال ذات دخل متواضع ومكانة منخفضة.

٥ ـ يساهم سكان الأحياء الفقيرة في جرائم العنف بنسبة أعلى من نسبتهم لمجموع السكان وخصوصاً السكان السود.

٦ ـ غالبية ضحايا الجرائم تنتمي إلى نفس الفئات الاجتماعية التي ينتمي إليها مرتكبو هذه الجرائم، أي أن الغالبية هي من الذكور صغار السن وفقراء وساكنو المناطق الفقيرة.

٧ ـ غالبية جرائم العنف الخطيرة يقوم بها افراد تعوّدوا الاجرام.

ويشير التقرير إلى أن هذه النتائج قد تكون خاصة بوضع المجتمع الأمريكي، وقد تصلح لأن تعمم على مجتمعات أُخرى[١].

ولاثار الفقر السلبية على الاستقامة والسلامة الخلقية وردت روايات عديدة تنهى عن ترك الابناء بلا مورد مالي.

عن الامام جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام: «انّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أنّ رجلاً من الأنصار توفي وله صبية صغار، وليس لهم مبيت ليلة، تركهم يتكفّفون الناس، وقد كان له ستة من الرقيق ليس له غيرهم، وانّه اعتقهم عند موته.

فقال لقومه: ما صنعتم به؟

قالوا: دفناه.

فقال: أما انّي لو علمته ما تركتكم تدفنونه مع أهل الاسلام، ترك ولده صغاراً يتكففون الناس»[٢].

وعدم التوازن الاقتصادي يساهم في خلق المظاهر الجنوحية سواء كان حرماناً أو اشباعاً ترفياً، فالترف كالفقر يؤدي في كثير من الأحيان إلى الجنوح، بل يفوق الفقر في ذلك، لأنّ الفقر قد يربي البعض على الصبر والتحمل والصمود

---

(١) الطفولة المنحرفة: ٧٤، عن: الفكر العربي، العدد ٤٧ ص٧٨.

(٢) قرب الاسناد: ٦٣.

أمام مشاكل الحياة وتعقيداتها، أو قد يوجه الإنسان للجوء إلى منعم الوجود والخير والبركة، بخلاف الترف الفاحش الذي قد يؤدي إلى الانحراف والانغماس في الملذات المباحة أو غير المباحة.

وقد أكدت الروايات على هذه الحقيقة وعلى دور المال في الانحراف والجنوح.

قال أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب ﷺ:

«المال مادة الشهوات»[١].

«المال وبال على صاحبه الّا ما قدّم منه»[٢].

«المال فتنة النفس ونهب الرزايا»[٣].

«كثرة المال تفسد القلوب وتنشيء الذنوب»[٤].

«إذا مليء البطن من المباح عمي القلب عن الصلاح»[٥].

«الشبع يفسد الورع»[٦].

«الشبع يورث الأشر ويفسد الورع»[٧].

حيث ثبت من خلال الملاحظات المتكررة للواقع انّ الترف الفاحش يفسد الفطرة السليمة، ويغلظ المشاعر، ويفقد القلوبَ تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثّر وتستجيب للنداءات الصالحة.

---

(١) نهج البلاغة: ٤٧٨.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٣٦٧.

(٣) المصدر السابق: ٣٦٨.

(٤) المصدر السابق: ٣٦٨.

(٥) المصدر السابق: ٣٦٠.

(٦) المصدر السابق: ٣٦٠.

(٧) المصدر السابق: ٣٦١.

والترف يجعل الحدث يأخذ ولا يعطي، فكل ما يريده يحصل عليه، وان أباه وغيره يكون رهن اشارته، يوفر له كل ما يريده، والترف غالباً ما يؤدي إلى التدليل وإلى التراخي والتجاوز عن الأخطاء، وكل ذلك يؤدي إلى الشعور بالنقص والخيبة حين يصطدم الحدث بالعالم الخارجي أو يذهب إلى المدرسة، حيث يكون ضيقاً لا يطيق مواجهة الصعوبات، فيجهد في الخلاص منها بأي ثمن وسرعان ما يستجدي المعونة من غيره، والترف يميت لدى الحدث روح التفرد والاستقلال ويخلق في نفسه على مر الزمن صراعاً بين رغبته في الاتكال على غيره ورغبته في التحرر وتوكيد شخصيته.

والترف عموماً يعوّد الحدث على الأخذ بلا عطاء، ويعوده على عدم التنازل عن بعض رغباته، وفي مثل هذه الأجواء يكون الحدث ضعيفاً أمام الهزائز والصعوبات، وقد يلتجأ إلى ارتكاب بعض الموبقات للحصول على اصدقاء يلبون رغباته في الاحترام أو التدليل، أو يقع تحت تأثير المنحرفين مستسلماً لهم، أو يقع ضحية انتقام الاخرين من الفقراء والمحرومين.

والترف الفاحش يؤدى ببعض الأسر إلى توفير وسائل الافساد التي لا يستطيع الفقير شراءها.

وقد دلّت الدراسات على دور الترف في الانحراف، فحينما أصبح المال وفيراً أو متيسراً في أيدي فئات واسعة من الناس، انتشرت الخمرة على نطاق واسع، وتفشى المخدر وعمّ البغاء والقمار والفسق، وكلها عوامل حاسمة تدفع أصحاب الاستعداد إلى الجريمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ومن ذيول انتشار الثروة، تبرز ظاهرة سرقة السيارات أو سرقة المتاجر أو خطف الاولاد للحصول على فدية وفي هذا الصدد يرى أحمد محمد خليفة، أن للمال الوفير مخاطره الجمة، فقد كتب يقول: (في حالة الرخاء يكثر المال ويندفع الناس وراء

اللهو، فتكثر الجرائم الجنسية وجرائم المال، وأحياناً جرائم العنف).

وقد عللت جريدة الفيغارو الفرنسية، أسباب تفاقم الاجرام في انكلترا بكثرة المال في أيدي الناس[1].

ومن خلال ملاحظاتنا الميدانية الخاصة وجدنا ان الأحداث الفقراء والمترفين أكثر الأحداث جنوحاً، حيث يلعب الحرمان الكلّي، والاشباع الدائم دوراً كبيراً في خلق مظاهر الجنوح، وخصوصاً في غياب التوجيه والتربية الصالحة، ولاحظنا أيضاً أن الأحداث المنتمين إلى أسر متوسطة الحال أكثر توازناً واستقامة من غيرهم.

(١) دراسات معمقة: ٤١، عن علم الاجرام الاجتماعي: ١١٦، الفيغارو، العدد ٦٠.

رابعاً: الأسباب البيئية الاجتماعية

يتأثّر الإنسان حدثاً كان أم راشداً بالبيئة الاجتماعية التي يترعرع فيها، حيث يتم التأثير عن طريق الاتصال وعن طريق التفاعل الاجتماعي بجميع الوانه تعاوناً كان أم تنافساً، توافقاً أم صراعاً، وعن طريق مفاهيم المجتمع وقيمه، وضوابطه الاجتماعية كالثواب والعقاب، ومن خلال المجتمع يتشكل السلوك الاجتماعي للفرد حيث تتدخل ثقافة المجتمع في بناء شخصيته، اضافة إلى انّ تشكيلات المجتمع وتنظيماته وأوضاعه وقيمه وآدابه واخلاقه تتحكم في بناء شخصية الحدث بشكل واضح، فامّا أن تجعله سوياً مستقيماً أو منحرفاً جانحاً.

وتشمل البيئة الاجتماعية جميع ما يحيط بالحدث خارج اسرته من افراد ومؤسسات وتجمعات ومواقع تأثير، ومن أهمها: المدرسة والأصدقاء والعلماء والأمراء ووسائل الاعلام.

المدرسة

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية والتعليم، وتوفير الظروف المناسبة لنمو الأحداث عقلياً وانفعالياً واجتماعياً،

وهي التي توسع الدائرة الاجتماعية للحدث حين يلتقي بجماعة جديدة من الرفاق والأصدقاء، ويلتقي بسلطة جديدة وهي سلطة المعلم والمدير والهيئة التعليمية والادارية.

ويتأثّر الحدث تأثراً واضحاً بالمدرسة حيث تقدم له منهجاً متكاملاً في التربية والاخلاق حسب تبعتها للحكومة القائمة، ويتأثر بالمعلم كنموذج يحتذيه الحدث ويتقمص شخصيته، فيستقيم باستقامته وينحرف بانحرافه.

ويتاثر الطالب الحدث برفاقه في الصف الواحد وبطلاب الصفوف الأُخرى، ويحاول الحدث أن يهذب من أساليبه السلوكية حتى تعترف به المدرسة بمعلميها وطلابها، وإذا ازداد عدد الطلاب والمعلمين فإنّ ذلك يؤثّر تأثيراً سلبياً على العلاقات الاجتماعية السليمة بين الطلاب بعضهم وبعض، وبينهم وبين معلّميهم، لاختلاف التنشئة الاسرية لكل منهم.

والتفاوت في الأعمار مع غياب الاشراف والتوجيه قد يؤدّي إلى اكساب الحدث انماطاً سلوكية لا تتناسب مع سنه أو جنسه.

وفي جميع الأحوال فان الحدث يتأثر بأساليب التعامل معه من قبل بقية الأحداث في سنه أو في غير سنه، ومن قبل المعلمين، ويتأثر بظواهرهم السلوكية تأثراً بالعقل الجمعي أو بالمحاكاة.

ويرى بعض الباحثين انّ هنالك مشكلات واضطرابات نابعة من الجو المدرسي ومنها:

١ ـ عدم سلامة طريقة المعلم في التربية والتعليم.

٢ ـ عدم مراعاة المعلم للفروق الفردية فيظن ان التلاميذ كلهم من مستوى عقلي وثقافي واحد.

٣ ـ عدم تمييز المعلم بين ما يكون عليه تلاميذه من حالات نفسية وتربوية

واجتماعية وصحية، وما يترتب على هذه من عوامل تعويقية ومشكلات انضباطية.

٤ ـ ما قد يتعرض له بعض التلاميذ من عوامل ضغط صادرة عن بعض التلاميذ الكبار وموجهة إلى المستضعفين من التلاميذ الصغار، كالاعتداء بالضرب والتهديد والتخويف.

٥ ـ صعوبة المادة الدراسية بالنسبة لبعض التلاميذ وسهولتها بالنسبة للبعض الاخر، وفي كلتا الحالتين تنشأمشكلات انضباطية يخطىء المعلم، وبخاصة الناشيء الجديد تقديرها، فلا تعالج اساساً، وبالتالي تتفاقم المشكلة[1].

وهذه المشكلات تتفاقم على الحدث وبالتالي تؤثر على توازنه النفسي والانفعالي، وتزداد مشاكله تعقيداً حينما يعامل بطريقة تعسفية كالتأنيب والتعنيف والتهديد بالعقاب أو العقاب نفسه كالضرب والفصل من المدرسة، وهذه الطريقة من المعاملة تجعل الحدث في دوامة من القلق والاضطراب التي تؤدي به إلى الهرب من المدرسة أو كبت الروح الانتقامية في أعماقه، ومن ثم تفجيرها بألوان من المواقف القاسية القولية والفعلية.

ومن خلال الملاحظات الميدانية يتضح دور المدرسة في الجنوح ففي العراق مثلاً، كان للمعلم موقع مؤثر في الأحداث سواء كانوا طلاباً في المدرسة الابتدائية أو في المتوسطة، فكانت فرص الجنوح نادرة جداً وقد تجسدت في هروب البعض من المدرسة، أمّا في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، فقد اختلف وضع المعلم حيث اصبحت دار المعلمين مسؤولة عن قبول المتقدمين من خريجي الصف الثالث متوسط وفي دورة تعليمية لمدة ثلاثة سنوات، حيث يعين

(١) سايكولوجية الطفولةوالمراهقة: ١٣٨.

المتخرج معلماً دون المرور بالخدمة العسكرية، فيكون عمر المعلم أحياناً ثمانية عشر عاماً، وهذا العمر تنقصه التجربة التربوية واللياقة الخلقية حيث انّ أغلب المعلمين لم يصل إلى سن الرشد، وقد وصل الحال إلى قيام بعض المعلمين باقامة علاقة صداقة مع طلاب الصف السادس الابتدائي لأنّ بعضهم مقاربون لهم في العمر، ومن مظاهر هذه الصداقة تبادل اللعب معهم، كلعب الشطرنج والدومينو وغيرها من الألعاب، وفي مثل هذه الأجواء ازدادت فرص الجنوح لغياب المرشد والموجه والمربي، لأنّ بعض المعلمين يحتاجون إلى من يرشدهم ويوجههم ويربيهم، وممّا زاد الطين بلّة انّ بعض المعلمين قد تم تعيينه في مدارس مختلطة أو خصصت له بعض الحصص الدراسية في مدارس للبنات ممّا زاد من فرص الغواية والجنوح.

وأغلب مظاهر الجنوح التي ترتبت على هذه الأوضاع تتمثل بشرب الخمر والانحراف الجنسي وتشكيل عصابات مغامرة تقوم باقتحام البساتين والاستيلاء على ثمارها اشباعاً لروح المغامرة، بينما نرى انّ الجنوح أشد وطأة في البلدان الغربية منه في بلداننا العربية والاسلامية.

احتلت التقارير التي تتحدث عن اعمال العنف في المدارس السويدية مكان الصدارة في وسائل الاعلام، حيث تشير هذه التقارير إلى ارتفاع معدل اعمال العنف بين الطلاب الذين يهاجمون معلميهم بعنف، وجاء في تحقيق اجري على ستة الاف طالب يبلغون الخامسة عشرة من أعمارهم انّ نسبة الهجومات بالسكاكين التي تحصل في المدارس تبلغ ١٠٪ من الهجومات في الأماكن الأُخرى.

وكشفت الشرطة الأمريكية عصابة من ١٦ فرداً تقوم باعداد وتوزيع المسدسات على الراغبين لاستخدامها في شجار الشوارع، واعتبر مسؤولوا

الشرطة الأمر مسألة طبيعية في دولة مثل امريكا، حيث تنتشر العصابات المسلحة في كل شارع وزقاق غير انّ الدهشة حدثت عندما علموا ان أعضاء الشبكة جميعاً من الطلاب المتفوقين في احدى الجامعات، وتقول الشرطة انّ المئات من الأشخاص قتلوا أو جرحوا في المدن الكبيرة بالمسدسات التي أعدّتها وباعتها هذه العصابة[1].

ولو تتبعنا بقية التقارير المرتبطة بمظاهر الجنوح الأُخرى لوجدنا الغرابة المدهشة حيث الانحراف والشذوذ الجنسي والادمان على المخدرات والمسكرات وفي سنّ لا يكاد يصدّق، ومرجع ذلك كلّه إلى الأجواء المنحرفة السائدة في المدرسة والتي يتخرج منها طلاب يتصفون ببعض أو جميع مظاهر الجنوح وهم لا زالوا دون العشرين.

وسبب جنوح الاحداث في المدارس يكمن في:

١ ـ انحراف المنهج التربوي.

٢ ـ انحراف التطبيق.

٣ ـ سوء العلاقة بين الحدث ومنتسبي المدرسة.

ولدور المنهج التربوي في بناء شخصية الحدث قال ارسموش: (سلمني ادارة التربية ردحاً من الزمن، اتعهد لك بأن اقلب وجه العالم باسره)[2].

رفاق السوء

يقوم الرفاق والأصدقاء بدور هام في التنشئة الاجتماعية وفي النمو

---

(١) صحيفة الجهاد ـ العدد: ٧٨٥، آذار ـ ١٩٩٧.

(٢) التربية وبناء الأجيال: ١٤٢.

الاجتماعي للفرد حدثاً كان أم راشداً، فهم يؤثرون في معاييره الاجتماعية، ويسهلون له القيام بأدوار اجتماعية متعددة قد لا تتيسر له خارج نطاقهم، وتتكون منهم جميعاً جماعة أو كتلة اجتماعية لها معايير وقيم واتجاهات، ومن خلال استمرار العلاقة بين الحدث وجماعة الرفاق والأصدقاء تتم التنشئة الاجتماعية لإتصافهم بخصائص واضحة ومتشابهة:

١ ـ تقارب الأدوار الاجتماعية.

٢ ـ وضوح المعايير السلوكية.

٣ ـ وجود اتجاهات مشتركة وقيم عامة.

ويكون للجماعة أو الكتلة اثر كبير في تغيير كثير من ممارسات الحدث السلوكية، حيث تنمو شخصيته لتكتسب نمط شخصية الجماعة، وينمو الولاء للجماعة حتى يصل حد التعصب والولاء لأفكارها وقيمها وممارساتها السلوكية وان كانت خاطئة ومخالفة لقواعد السلوك العام، والذي يحصل في كثير من الأحيان أن يتبع الحدث ميول جماعة الرفاق وان كانت مخالفة لميوله.

وقد أكّدت الروايات الشريفة على هذه الحقيقة، وهي تأثر الفرد بالأصدقاء والرفاق وقرناء السوء.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «جماع الشر في مقارنة قرين السوء»[(١)].

«مصاحبة الأشرار توجب التلف»[(٢)].

«إيّاك ومصاحبة أهل الفسوق، فانّ الراضي بفعل قوم كالداخل معهم»[(٣)].

ورفيق السوء له تأثيرات سلبية على صاحبه، حيث يتأثر به لسهولة

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٤٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الإنسياق وراء الشهوات والملذات، وصعوبة الاستقامة والاعتدال، لذا اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام انّ قرين السوء آفة الخير كما قال: «لكلّ شيء آفة وآفة الخير قرين السوء»[1].

فالانسان وخصوصاً الحدث في عمر الطفولة والمراهقة يتأثّر حتى بالجليس ان كان مرافقاً له، ولذا فان تأثيراته السلبية ستكون آكد في حال كونه جليس سوء.

قال رسول الله ﷺ: «انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير:

حامل المسك، امّا أن يحذك وامّا أن تبتاع منه، وامّا أن تجد منه ريحاً طيبة.

ونافخ الكير، امّا أن يحرق ثيابك وامّا أن تجد ريحاً خبيثاً»[2].

والواقع الاجتماعي مليء بالقصص والشواهد على تأثير الرفاق والأصدقاء بعضهم على البعض الاخر، ومن ذلك ما شاهدناه ونحن نعيش في مرحلة الطفولة المتأخرة ومرحلة المراهقة، ومن هذه المشاهدات، انّ حدثاً ينتمي إلى أُسرة متدينة وقد تربّى تربية صالحة أقام علاقة صداقة مع أقرانه في العمر وفي المدرسة، وتعمقت أواصر هذه الصداقة فبدأ يتأثر بمواقف أقرانه وأصدقائه، ففي سنّ المراهقة وبدافع من روح المغامرة كان رفاقه يدخلون أحد البساتين ليلاً ليحصلوا على بعض الفواكه، وكان ذلك الحدث لا يوافقهم على هذه الممارسة باعتبارها اعتداءً على أموال وممتلكات الناس، ولكنّه كان يدخل معهم إلى البستان دون أن يمدّ يده، وبمرور الزمن تأثر بهذه الممارسة تدريجياً،

---

(١) المصدر السابق: ٤٣٣.

(٢) مسند الصحابة ١: ١٩٠.

فكان يرشدهم إلى الشجرة الأكثر ثمراً دون أن يقتطف الثمر بيده، واستمر على هذه الحالة إلى ان أصبح أحد الممارسين دون مراعاة لأموال وممتلكات الناس التي كان يؤمن بضرورتها.

ولجماعة الرفاق تأثير واضح على ايقاع الحدث في مهاوي الانحراف والجنوح كالكذب والسرقة والاعتداء على الاخرين اضافةإلى الانحراف أو الشذوذ الجنسي.

وسائل الاعلام

وسائل الاعلام هي المدرسة الكبرى للمجتمع عموماً وللأحداث خصوصاً، حيث تلعب دوراً كبيراً في التنمية الأخلاقية والاجتماعية للأحداث، ولكل وسيلة اعلامية تأثيراتها الواضحة في مجتمع الأحداث والكبار على حد سواء، ويكاد ينفرد التلفزيون في تأثيراته على الأحداث لأنّهم يرون واقعاً مجسداً في صورة وصوت معاً خلافاً للراديو أو المجلة أو الصحيفة أو ما شابه ذلك، وان سرعة التأثر ناجمة عن كونهم في عصر الانطباع والتقليد وتقبل المؤثرات الايجابية.

ومن خلال نظرة موضوعية لعلاقة الأحداث بالتلفزيون نجد أنّ مشاهدة الأحداث له في اطراد وخصوصاً الاناث، وقد دلّت الدراسات على أنّ الأحداث يميلون إلى مشاهدة كل ما يقدم على شاشة التلفزيون وحتى البرامج المعدة أساساً لغيرهم من المشاهدين.

وقد أُجريت دراسات في مجال التعرف على الأعمار التي يشرع فيها الأحداث التعرف على جهاز التلفزيون قبل غيره، وقد اتضح من بحث أجرى

عام ١٩٧٩ أنّ:

٣٧٪ من الأطفال يستعملون جهاز التلفزيون ويشاهدونه وهم في سن الثالثة.

٦٦٪ منهم يستعملونه ويشاهدونه وهم في سن الرابعة.

٨٠٪ منهم يستعملونه ويشاهدونه وهم قبل سنّ الخامسة.

٩٠٪ منهم يستعملونه ويشاهدونه وهم في سنّ السادسة.

وقد اتضح كذلك أنّ الأطفال ينفقون في مشاهدة التلفزيون أوقاتاً أكثر من انفاقها في نشاطات أُخرى[1].

والحدث بمشاهدته المتكررة للتلفزيون يتأثّر بشخصيات من يراهم ويشاهدهم وبأبطال الأفلام والمسلسلات، وهنالك عوامل تسهل له تقمص شخصية من يرى ويشاهد ومنها:

١ ـ مرحلة الطفولة هي مرحلة المحاكاة.

٢ ـ يتكون لدى الطفل شعور بأنّه شبيه بالنموذج الذي أمامه.

٣ ـ إنّ الأطفال بما لديهم من حيوية يحبون الحركة والسرعة، وهذا ما يشاهدونه في الأفلام حيث السرعة واقتران الكلمة بالحركة الجسمية، فيتأثّرون ويستسلمون لارادة النموذج الذي يرونه ويشاهدونه.

والتلفزيون سلاح ذو حدين يكون تابعاً للمنهج التربوي للدولة، فهي التي تتحكم في اختيار برامجه ولها الدور الفعّال في إصلاح أو إفساد الأحداث.

وقد أكّد الباحثون على دور التلفزيون في التاثير على شخصية الحدث بحيث يزوده بأساليب الجنوح والانحراف، ويثير في نفسه روح العدائية والميول

---

(١) سايكولوجية الطفولةوالمراهقة: ١٦٠.

الجنسية المبكرة والمتفتحة، أو تعرض أمامه صوراً دعائية تتنازل فيها المرأة عن كرامتها لتصبح مصدراً للاثارة والتشويه الأخلاقي بعكس ما هي عليه من قيم وأدوار ذات رسالة اجتماعية، كما أنّ المشاهدة المتكررة لأفلام تصور حالات من اليأس والعجز والموت نتيجة غلبة تجار المخدرات والخارجين على القانون تشكل لدى الحدث بنية نفسية قد تسلك طريق الانتقام أو قد تسلك طريق الوقوع في شباك الضعف، وفي كلتا الحالتين يكون الانحراف سلوكاً محتملاً[1].

ويشكل التلفزيون والفيديو والسينما أساس الانحراف في مجتمعات لا تتبنى الدين منهجاً في الحياة، ولا تراعي الموازين والقيم السلوكية الصالحة.

لقد تبيّن من دراسة اجريت في الولايات المتحدة على ١١٠ من نزلاء مؤسسة عقابية أنّ ٤٩٪ من هذه المجموعة أعطتهم السينما الرغبة في حمل السلاح و١٢ ـ ٢١٪ أعطتهم السينما الرغبة في السرقة ومقاتلة الشرطة.

ومن خلال دراسة اجريت على ٢٥٢ فتاة منحرفة بين سن ١٤ ـ ١٨ سنة، تبيّن انّ ٢٥٪ منهن مارسن العلاقات الجنسيةنتيجة مشاهدتهن مشاهد جنسية مثيرة في السينما و٤١٪ منهن قادتهن المشاهد إلى الحفلات الصاخبة والمسارح الليلية، و٥٤٪ منهن هربن من المدرسة لمشاهدة الأفلام.

وجاء في تقرير الهيئة الصحية العالمية عن انحراف الاحداث، وعلى لسان أحد القضاة الفرنسيين العاملين في ميدان الأحداث ما يأتي:

لا يخالجني أي تردد أن لبعض الأفلام، وخاصة الأفلام البوليسية المثيرة معظم الأثر الضار على غالبية حالات الانحراف لدى الأحداث.

وفي انكلترا تمكنت بعض الدراسات من خلال استجواب ١٣٤٤

---

(١) الطفولة المنحرفة: ٧٩.

شخصية اختصاصية حول العلاقة بين السينما وانحراف الاولاد دون السادسة عشرة، فأجاب ستمائة منهم بوجود علاقة بين انحراف الأحداث والسينما.

كما أظهرت بعض الدراسات في الغرب على أنّ بعض السرقات الكبيرة كان الدافع إليها تردد الأحداث بشكل متكرر إلى قاعات السينما[1].

وأرسلت جميعة رعاية المدمنين ومحاربة الادمان في مصر مذكرة إلى نقابة الممثلين تطالبها بالقضاء على السلبيات التي تناولت قضية الادمان في أفلام السينما، وذكرت صحيفة الوفد: انّ المذكرة تؤكد ايضاً انّ السينما المصرية ساهمت بشكل فعّال في زيادة عدد المدمنين وشجعت الشباب في الاتّجار بالمخدرات وليس العكس[2].

ومن القصص المشاهدة على ذلك، قصة طفلة بريطانية عمرها ستّ سنوات قتلت جدّها بالرصاص أثناء محاولتها إعادة تمثيل مشهد من أحد أفلام سيلفستر ستالوني كانت قد شاهدته للتوّ.

وأعطى برين برايس المغرم بالأسلحة النارية حفيدته التي كانت تزوره المسدس غير مدرك انّه محشو. فاطلقت النار عليه فاردته قتيلاً، وقالت الطفلة للمحققين: كنت ألعب بالمسدس، ولم أكن أعرف أن به رصاصاً[3].

وقال باحث في جامعة ولاية بنسلفانيا الأمريكية: إنّ هناك صلة قوية للغاية بين انتشار التلفزيون وتفشي الاصابة بالاكتئاب بين الشبان الأمريكيين منذ الحرب العالمية الثانية، واكّد استاذ طبّ النفس المساعد في مركز ميلتون هيرشي التابع لجامعة بنسلفانيا: انّ الأثار الاجتماعية للتلفزيون ينبغي ادراجها

---

(١) الأحداث المنحرفون: ٨٢.

(٢) صحيفة الوفاق ـ العدد: ٥٠٣ ـ نيسان ١٩٨٨.

(٣) نور الاسلام ـ العدد: ٨٦ ـ تشرين الاول ١٩٩٥.

ضمن الأسباب المحتملة للاصابة المبكرة بالاكتئاب الشديد بين الشباب.

وقال في بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للطب النفسي: إنّ الاف الساعات من مشاهدة التلفزيون تعرض ابناءها لنوبات متكررة من العنف اللاارادي، وربما تزيد من ابتعاد الأبناء عن الصلات الاجتماعية برفاقهم واسرهم، مما يؤدي إلى تزايد مخاطر الاصابة بالاكتئاب الشديد[1].

ومن جرائم الأحداث ما ذكرته الأخبار بخصوص الحكم الصادر عن محكمة ليفربول البريطانية في ٧ شباط عام ١٩٩٣ الذي قضي بالسجن مدى الحياة على طفلين بعمر العشر سنوات لقتلهما الطفل جيمس البالغ من العمر سنتين، وهي القضية التي هزّت المجتمع البريطاني والتي أبرزت تأثير أفلام العنف في أذهان الأطفال وفي تشكيل شخصياتهم بعد ما تأكد المحققون من تأثر الطفلين بفيلم فيديو اسمه «لعبة الأطفال ٣» الذي راج بشكل واسع بين اطفال المجتمع البريطاني والذي وجدت نسخة منه في منزل الطفلين القاتلين اللذين أجهزا على ضحيتهما بعد تعذيبها بشدة.

وذكرت الصحف أيضاً أن ثلاثة أولاد بين التاسعة والعاشرة من العمر متهمون في فيرتي سورسين في فرنسا بقتل أحد المتشردين.

ويحكى عن ناقد سينمائي كان بحكم وظيفته يشاهد كل الافلام المعروضة أو التي ستعرض لتحليلها بهدف النقد والتقويم وقد ساءت تصرفاته مؤخراً وبدأ يتعامل استفزازياً مع افراد اسرته ومع الاخرين، وتبين لاحقاً انّ مشاهد العنف التي كثرت في الفترة الأخيرة أثّرت فيه وهي وراء حالته المستجدة، ولم يتخلص مما هو فيه الاّ بعد أن تنحى عن عمله وقدّم استقالته[2].

---

(١) نور الاسلام ـ العدد: ٥١ ـ ١٩٩٤.

(٢) العنف والجريمة: ٧٩، ٨٠.

ومن خلال الملاحظات الميدانية نجد انّ الانحراف والجنوح قد ازداد بانتشار التلفزيون وخصوصاً في البلدان والمجتمعات التي لا تتقيد بالقيم والموازين السليمة.

انحراف العلماء والحكّام

من السنن التاريخية في مسيرة المجتمعات انّ للعلماء والحكّام دوراً كبيراً في تغيير المجتمع نحو الأحسن أو الأسوء، فللعلماء سلطان على الناس وخصوصاً علماء الدين، ولهم قدسية خاصة ويملكون مواقع تأثير متعددة على الأفكار والعواطف والارادات، وللحكّام سلطان قوة حيث يسيطرون على مواقع القوة كالقانون والاعلام والموارد الاقتصادية، وبيدهم عوامل الترغيب والترهيب، وهذه حقائق موضوعية أكّدتها الروايات الشريفة واكّدها العقل السليم في نظرته لحركة التاريخ وحركة المجتمعات.

قال رسول الله ﷺ: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح النّاس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأُمراء»[1].

وفي رواية انّه ﷺ قال: «صنفان من أُمتي إذا صلحا صلحت أُمتي، وإذا فسدا فسدت امتي... الفقهاء والأُمراء»[2].

وقد تواترت الروايات لتؤكد هذه الحقيقة الموضوعية.

قال رسول الله ﷺ: «آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل»[3].

---

(١) الجامع الصغير ٢: ١٠١.

(٢) تحف العقول: ٣٦.

(٣) الجامع الصغير ١: ٦.

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «زلّة العالم كانكسار السفينة تغرق وتغرّق معها غيرها»[1].

وقال أيضاً: «الملك كالنهر العظيم، تستمد منه الجداول، فإن كان عذباً عذبت، وان كان مالحاً ملحت»[2].

وقال ﷺ: «السلطان الجائر والعالم الفاجر اشدّ الناس نكاية»[3].

وقال ﷺ: «آفة العامة العالم الفاجر»[4].

ويرى ﷺ: انّ الرعية تتأثر بقيم الراعي: «قلوب الرعية خزائن راعيها، فما أودعها من عدلٍ أو جورٍ وجده»[5].

وفيما يلي نستعرض تأثير انحراف العلماء والحكام على المجتمع بكل طبقاته وخصوصاً الأحداث.

١ ـ انحراف العلماء

لعلماء الدين دور فعّال في بناء المجتمع السليم والتصدي لجميع ألوان الانحراف الذي يهدّد فكر المجتمع وسلوكه ومسيرته التاريخية، وهم ليسوا مجرد وعاظ ومعلمين لطقوس دينية أو فروض منطقية، انهم قادة روحيون، يتحملون مسؤولية الهداية والاصلاح والتغيير الشامل.

ويكاد يكون دور علماء الدين أكثر تأثيراً من دور الوالدين والمعلمين وسائر المربين، لما لهم من مكانة اجتماعية، ولهم قدسية خاصة في العقول

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة - ٢٠ حكمة ٢١٢.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٣٤٧.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ٤٨.

(٥) المصدر السابق: ٣٤٦.

والقلوب، ونحن نجد من خلال استقراء التاريخ أنّ الامة تستجيب للعلماء دون تردد أو تراجع، وتندفع للاستجابة لاوامرهم عن قناعة، وتستسلم لهم استسلاماً ذاتياً، لانها تشعر بقدسية الأوامر والتوجيهات والارشادات.

والعلماء لهم دور القدوة وهم محط انظار الناس لأنّ الإنسان يتشبه بـمن لهم سلطان روحي ونفسي عليه، ويتأثر بمفاهيمهم وقـيمهم ويـحاول الاقـتداء بسيرتهم.

وعلى ذلك فانّ صلاح العلماء صلاح للناس وانّ فسادهم فسـاد للـناس وخصوصاً الأحداث الذين يمرون بمرحلة التقليد والمحاكاة، ويتأثرون بصلاح المجتمع والمحيط أو فساده وانحرافه، من جميع النواحي: الفكـرية والعـاطفية والسلوكية، ومن هنا فانّ انحراف عـلماء الديـن يـؤدي إلى انـحراف المـجتمع وانحراف الأحداث تبعاً لذلك لغياب القدوة الصـالحة وفـقدان المـيزان العـملي للسلوك.

وأول بوادر انحراف العلماء مخالفةسلوكهم للـقواعـد والمـوازيـن التـي تعلموها أو علموها للناس، فاذا خالف العالم علمه فـانّ مـوعظته لا تـجد لهـا موضعاً في قلوب الناس، وبالتالي لا يتأثرون ايجابياً، بل قد تؤدي ردود الأفعال إلى التمرد على الموازين والقيم الثابتة.

قال أحد العارفين: انّ عامة الناس أبداً دون المتلبس بالعلم بمرتبة، فإذا كان ورعاً تقياً صالحاً تلبست العامة بالمباحات، وإذا انشغل بـالمباح تـلبست العامة بالشبهات، فاذا دخل في الشبهات تعلق العامي بالحرام، فاذا تناول الحرام كفر العامي.

وقد بيّن الامام جعفر الصادق عليه السلام اثار التناقض بين العلم وتطبيقه فـقال: «انّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عـن القـلوب كـما يـزل المـطر عـن

الصفا»[1].

وحينما يستغل العالم علمه لاغراضه الشخصية ومنافعه الذاتية فانّ المجتمع سيبغضه ويبتعد عنه ويصبح في أجواء الهوان كما قال أمير المؤمنين ﷺ: «لو انّ حملة العلم حملوه بحقه لأحبهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا، فمقتهم الله وهانوا على الناس»[2].

وقد تقدّم الحديث الذي شبّه زلة العالم بانكسار السفينة، لانها لا تغرق وحدها بل تغرق معها من ركب فيها، فاذا كان انحراف العالم واضحاً فانّ غيره سيفقد الثقة بالجميع وينعكس ذلك على ايمانه واعتقاده بالدين فيستهين به، وإذا كان الانحراف غير واضح عن طريق التباس المفاهيم واختلاط الموازين، فإنّ الانحراف سيستشري في المجتمع وخصوصاً في مجتمع الأحداث، ومن ثم تبقى الموازين متغيرة تبعاً لتغير الأهواء والرغبات والمصالح، فلا ثبات في النظرية التي يراد مزاولتها في الواقع.

وانحراف العالم يختلف غالباً عن انحرافات سائر افراد المجتمع، فلا يتصور ان عالماً دينياً يشرب الخمر أو يلعب القمار أو يعتدي على أعراض الآخرين، فانّ هذه الانحرافات تخرجه موضوعاً عن عنوان العالم وتبعده عن افراد المجتمع بعداً نهائياً لا يقوى بعده على النهوض والعودة إلى مواقع التصدي أو الوعظ والارشاد، وغالباً ما يكون الانحراف قائماً في الامور والقضايا المبهمة أو التي يمكن فيها اللبس والخلط، والتي تجد للمبررات مورداً فيها ومنها:

١ ـ زرع بذور التعصّب الديني والمذهبي والقومي.

٢ ـ حب الدنيا.

---

(١) المحجة البيضاء ١: ١٢٧.

(٢) تحف العقول: ١٣٨.

٣ ـ التصرف بأموال الناس وكأنها ملك شخصي له ولذويه.

٤ ـ تقديم المصلحة الذاتية على المصالح العامة.

٥ ـ الاقتصار على الدراسة والتدريس والتخلّي عن المسؤولية في اصلاح جميع قطعات المجتمع.

٦ ـ التنافس غير المشروع مع غيره من العلماء.

٧ ـ الاستعلاء على افراد المجتمع بحجة قيادتهم للخير.

٨ ـ تقريب المتملقين والانتهازيين.

٩ ـ الاستبداد بالرأي.

١٠ ـ التعامل مع طبقة خاصة من الناس.

واشدّ مظاهر الانحراف خطراً هي الركون إلى الدنيا، والانغماس في الملذات المباحة، والوصول إلى اقصى درجات الترف والرخاء، تحت ذريعة التنعم بالنعم الالهية واظهارها، لأنّ الترف يوجه الاتهام لصاحبه ويجعله مورداً للظنون والشكوك من قبل افراد المجتمع وخصوصاً الأحداث الذين يتابعون دقائق الأُمور بجدية وعمق، ويعترضون على أدنى خلاف مع الموازين الثابتة في التعامل والممارسات السلوكية، وخصوصاً في حال المقارنة بين اوضاعهم المادية والاقتصادية واوضاع أبناء وبنات علماء الدين المترفين.

والتركيز على الترف انما جاء لأنّه محل ابتلاء يبتلى به الكثير من علماء الدين، وهو أساس ألوان الانحراف الأُخرى كتغيير القواعد الدينية الثابتة من أجل الحصول على مزيد من المكاسب والامتيازات، والتفرقة في المعاملة بين أصحاب رؤوس الأموال والفقراء، اضافة إلى استخدام التورية والتمويه بل أحياناً الكذب الواضح الصريح.

والانحراف انما يصدر من الذين يتخذون الدين حرفة وصناعة، ويكمن

خطر الانحراف عندما ينظر إلى هؤلاء وكأنّهم الدين نفسه، والانـحراف بـجميع ألوانه ومظاهره يؤدّي إلى انحراف المجتمع وخصوصاً الأحداث الذين يفتقدون المثل الأعلى الذي يجسد القيم والمبادىء ويقررها في واقع الحياة، فينصرفون عن الدين وعن موازينه الفاضلة وقيمه السامية، لانهم وفي بداية تـطلعهم نـحو الحياة ونحو المستقبل لم يقفوا على الدين، بل سمعوا ما يتلى عليهم من رجـل باسم الدين، وشاهدوا ما يطبق في الحياة باسم الدين، وهو مـخالف لـلقواعـد العامة للسلوك وللمنطق المستقيم، ومن هنا يـدرك الأحـداث وخـصوصاً فـي مرحلة الطفولة المتأخرة أو مرحلة المراهقة انّ ما يسمع أو يـطبق يسـتحيل أن يكون صادراً من الدين ومن منعم الوجود، وإذا فرض انّه دين، فهو لم يعد صالحاً للمجتمع الانساني في هذه المرحلة الزمنية، وبالتالي ينصرف الحدث عن الدين وعن قيمه السامية لانه رأى انساناً مثله انتسب إلى الدين كذباً أو احترافاً ثم جعل نفسه قيّماً على الآخرين دون وعي واخلاص.

وكثيراً ما يؤدي انحراف علماء الدين إلى الابتعاد عـن الديـن نـفسه كـما حدث في الدول والمجتمعات غير الاسلامية، امّا في مجتمعاتنا الاسلامية فان الأمر لم يصل إلى هـذه الدرجـة فـلا زال كـثير مـن العـلماء فـي قـمة الوعـي والاخلاص والتقوى، وهم وحدهم القـدوة دون العـلماء المـنحرفين، ولا زال الشباب يميز بين النموذجين ولم تخل مجتمعاتنا من العلماء المجددين المواكبين للتطور والمجسدين لمفاهيم الدين وقيمه في واقعهم وسيرتهم، وان كان الكثير منهم منزوياً وبعيداً عن الأضواء لزهدهم وتواضعهم وتقواهم.

وفي واقـعنا المـعاصر هـنالك نـماذج انـتسبت إلى الديـن زوراً وبـهتاناً وأصبحت في مواقع الصدارة، وخصوصاً في مجتمعي الذي أعيش فيه، ولا اريد أن أذكر بعض هذه النماذج وخطورتها على حركة الأحداث والشباب لكـي لا

يخرج الكتاب عن اطاره التربوي والّا فالممارسات التي ارتكبت باسم العلم وباسم الدين ليست بالقليلة حتى وصل الحال إلى التلاعب بالمفاهيم والموازين الثابتة لتبرير الأهواء والمصالح الذاتية.

قال الامام محمد الباقر عليه السلام: «إيّاكم والجهّال من المتعبدين، والفجّار من العلماء، فإنّهم فتنة كلّ مفتون»[1].

٢ ـ انحراف الحكّام

من الحقائق التاريخية انّ المجتمعات تتأثّر بحكّامها، حيث تنعكس أخلاقية الحاكم وأجهزة الحكم على الناس خيراً أم شراً، وهذه حقيقة لا تقبل المناقشة، فالحاكم يحرص على تغيير المجتمع طبقاً لاهوائه أو متبنياته الفكرية والعاطفية والسلوكية، ويستطيع تحقيق ما يحرص عليه لامتلاكه لمصادر القوة في تحريك المجتمع، وفي ظل الحكومة المنحرفة يستشري الانحراف ومنه انحراف الأحداث، لانها تكون بؤرة لتهيئة جميع أو أغلب الوان ومظاهر الانحراف والجنوح.

ففي ظلّ الحكومة المنحرفة لا تبقى أيّ قيمة للمفاهيم والموازين الصالحة، ومن لوازمها عدم الاهتمام بالتنشئة والتربيةالصالحة، وقد تقوم بتشجيع الانحراف كالسماح في افتتاح اماكن الفسق والفجور كحانات الخمر والملاهي وبيوت الدعارة، وتشجيع السينما والتلفزيون الاباحيين، ومضايقة دعاة الاصلاح والتغيير ومحاصرة نشاطاتهم الاجتماعية.

---

(١) قرب الاسناد: ٧٠.

ومن أخطر الاجراءات قيام الحكومة بسن القوانين التي تشجع على الانحراف ولو بصورة غير مباشرة ومنها التساهل مع المنحرفين أو عدم الاهتمام بهم لإعادتهم إلى الاستقامة، فحين يجد الجانح أن يد الحكومة لن تصل إليه فانه لن يتردد في الممارسات الجنوحية التي لا يعاقب عليها القانون.

والحكومة المنحرفة تهيأ الأجواء للانحراف، عن طريق ممارساتها المنحرفة وفي طليعتها ممارسة الظلم والاضطهاد والتمييز العنصري وقمع الحريات، وعدم المساهمة في اشباع الحاجات الأساسية للمجتمع، وكذلك الاستئثار بمواقع المسؤولية وبمصادر القوة، وعدم الحرص على أمن المواطنين، واثقال كاهلهم بالضرائب والعقوبات المالية، وكل ذلك يجعل الأوضاع صالحة للجنوح، امّا استسلاماً للأمر الواقع والانسياق وراء الممارسات الجنوحية، أو تمرداً على الواقع دون تريث وتعقل، واللجوء إلى العنف لتغييره أو الانتماء إلى الحركات والأحزاب التي ترفع الشعارات البراقة من أجل منافع ومصالح قادتها دون المجتمع.

وفي جميع الأحوال فانّ الأحداث سينساقون وراء الممارسات الجنوحية أو يتمرّدون على الواقع تمرداً لا يحل الأزمة بل يزيدها تأججاً، باستثناء بعض الأحداث الذين يتبنون الاصلاح الاجتماعي كوسيلة لتغيير الواقع تاركين الأمر لغيرهم.

وخلاصة القول: ان انحراف علماء الدين والحكّام يؤدّي إلى انحراف المجتمع وخصوصاً الأحداث، وينطفأ قبس المعرفة، وستغلق منافذ الهداية والصلاح في العقول والقلوب.

وفي موضوعنا هذا نكتفي بشاهدين على دور الحكومة في انحراف المجتمع وخصوصاً الأحداث، فالحكومة التي تبيح الخمر والشذوذ الجنسي

تساهم مساهمة فعالة في تجذير الانحراف في مجتمعاتها، وخصوصاً اباحة الخمر لانه اساس كثير من ألوان الانحراف.

فقد أوضح الاستاذ النمساوي Seelig: انّ الكحول عامل بيئة يحرك الجريمة، وخاصة لدى الشخص الذي يتصف بالروح العدوانية، والشخص الذي تنقصه المكابح الجنسية، فالكحول يحول المسار الطبيعي للشعور، ويصيبه بشلل نسبي يحرم السكران من السيطرة على ارادته، فتنطلق الاندفاعات الغريزية ولا يعود الشخص قادراً على السيطرة على كبح جماح نفسه من الاندفاع في كثير من الحالات إلى ارتكاب الجريمة.

وقد أجريت عدة دراسات جادة لمعرفة تأثير المسكرات على الاجرام، ومنها الاحصاء الذي اجراه الاستاذ Grebaut في فرنسا:

انّ ٥٣٪ من القتلة، و ٧٠٪ من مرتكبي جرائم الضرب والجرح و٥٧٪ من مرتكبي الجرائم الأخلاقية و ٨٠٪ من المتسولين والمتشردين، هم من الكحوليين.

كما تبين من الاحصاء الذي أورده الاستاذ Kinberg: انّ ٨٥٪ من القتلة و ٧٥٪ من مرتكبي جرائم العنف في السويد هم من الكحوليين[١].

وكتب أحد الباحثين عن الوضع في أمريكا قائلاً: انّ ظواهر مثل الادمان على المخدرات، والتصرفات الجنسية غير الشرعية، موجودة في معظم المجتمعات، ولكنها متفشية في الولايات المتحدة على نحو خاص... فقد تخلى النظام التربوي الامريكي عن التربية الخلقية، التي كانت في السابق إحدى المواد الأساسية في مناهج المدارس الأمريكية.

---

(١) دراسات معمقة: ٤٤.

ومن أبرز المؤشرات على سوء حالة المجتمع الأمريكي الراهنة انّ الرئيس كلينتون قرّر في الأيام الاولى من توليّة مهام الرئاسة السماح لممارسي الشذوذ الجنسي بالانضمام إلى الجيش[1].

---

(١) نور الاسلام ـ العدد ٤٣ ـ ٤٤ ـ ص٩٦.

الأسباب والظروف الاستثنائية لجنوح الأحداث

أولاً: الهجرة

الهجرة غربة مضاعفة، غربة عن المجتمع وغربة عن الأهل والأرحام، وهي موقف اضطراري يتخذه الإنسان بعد أن يحاصر في عقيدته وحريته في بلده، أو يواجه صعوبات اجتماعيةوسياسية واقتصاديةتدفعه للهجرة.

ويعاني المهاجر في مهجره العديد من المصاعب والآلام المادية والنفسية، ابتداءً من الفقر والعوز ومروراً بمشكلة السكن والعمل، وعقبات التكيف مع المجتمع الجديد حينما يضطر المهاجر إلى تقديم مبرر يفسر هجرته للذين من حوله وخصوصاً إذا كانوا يختلفون عنه في الانتماء القومي والمذهبي، اضافة إلى ضغط مشاعر الحنين إلى الأهل والوطن.

ومن الآثار السلبية للهجرة ما يلاقيه الإنسان من تقلبات سياسية واجتماعية تؤدي به للاستسلام للهموم والآلآم أو الندم على الهجرة وعلى المواقف السابقة التي كانت السبب وراء هجرته، فيعيش حالة من الاضطراب والتوتر تنعكس على جميع مقومات شخصيته: الفكرية والعاطفية والسلوكية.

ومن أشدّ الظروف وطأة على المهاجر تناسيه للمفاهيم والقيم التي ضحى وهاجر من أجلها، وشعوره بالاحباط نتيجة انشغاله بهموم هامشية لم تكن في الحسبان، فبعد حمله لهموم الامة وهموم الامم جميعاً وتفكيره المثالي في تغيير المجتمع البشري بمبادئه وقيمه التي يؤمن بها، تحوّل في المهجر إلى انسان

يبحث عن لقمة عيش أو سكن يستقر فيه، ويبقى يعيش التناقض بين هموم المبادىء وهموم الواقع، اضافة إلى اضطراره للارتباط بسياسة الدولة التي هاجر إليها، والتي لا تختلف احياناً عن سياسة دولته التي هاجر منها.

وظروف الهجرة تنعكس سلبياً على الأحداث حينما يجدون والديهم في دوامة من القلق والاضطراب والخوف من المجهول، وقد يجدون تناقضاً بين عادت المجتمع وعادات الوالدين ممّا يسبب لهم تناقضاً في التعامل والممارسات في البيت وخارجه، وقد يشعر بعض الأحداث بالنقص لاختلاف وضعه الاقتصادي عن أوضاع أقرانه، أو اختلاف لغته عن لغتهم.

وفي بعض البلدان قد تكون الأوضاع مضطربة ممّا يؤدي إلى عدم وجود رقابة تامة من قبل الوالدين على اطفالهم، أو يدفعهم الفقر لتشغيلهم في أعمال غير مناسبة ممّا يؤدي إلى استغلالهم للقيام بأعمال مخالفةلقواعد وضوابط السلوك السليم.

وفي بعض البلدان يقطن المهاجرون في مخيمات تتقارب فيها المنازل الضيقةويعيش فيها المهاجرون على ما يقدم لهم من تلك الدولة من معونات مالية وغذائية، وفي جميع احوالها فانها تجعل الأحداث يعيشون بلا استقرار وطمأنينة، وينشغل الوالدان بهمومهم وأوضاعهم الاستثنائية، ممّا يدفعهم الأمر إلى اهمال تربية الأطفال وضعف الرقابة عليهم، وتشجع هذه الأجواء على فقدان الكرامة والمكانة الاجتماعية، حينمايجد الحدث نفسه أو أحد والديه ينتظر المعونات التي تقدّم إليه.

ولا تختلف الهجرة إلى البلدان الغربية عن الهجرة إلى البلدان الاسلامية من حيث الاثار السلبية المترتبة على اوضاع الاحداث النفسية والعاطفية والخلقية، فالمهاجر إلى البلدان الغربية وان كان يحصل على مرتب مادي يشبع حاجاته

وحاجات أسرته الأساسية إلّا انّه يبقى يعيش هموم الغربة عن الوطن وعن الأهل والأرحام، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فانّ اطفاله سيتاثرون بأجواء الانحراف والرذيلة التي تسود تلك البلدان، في المدرسة والشارع ووسائل الاعلام.

ثانياً: الحرب

الحرب كارثة انسانيةمهما كانت أسبابها وأهدافها المعلنة والمخفية، ولها آثار سلبية على جميع جوانب الشخصية، وعلى جميع مقومات الحركة الاجتماعية، وتترك بصماتها على الأحداث وتجعلهم يعيشون في أجواء الرعب والقلق والاحباط الدائم، وتسلبهم الراحة والهدوء والهناء، ويؤدي اشتراك الأب فيها إلى قلق الأُسرة بأكملها والعيش بلا استقرار وطمأنينة، اضافة إلى غياب السلطة الضاغطة على الطفل وعلى مطلق الحدث، وغيابها يعني غياب التوجيه والإرشاد وغياب المراقبة والمتابعة والمحاسبة، ويتحول فقدان الأب أو قتله إلى كارثة حقيقية تطبق على مشاعر الطفل وعواطفه واتّزانه الانفعالي، ويبقى يعيش الحرمان في مقتبل عمره.

وتنعكس آثار الحرب على الجميع وان لم يشارك البعض فيها، ويبقى الحدث متفاعلاً معها في جميع ميادين حركته، حيث تتحول العابه إلى العاب عسكرية وحربية على مستوى الوسائل والآليات أو الممارسة العملية، فتكون وسائل العابه هي الدبابة والرشاشة والمسدس، ويصبح لباس بعض الاحداث مشابهاً للباس العسكري، اضافةإلى تأثير وسائل الاعلام على نفسيات الاحداث، حيث يكون للعنف والقتل المكان الأوسع في مسمع ومرأى

المشاهدين للسينما والتلفزيون.

وأوضاع الحرب عموماً تعزز لدى الأحداث مشاعر العداء وتأجيج نار الحقد وحب الانتقام، وبالتالي يقع صاحبها في أجواء العنف والجريمة أو ما يدور في فلكهما.

وعن تأثير الحرب قال القاضي غسان رباح ممثل لبنان في مؤتمر عقد في عمان تحت عنوان «أطفال الحرب إلى اين؟»: إنّ هؤلاء الأحداث الذين تم استجوابهم وقد حكم عليهم بسبب ارتكابهم جرائم خلال الحرب، كانوا يتوقون إلى مستقبل مغاير لما أصبحوا فيه، الاّ أنّ الحرب منعتهم من تحقيق طموحاتهم.

وقال الدكتور جليل وديع شكور: انّ المثال الأعلى لشبيبتنا في خلال الحرب كان ضعيفاً، ففي البيت واجه الطفل حالات احباط ومشاعر عجز طاولت الأهل بصور عديدة منها مثلاً:

- معايشة مشاعر التقصير المتنامي من عجز الآباء عن تأمين حاجات الأبناء في ظروف اقتصادية منهارة.

- معايشة أعصاب الأهل المستنفرة باستمرار من استعدادهم الدائم لمواجهة المجهول المخيف وعجز الاباء عن تحقيق الأمان والطمأنينة في ظروف كل احتمال فيها وارد.

- معايشة مشاعر القحط والعوز من تآكل الاجور وعجز الاباء عن تدبّر الأمر في ظروف التضخم والاحتكار.

- معايشة مشاعر الغربة من تفكير الآباء بالهجرة في ظروف طغت عليها عوامل التفريغ والتجويع.

- معايشة مشاعر التفكك الاسري من انخراط الأب والأم والاخوة حتى الصغار منهم في سوق العمل، وعجزهم عن الاتصال والتواصل في ظروف غابت

عنها المشاعر الانسانية.

ـ معايشة مشاعر الاذلال والتبخيس من قبول الآباء للاعاشات والمساعدات وعجزهم عن طرح البديل في ظروف نفسية ضاغطة.

وفي المدرسة، عايش الطفل انهيار السلطة من خلال ضعف الادارة وتلاشي هيبة المعلم.

وادّى غياب المثال الأعلى المرغوب فيه، إلى قيام بعض الأحداث إلى اتخاذ مثاله من حمل السلاح، وبهذا السلاح كان يتقوى ويشعر بالاطمئنان والحماية والرجولة.

وأدت الحرب إلى تعاطي العديد من الشباب المخدرات علهم يحققون بذلك حالة اشباع بعد أن افرغتهم الحرب نفسياً واخلاقياً وتعاطياً اجتماعياً، غير أن الاحباط كان يزيد جولة بعد جولة وأعمال العنف والجريمة تزداد يوماً بعد يوم بحيث يصبح الرجوع عن الجريمة أمراً متعذراً بعد الانخراط في وحولها[1].

ومن تبعات العمليات العسكرية ذكرت منظمة اليونسيف إلى أنّ الكثيرين من الأطفال يعانون من ممارسات بشعة مثل تعرض الفتيات في شكل خاص إلى العنف الجنسي، ففي البوسنة والهرسك وكرواتيا ورواندا تم استخدام الاغتصاب كتكتيك متعمد للتأثير على معنويات المجتمعات المحلية، وكصيغة من صيغ التطهير العرقي.

وذكرت المنظمة: أن الأطفال الناجين من الحروب يعانون من مشكلات نفسية حادة، فقد وجدت دراسة لأوضاع الأطفال في أنغولا في العام ١٩٩٥ إنّ ٦٦٪ من الأطفال شاهدوا عمليات القتل وأن ٩١٪ شاهدوا جثث القتلى وإنّ

(١) العنف والجريمة: ٣٨، ٤٥.

٦٧٪ شاهدوا اناساً يتعرضون للتعذيب أو الضـرب أو الأذى، وهـذه الخـبرات تتجسد في سلسلة من الأعراض التي تتفاوت ما بين الكـوابـيس والاحـسـاس العام بالخوف وانعدام الأمن والشعور بالمرارة[١].

وكلّ هذه الآثار تساهم مساهمة فعالة فـي جـنوح الأطـفال، لفـقدانـهم التوازن الانفعالي والعاطفي، وفقدانهم للاشراف والتوجيه والتربية في مثل هذه الأجواء.

---

(١) الطفولة المنحرفة: ٦٣.

الفصل الثالث

الوقاية من جنوح الأحداث

تمهيد

الوقاية من جنوح الأحداث ليست عملية هينة إذا نظرنا إلى طبيعة النفس الإنسانية المتسمة بالمحدودية والضعف والعجلة، فهي عملية شاقة وعسيرة، لمواجهتها للكيان الإنساني بما يحمل من رغبات ونزوات وشهوات متجذرة أو طارئة أو متقلبة، ولمواجهتها للتناقض السلوكي لشرائح المجتمع المختلفة، ولهذا فهي بحاجة إلى عمل دؤوب وحركة متواصلة تبدأ بتغيير المتبني للوقاية لنفسه أولاً ثم مجتمعه ثانياً.

والوقاية تتطلب تضافر الجهود والطاقات، وتكاتف جميع القوى المؤثرة في حركة الإنسان والمجتمع وأهمها: الأُسرة والمدرسة والمجتمع، وبالخصوص علماء الدين ورجال الدولة ومطلق المربين، لأنّ ميدان الحركة هو النفس الإنسانية بجميع مقوماتها: الفكرية والعاطفية والسلوكية، وليس من السهل صياغة الإنسان صياغة تنسجم مع المفاهيم والقيم والضوابط السليمة.

والوقاية تعني هداية الإنسان وتغيير محتواه الداخلي في عقله وقلبه وارادته، بخلق البواعث السليمة للعمل الصالح المعبّر عن صحة التصور وسلامة القلب وطهارة الروح وخلوص الضمير، وجعل الخير والحسن السلوكي اصيلاً ثابتاً لا عارضاً مزعزعاً، وبعبارة اخرى استجاشة عناصر الخير والفضيلة والاستقامة، ومطاردة عوامل الشر والرذيلة والانحراف.

والوقاية لا تنحصر بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هي شاملة ومتكاملة، شاملة للتصورات والمبادىء التي تتحكم بالانسان والمجتمع، وشاملة للموازين والقيم التي تحكم العلاقات والارتباطات، وشاملة للشرائع والقوانين وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة اخرى شمولها للاعتقاد والشعور والسلوك، بتحويل الشعور الباطني الاعتقادي إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الارشادات والتوجيهات السليمة، ومنكمشة ومنفصلة عن مقتضيات أسس الانحراف والرذيلة.

ولا تتحقق أُسس ومبادىء الوقاية الاّ في ظل نظام اجتماعي وتربوي واقتصادي وسياسي يتعاون فيه الجميع للقيام برعاية الأحداث ابتداءً باختيار شريك الحياة المناسب ومروراً بمراحل الحمل والفطام والطفولة ووصولاً إلى مرحلة المراهقة والتكليف ثم الرشد، ولا وجود للنظام الشامل والمتكامل الاّ بالرجوع إلى مفاهيم وقيم وموازين الدين مطلق الدين، وبالخصوص في واقعنا ومجتمعنا العربي ينصب الرجوع تجاه الإسلام باعتباره نظام حياة متكاملة، وهو العقيدة المنبثقة من واقع المجتمع العربي والتي يمكن الرجوع اليها من قبل الفرد والأُسرة والمدرسة والدولة.

والنظام الاسلامي وحده القادر على توحيد الرؤى والمنطلقات لإيمان الجميع به إيماناً قائماً على أساس وحدة المصدر، ووحدة الغاية، ووحدة الطريق، ووحدة المصير، فالمصدر هو الله تعالى، والغاية مرضاته، والطريق هو التقيّد بالمفاهيم العقائدية والقيم التشريعية، والمصير هو المسؤولية في الدار الآخرة.

وحلقة الترابط والانسجام بين القوى المؤثرة هي شمولية الإسلام، واستيعابها للكون والحياة وللمسيرة الإنسانية بكل مقوماتها العقلية والروحية والعاطفية والسلوكية، ولجميع مراحلها وابعادها الفردية والاجتماعية والتاريخية.

والدعوة للعودة إلى الإسلام يفرضها واقعنا الذي نعيش فيه، وهي نقطة البدء في انجاح التلاحم والتضافر في الوقاية من جنوح وانحراف الاحداث بل المجتمع بأسره، وانجاح العلاج ايضاً، فالعودة إلى الإسلام من شأنها ضمان الوقاية والعلاج في آن واحد، وبها تتضافر الجهود بدلاً من تبعثرها وتناقضها أو تشتتها في الصراعات السياسية التي لا تخدم أحداً بل تترك أثاراً سلبية على الوقاية والعلاج، فيبقى الجنوح ويستشري في جميع مقومات الشخصية وفي جميع مقومات المسيرة.

والعودة إلى الإسلام من قبل رجال الدولة وعموم المؤسسات الاجتماعية يساهم مساهمة فعالة وأساسية في ارساء دعائم المنهج التربوي الوقائي والعلاجي، وتغذية الأحداث روحياً، وتنمية العواطف السامية التي تدفع الإنسان للرقي في سلم التكامل الخلقي والسلوكي.

والدين عاصم من جميع الوان الانحراف والرذيلة، وهذه حقيقة ثابتة لا تختلف ولا تتخلف.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «الدين يعصم، من دان تحصن، صيانة المرء على قدر ديانته، سبب الورع صحة الدين»[1].

ومن أهم الخطوات الواقعة في طريق الوقاية هي توفير اجواء النمو السليم

(١) تصنيف غرر الحكم: ٨٦.

نفسياً وروحياً، وخلق المناخ الروحي والعاطفي الكفيل باشباع حاجات الاحداث في جميع مراحل النمو والتكامل، وتنمية الضمير والوازع الذاتي عن طريق التربية والمراقبة المتواصلة المنسجمة مع الظروف البيئية الأُسرية والاجتماعية، وقد وردت الروايات لتؤكد على تأثير التربية في مراحل الحداثة المختلفة.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «انّما قلب الحدث كالأرض الخالية مهما القي فيها من كل شيء قبلته»[1].

ومن خطوات الوقاية محاولة التنبؤ المبكر بالجنوح وتحديد القابلين له قبل تفاقمه واستشرائه.

ولا يمكن تحديد الاجراءات الوقائية في نقاط معينة لأنّها شاملة لجميع العوامل والظروف المرتبطة بالتنشئة وبجميع مرافقها، ومن هنا فالأولى ان ينصب الحديث على أهمها، والتي سنبحثها تباعاً.

اختيار شريك الحياة الموافق

الزواج مسؤولية مشتركة لخلق الأجواء الفكرية والعاطفية والسلوكية التي تجعل الأُسرة تعيش الهناء والسعادة والتفتح على الحياة الإنسانية بجميع ابعادها ومقوّماتها، واعداد الذريّة ـ من أجل إدامة المسيرة الإنسانية ـ إعداداً صالحاً سوياً.

ومن منطلق الحفاظ على التوازن العقلي والنفسي والانفعالي للذرية المقبلة ينبغي ان يكون اختيار الزوج أوالزوجة خاضعاً لضوابط وموازين تتناسب

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٦٦.

مع الدور المكلف في ادائه الشريكان، والقاعدة الأساسية في الاختيار هي النظر إلى التوافق العقائدي والنفسي والخلقي، لأنّه الأساس المشترك في التفاهم والانسجام في النظرة إلى الحياة والمجتمع، وفي اداء المسؤولية التربوية للأطفال واعدادهم للاستقامة والسلامة الفكرية والعاطفية والسلوكية.

وفيما يلي نستعرض العوامل المؤثرة في الاختيار طبقاً لارشادات المنهج الديني، والواقع الذي نعيشه.

أولاً: التوافق العقائدي

في ظل العقيدة الواحدة تتوحد المواقف السلوكية بعد توحد الأوضاع النفسية والروحية للزوجين، وفي ظل المنهج المستتبع للعقيدة يقوم الزوجان باداء دورهما في الحياة ومسؤولياتهما في التربية والاصلاح، ويتقيدان بالحقوق والواجبات، ويتوحد الموقف السلوكي طبقاً للضوابط والموازين والمعايير الواحدة، سواء في العلاقات القائمة بينهما، أو علاقاتهما مع الأبناء.

والاعتقاد الواحد ضمان لعدم الاختلاف والتناحر، وضمان لازالته ان وقع في جميع مراحل الحياة الزوجية.

وقد قامت السيرة الاجتماعية على اختيار شريك الحياة وفق التوافق العقائدي، فالمسلم يتزوج مسلمة، والمسيحي مسيحية، والكافر كافرة.

وفي داخل المجتمع الواحد نجد أنّ للانتماء المذهبي دوراً ملحوظاً في الاختيار، حيث يختار الإنسان شريك حياته من مذهبه وطائفته.

والأفضل أن يتم الاختيار وفقاً للانتماء العقائدي والمذهبي، لأنّ الاختلاف وعدم التوافق يؤدّي إلى خلق المتاعب والمصاعب للزوجين

وخصوصاً إذا كان الزوجان متعمقي الاعتقاد والإيمان، والاختلاف بدوره له تأثير على تنشئة الأطفال عقائدياً وسلوكياً.

وقد دلّت الدراسات على أن «التماثل الديني يساعد على التفاهم والانسجام، واختلافه يعتبر عائقاً لنجاح الزواج والتكيف له»[1].

والتفاهم والانسجام يساهم في تضاعف الجهود من أجل الحفاظ على الاستقامة السلوكية للأحداث، وعلى صحتهم العقلية والنفسية والعاطفية لتمتعهم بالاستقرار والطمأنينة في أجواء الود والمحبة والحنان الدائم.

ثانياً: التوافق الخُلُقي

الإنسان بطبعه يميل إلى من يوافقه ويجانسه خلقياً، ويشابهه في السلوك والموقف العملي، فالانسان الذي يحب القيم الصالحة ويسعى لتجسيدها في الواقع يكون في أُنس وإلفة مع الذين يجسدونها كذلك، والعكس صحيح.

وأكدت الروايات على اختيار الشريك ذي العفة والصلاح المتصف بجميع خصال الخير والاستقامة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه.

قلت: يا رسول الله وان كان دنياً في نسبه؟

قال: إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوجوه، انكم الّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[2].

---

(١) علم اجتماع العائلة: ٢٣٢.

(٢) تهذيب الأحكام ٧: ٣٩٤.

وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[1].

وقال ابراهيم الكرخي للامام جعفر الصادق عليه السلام: انّ صاحبتي هلكت ـ رحمها الله ـ وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج.

فقال له: «انظر أين تضع نفسك ومن تشركه في مالك وتطلعه على دينك وسرّك، فإن كنت فاعلاً فبكراً تنسب إلى الخير وحسن الخلق»[2].

والاقتران بالشريك الصالح يساهم في تقرير الاخلاق الصالحة في الشعور، وفي أعماق الضمير، وفي الواقع الاجتماعي، ويساهم في نشر العفة والفضيلة في جميع ميادين الحياة، ورفد المجتمع بالأطفال الصالحين لوقايتهم من الانحراف والجنوح.

ومن أجل المحافظة على سلامة الفرد والأُسرة والمجتمع، وانقاذهم من الانحراف والرذيلة، شدّد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على عدم الاقتران بالمنحرفين جنسياً والذين اشتهروا بين أفراد المجتمع.

قال عليه السلام: «لا تتزوّجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تُزوّجوا الرجل المستعلن بالزنا إلّا أن تعرفوا منهما التوبة»[3].

وحذّر عليه السلام من تزويج شارب الخمر، فقال: «من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها»[4].

والتوافق الخلقي هو مقدمة موصلة للتوافق الروحي والنفسي والانسجام في العلاقات، والقضاء على جميع الوان الاضطراب والقلق داخل الأُسرة،

---

(١) صحيح مسلم ٢: ١٠٩٠.

(٢) تهذيب الأحكام ٧: ٤٠١.

(٣) مكارم الاخلاق: ٢٠٥.

(٤) تهذيب الأحكام ٧: ٣٩٨.

ويمنح الاطفال الهدوء والاستقرار والطمأنينة، فيترعرعون في ظل المحبّة والرأفة وحسن السيرة والسلوك.

ثالثاً: التوافق العرقي والطبقي

من خصائص الإنسان الاجتماعية انّه يميل إلى الذين ينتمون معه إلى عرق واحد أو قومية واحدة أو طبقة واحدة، وهذه حقيقة ناجمة عن الأُنس والأُلفة الحاصلة من الوشائج والصلات والعلاقات الدائمة والمتكررة، ويتجذر الميل والحب للعائلة وللقبيلة وللوطن والقومية بمرور الأجيال، لوحدة الانتماء ووحدة اللغة ووحدة العادات والتقاليد، ووحدة المصالح والمصير.

والنظر إلى الواقع الاجتماعي يلقي الضوء على الاختيار تبعاً للانتماء والتوافق العرقي، فالعربي يميل للزواج من عربية، والتركي من تركية وهكذا، ويميل الإنسان إلى طبقته الاجتماعية فيتم اختيار شريك الحياة على أساس طبقي أو مهني.

والاختيار طبقاً لهذه العوامل مع مراعاة العوامل الأُخرى كالتوافق العقائدي والخُلقي من شأنه أن يحقق الانسجام ويحقق الاستقرار والهدوء، ومن ثم السعادة والهناء للاشتراك في محاور عديدة واحدة.

فالأفضل ان يتم الاختيار على أُسس التوافق العرقي والقومي والطبقي، لأنّ الاختلاف قد يؤدّي إلى عدم التوافق والانسجام في الحياة الزوجية، لاختلاف العادات والتقاليد واختلاف البيئة الاجتماعية، اضافة إلى اختلاف اللغة والعناصر الأُخرى، وقد أثبت الواقع صحة ذلك.

والدعوة لاختيار شريك الحياة طبقاً لهذه العوامل ليست دعوة عنصرية،

وانّما دعوة موضوعية يفرضها الواقع الاجتماعي، فالكثير من حالات الزواج التي تمت دون مراعاة التوافق ادت إلى ازدياد المشاكل والخلافات ومن ثم انفصام عرى الحياة الزوجية، ومن ثم ضياع الأطفال قبل وبعد الانفصام.

رابعاً: التوافق في العمر

للتوافق في عمر الزوجين دور كبير في خلق الانسجام والوئام في علاقاتهما، حيث انّ التقارب في العمر يؤدّي إلى التقارب في كثير من مظاهر الشخصية، وفي النظرة إلى الحياة وإلى المجتمع، وفي النظرة إلى شريكه، وفي الموقف من الحاضر والمستقبل، اضافة إلى التقارب في الفهم والادراك والنضج، والتقارب في النشاط والحيوية العضلية والذهنية.

امّا الاختلاف الشاسع في العمر فانّه كثيراً ما يودى إلى عدم الانسجام وعدم التوافق الروحي والنفسي، فالشاب مثلاً يستغرق في المستقبل، بينما الكهل يستغرق في الحاضر، أمّا الشيخ فانّه يستغرق في الماضي ويتخوف من المستقبل، والشاب يتصف بالشجاعة والاقدام والحماس المتزايد، ويتصف الكهل بالاحتياط والتريّث، ويمرّ الشيخ بمرحلة الخوف وتنتابه الهواجس، اضافة إلى الاختلاف في الفهم والادراك وفي التجارب.

وهذا الاختلاف المؤدي إلى عدم الانسجام يكون عائقاً لنجاح الزواج والتكيّف له، وبالتالي يؤدّي إلى خلق الاضطراب وعدم الاستقرار في الأُسرة، فيسلب الراحة والهناء والطمأنينة من الأحداث في مختلف مراحل العمر، أو يؤدّي بهم إلى البحث عن أُسرة أكثر استقراراً فيقعون في احضان الانحراف والرذيلة. ويلحق بهذا العامل عامل آخر وهو الاختيار على أساس الجمال

الجسدي كحسن الوجه وحسن الصورة وحسن الجسد ككل، لأنّ عدم الحسن قد يؤدّي إلى عدم الانسجام في كثير من الأسر.

والخلاصة انّ اختيار شريك الحياة المناسب والموافق يساهم في اشاعة المحبة والمودّة في أجواء الأسرة، ليتنعّم الاحداث في ظلّها بالأمان والطمأنينة، والشعور بالمرغوبية والمحبوبية. والأهم من جميع ذلك هو اختيار شريك الحياة على أساس الوراثة الصالحة والمحيط الصالح كما دلّت على ذلك الروايات، وأكدتها بحوث علم النفس وعلم الاجتماع.

اشاعة الطمأنينة داخل الأُسرة

انّ علاقات الودّ والحبّ بين الوالدين من أهم العوامل المؤدية إلى سكن النفس وهدوء الأعصاب وطمأنينة الروح بين الوالدين أنفسهما، وبينهما وبين الاطفال، وهذا اللون من العلاقات يؤدّي إلى تماسك الأُسرة وتقوية بنائها واستمرار كيانها الموحد.

والمودة والمحبة والرحمة تؤدّي إلى الاحترام المتبادل والتعاون الواقعي في حل جميع المشاكل والمعوقات الطارئة على الأُسرة، وهي ضرورية للتوازن الانفعالي عند الأطفال، وقد أكدّ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على اشاعة الطمأنينة داخل الأُسرة، وقد دلّت دراسات العلماء والباحثين على أنّ «اطمئنان الطفل الشخصي والأساسي يحتاج دائماً إلى تماسك العلاقة بين الوالدين، ويحتاج إلى انسجام الاثنين في مواجهة مسؤوليات الحياة»[1].

وعلاقات المودة والمحبة والرحمة ضرورية في جميع المراحل: مرحلة

(١) مشاكل الآباء في تربية الأبناء: ٤٤.

الحمل والولادة والمراحل اللاحقة لها، لأنّ لها تاثيرات ايجابية على الزوجةوعلى طفل المستقبل من حيث توازنه النفسي واستقراره العاطفي.

والمودّة فرض من الله تعالى، فتكون ادامتها استجابة له تعالى وتقرباً اليه، وقد أوصى الإمام علي بن الحسين عليه السلام بها فقال: «وامّا حقّ رعيتك بملك النكاح، فانّ تعلم انّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأُنساً وواقية، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وان كان حقك عليها اغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فان لها حق الرحمة والمؤانسة وموضع السكون اليها قضاء اللذة التي لابدّ من قضائها وذلك عظيم ...»[1].

وقد ركّز أهل البيت عليهم السلام على ادامة مثل هذه العلاقات داخل الأُسرة لانها أساس الاستقرار والطمأنينة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من اتخذ زوجة فليكرمها»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة»[4].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته»[5].

(١) تحف العقول: ١٨٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨١.
(٣) مستدرك الوسائل ٢: ٥٥٠.
(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٨.
(٥) المصدر السابق: ٢٨١.

وشجّع رسول الله ﷺ الزوجة على اتّباع الأُسلوب الحسن في ادامة المودة والرحمة وبالتالي اشاعة الاستقرار والطمأنينة، بالتأثّر على قلب الزوج وأثارة عواطفه.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت: ما يهمك، ان كنت تهتم لزرقك فقد تكفل به غيرك، وان كنت تهتم بأمر آخرتك، فزادك الله هماً.

فقال رسول الله ﷺ: «بشّرها بالجنة، وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله، ولك في كل يوم أجر سبعين شهيداً».

وفي رواية: «انّ لله عزّ وجلّ عمّالاً وهذه من عـمّاله، لها نصف أجر الشهيد»[1].

وأكّد الإمام محمد الباقر عليه السلام على حسن التبعل، فقال: «جهاد المرأةحسن التبعّل»[2].

وأكّد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على انفتاح الزوجة مع زوجها لانه أحد العوامل المساعدة على ادامة المودة والرحمة والمحبة، وكسب ودّ الزوج، فقال: «خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء، وإذا لبست لبست معه درع الحياء»[3].

وحدّد الإمام علي بن الحسين عليه السلام العوامل التي تـعمق المـودة والمـحبة والرحمة، فقال: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٨.

(٣) الكافي ٥: ٣٢٤.

استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها.

ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهي: صيانة نفسها عن كل دنس، حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، واظهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه»[1].

ومن العوامل المساهمة في اشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الأُسرة، هي تقيد الزوجين بالحقوق والواجبات الموضوعة لهم، وعدم الاستهانة بها أو إهمالها وتركها جانباً، فبالتقيد بها تنتظم العلاقات وتتجذر المحبة والرحمة في القلوب والضمائر وفي المواقف والممارسات السلوكية.

تجنب إثارة الخلافات داخل الأُسرة

الخلافات عامل قلق لجميع أفراد الأُسرة بما فيها الأحداث، حيث تؤدّي إلى خلل في الثبات والتوازن العاطفي لهم في جميع المراحل التي يعيشونها، بدءاً بالأشهر الاولى من الحمل، والسنين الاولى بعد الولادة، والمراحل اللاحقة بها.

والخلافات والتشنجات المصحوبة بمواقف سلوكية تسلب الاستقرار والأمن وتجعل الحدث قلقاً متوتراً متردداً حيراناً لا يدري ماذا يفعل، فهو لا يستطيع ايقاف النزاع والخصام وخصوصاً إذا كان مصحوباً بالشدة، ولا يستطيع أن يقف مع أحد والديه دون الآخر، اضافة إلى محاولات كلّ من الوالدين بتقريب الحدث اليهما باثبات حقّه واتهام المقابل باثارة المشاكل والخلافات، وكل ذلك يترك آثاره السلبية على عقل الحدث وقلبه وارادته.

---

(١) تحف العقول: ٢٣٩.

ومن أجل تجنب اثارة الخلافات والتشنجات بين الزوجين، أو التقليل من تأثيراتها النفسية والعاطفية، أو تحجيمهاوانهائها، فقد وضع الإسلام منهجاً متكاملاً للوقاية منها، ولوقاية الأحداث من التاثر بوطأتها على أوضاعهم النفسية والعاطفية والسلوكية.

قال رسول الله ﷺ: «خير الرجال من أُمّتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم»(١).

ونهى ﷺ الزوجة عن الممارسات التي تؤدّي إلى حدوث الخلافات فقال: «من شرّ نسائكم الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها، العقيم الحقود، التي لا تتورع عن قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، فإذا خلا بها تمنعت تمنع الصعبة عند ركوبها، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً»(٢).

ونهى ﷺ الزوجة عن تكليف الزوج فوق طاقته، فقال: «ايما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلّفته ما لا يطيق لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً إلّا أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته»(٣).

ونهاها عن المن على الزوج فقال: «لو أن جميع ما في الأرض من ذهب وفضة حملته المرأة إلى بيت زوجها ثم ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام تقول: من أنت؟ انّما المال مالي، حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس، إلّا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها»(٤).

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٦.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.

(٤) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.

وحذّر ﷺ من مواجهة الزوجة لزوجها بالكلام اللاذع المثير لاعصابه فقال: «أيّما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه ...»(١).

ونهى ﷺ عن الهجران باعتباره مقدمة للانفصام وانقطاع العلاقات، فقال: «أيّما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار إلّا أن تتوب وترجع»(٢).

وفي المقابل أوصى المنهج الاسلامي بمداراة الزوج لزوجته، وتحسين صحبتها لكي يتعمق الحب والودّ وتنتفي الخلافات والتشنجات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية: «إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلّ حال، وأحسن الصحبة لها فيصفو عيشك»(٣).

وأجاب رسول الله ﷺ عن سؤال خولة بنت الأسود حول حق المرأة فقال: «حقك عليه أن يطعمك ممّا يأكل ويكسوك ممّا يلبس ولا يلطم ولا يصيح في وجهك»(٤).

وشجع الإمام محمد الباقر عليه السلام على تحمّل الإساءة، لأنّ ردّ الاساءة بالاساءة يوسّع دائرة الخلافات والتشنجات، فقال: «من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبته من النار وأوجب له الجنّة»(٥).

وشجع رسول الله ﷺ الزوج على الصبر على سوء أخلاق الزوجة فقال:

---

(١) مكارم الاخلاق: ٢١٤.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢١٨.
(٤) مكارم الأخلاق: ٢١٨.
(٥) مكارم الأخلاق: ٢١٦.

«من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب على بلائه»[1].

وفي مقابل هذا الصبر هنالك حث على الصبر من قبل الزوجة ، قال الإمام الباقر عليه السلام : «وجهاد المرأة ان تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته»[2].

وإذا لم تنفع بعض التدابير في ايقاف الخلافات ، فلتكن بالاسلوب الذي لا يقلق الحدث ، وأن يتفهم الموضوع جيداً من انّ الخلافات أمر طبيعي يحصل لدى الأسر ، كما هو الحال في الخلافات بين الأحداث أنفسهم ، وينبغي أن يكون الخلاف بعيداً عن مرأى ومسمع الأحداث، وان يكون بالنحو المتوازن المعقول الذي يبعد الحدث عن اجواء الرعب والخوف .

وينبغي تجنب الخلافات حول الحدث نفسه لأنّ ذلك يقلقه كثيراً ويجعله مضطرباً في فكره وعاطفته وسلوكه .

وفي جميع الأحوال يجب إفهام الحدث بانّ والديه لا يزالان يحبان بعضهما البعض، وأن الخلافات حالة طارئة ستعود إلى الأصل وهو المحبة والوئام .

ما قبل الطلاق وما بعده

الطلاق انفصام للعلاقات الزوجية ، وهو تهديم لأواصر الأُسرة ومصدر قلق واضطراب نفسي وعاطفي وسلوكي لجميع أفراد الأُسرة وخصوصاً الأحداث ، حيث ينعكس على جميع مقومات الشخصية ، وله أثار سيئة على

(١) مكارم الأخلاق : ٢١٣ .
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٧ .

ممارسات الاحداث بعد تعرضهم للضياع والاهمال والنبذ والتشرد في بعض حالات الطلاق.

وقد حث المنهج الاسلامي على اتخاذ التدابير الموضوعية للحيلولة دون وقوع الطلاق، فأمر بالعشرة بالمعروف، ووجه الانظار إلى مبغوضية الطلاق من قبل منعم الوجود وواهب الرحمة، وحث على الصلح واجراء مفاوضاته بين الزوجين قبل قرار الانفصال، والمفاوضات غالباً ما تؤدّي إلى الاصلاح.

ويستحسن دراسة ظواهر الطلاق وأخذ الدروس والعبر منها، كدروس الضياع والتشرد التي يعاني منها الأحداث، ودروس انحراف الأحداث بسبب فقدان أحد الوالدين، وينبغي تكثيف جميع وسائل التوجيه والارشاد والاعلام حول آثار الطلاق السلبية وانعكاسها على الأحداث وعلى المجتمع.

والطلاق وان كان مذموماً ومبغوضاً الّا انّه قد يكون أحياناً حلاً ايجابياً لكلا الزوجين أو لأحدهما، وخصوصاً في حالات انحراف احدهما عن الاستقامة والعفّة، أو عدم مراعاة الحقوق والواجبات، أو سوء السيرة في العلاقات، ففي مثل هذه الأجواء قد يكون الطلاق سعادة لكليهما أو لأحدهما، ومع ذلك منح الإسلام فرصة جديدة للعودة إلى الحياة الزوجية أثناء العدّة بلا عقد جديد، وبعد العدّة بعقد جديد، فلعلّ الطلاق يمنح أحدهما أو كليهما فرصة جديدة لاعادة النظر في العلاقات القائمة وأساليب التعامل مع شريك الحياة، والتجارب تنفع الإنسان، فينبغي عدم التسرع في الطلاق أولاً، وعدم التسرع في اتخاذ قرار اللاعودة.

وفي مثل هذه الأجواء ينبغي الاستماع إلى نصائح الكبار فان نصائحهم بركة وخير لجيلنا الناشيء، وتاريخهم حافل بالمواقف المشرفة في الصبر والتحمل والايثار من اجل سلامة الأُسرة من التصدّع والانهيار.

وإذا لم تنجح محاولات اعادة العلاقة الزوجية وتمّ الانفصال، ينبغي مراعاة مشاعر الحدث ومنحه الحب والحنان، ويجب على الوالدين توفير الأجواء التي تساعده على الإيمان بسلامة اخلاق والده او والدته لكي لا يشعر بالنقص والحقارة النفسية والخوف من تعيير المجتمع، وقد حرّم المنهج الاسلامي كشف اسرار الزوجين، وحرّم الغيبة والبهتان والكذب، والتنابز بالألقاب والتعيير وجميع الموبقات الصادرة من اللسان، والمؤدية إلى خلق الاضطراب الاجتماعي وادامة التوترات والتشنجات.

وقد أكدّ الباحثون في حقول التربية وعلم النفس على حاجة الطفل في هذه الظروف إلى مراعاة ما يلي:

١ ـ الصراحة والصدق في شرح ما حدث دون الدخول في التفاصيل، والتأكيد على أنّ هذا الانفصال قد يكون لمصلحته أكثر من حياته في جو من المنازعات والخلافات ولكن كلا الوالدين سوف يستمر حبّه وعطفه وعلاقته به بصورة طبيعية.

٢ ـ تشجيع الطفل على التعبير عن انفعالاته وأحاسيسه من الغضب والثورة والحديث عن هذه الانفعالات ومناقشته فيها.

٣ ـ التأكيد على استمرار حب الوالدين له، وعلى أنّه غير مسؤول نهائياً عن ما حدث.

٤ ـ الحرص الشديد على عدم إدانة أو تجريح كل من الوالدين للآخر أمام الطفل حتى لا يلجأ إلى الوقوع في صراع الاختيار لأحدهما والبعد عن الآخر، ولكن يجب أن يعلم الابن أنّ المشكلة ثنائية وأن كلا من الأب والأُم مسؤولاً عن هذا الانفصال.

٥ ـ يجب الا يستخدم الطفل كسلاح يستعمل في المعركة بين الزوجين

وذلك في مجالات مثل النواحي المادية أو التعليم أو الزيارات وغيرها، ويجب أن يشعر أن الانفصال خاص بالزوجين، ولكن كليهما ما زالا أبوين للطفل.

٦ ـ يجب الا تترك حرية الاختيار للطفل الصغير في الحياة مع أي من الأب أو الأُم، ولكن القرار يكون بعيداً عنه.

٧ ـ يجب محاولة استعادة اي درجة من التوافق بين الزوجين وبطريقة هادئة وذلك لمصلحة الأبناء هذا على الرغم من الانفصال، فلا داعي لتجسيم المشاكل والصراعات، ولا داعي لاستمرار العداوة خاصة بعد أن حدث الانفصال واستقرت الأُمور.

وعندما يتزوج الأب أو تتزوج الأُم زواجاً جديداً فيجب عدم مناقشة الفرق بين الزواج القديم والجديد أمام الأبناء أو المبالغة في المزيد من الحب للأبناء، أو زيادة الهدايا للطفل حتى لا يشعر بأن هناك أي نوع من التعويض الذي لا مبرر له ويزيد من احساسه بالخطأ الذي ارتكبه والده في حقه.

ويجب شرح أسباب هذا الزواج الجديد وأهميته لحياة الأم أو الأب والذي سينعكس أثره على الابن نفسه.

وأيضاً يجب ترك العلاقة الطبيعية تنمو وتزدهر بين الزوج أو الزوجة الجديدة وبين الأولاد ولا داعي للتسرع في تدعيم أو توطيد هذه العلاقة بل يفضل أن نترك الأُمور تسير بتلقائية وبهدوء[١].

والحدث وان كان في مرحلة الطفولة المبكرة أو الوسطى فإنّه قد يكون قادراً على تحمل انفصال الوالدين ان استمر معه الحب والحنان والرعاية من كليهما.

---

(١) قاموس الطفل الطبّي: ٣٩٥، ٣٩٦.

اشباع الحاجة إلى المحبة والتقدير

الحدث في مرحلتي الطفولة والمراهقة بحاجة إلى المحبة والتقدير من قبل الوالدين، وبحاجة إلى الاعتراف به وبمكانته في الأُسرة وفي المجتمع.

والحب والتقدير الذي يحسّ به له تأثير كبير على جميع جوانب حياته، حيث يكتمل نموه اللغوي والعقلي والعاطفي والاجتماعي، والحدث الذي يشعر بالمحبة والتقدير والمرغوبية يكون أكثر توازناً من غيره في مقومات شخصيته، وأكثر تقبلاً للارشادات والتوجيهات والنصائح الموجهة اليه من قبل من يحبهم ويحبونه، فيتعلم قواعد السلوك الصالحة من والديه، وتنعكس على سلوكه وممارساته العملية إذا كان يشعر بالمحبة والتقدير من قبلهما، وعلى الأقل يحاول أن لا يحرجهما أمام المجتمع بسلوك شائن ومخالف للقواعد السلوكية الثابتة، ويكون حريصاً على عدم ايذائهما في سمعتهما ومركزهما الاجتماعي.

والحدث الذي يشعر بالمرغوبية والمحبوبية والتقدير ليس بحاجة إلى غير والديه للحصول عليها، ولهذا لا نتوقع منه ان يبحث عن أفراد أو أُسرة أُخرى تمنحه هذه الحاجات بعد أن أشبعتها أُسرته.

ولدور المحبة والتقدير وعدمهما في التاثير على فكر الحدث وعاطفته وسلوكه جاءت التوجيهات الاسلامية لتؤكد هذه الضرورة.

قال رسول الله ﷺ «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم»(١).

وقال ﷺ: «رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالاحسان اليه والتألف له وتعليمه وتأديبه»(٢).

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٥.

(٢) مستدك الوسائل ٢: ٦٢٦.

وحث ﷺ على المحبة في جميع صورها وألوانها، فقال: «نظر الوالد إلى ولده حبّاً له عبادة»(١).

وقال ﷺ: «أحبّوا الصبيان وارحموهم، فاذا وعدتموهم فوفوا لهم، فانّهم لا يرون إلّا أنكم ترزقونهم»(٢).

ومن مصاديق محبة الحدث واشعاره بالتقدير، التشجيع له ومدحه على ما ينجزه من أعمال وممارسات نافعة وإن كانت يسيرة، والتجاوز عن بعض الهفوات، وعدم تسفيه أقواله أو أعماله، وعدم حمله على ما لا يطيق.

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به...»(٣).

ومن مصاديق اشعاره بالمحبوبية إسماعه كلمات الحبّ والودّ. ففي رواية جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الاخر، وقال: «هذان ريحانتاي من الدنيا»(٤).

ومن أجل اشعار الحدث بمكانته كان رسول الله ﷺ يسلّم على الصغير والكبير، كما جاء في الخبر انّه مرّ على صبيان فسلّم عليهم(٥).

وتعامل ﷺ مع الحسن والحسين تعاملاً خاصاً، فقد «بايع الحسن والحسين وهما صبيّان»(٦).

ومن أفضل وسائل اشعار الحدث بالحب والحنان والتقدير، التكثير من تقبيله.

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٦.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢١٩.
(٣) الكافي ٦: ٥٠.
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٤.
(٥) مستدرك الوسائل ٢: ٦٩.
(٦) تحف العقول: ٣٣٧.

قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من قبلة أولادكم، فانّ لكم بكلّ قبلة درجة في الجنّة»[1].

وقد شجّع ﷺ على ذلك وعلى تفريح الحدث بأي اسلوب أمكن، فقال: «من قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة ...»[2].

وقد دلّت الدراسات والأبحاث التربوية ان «اشعار الطفل بالحب والحنان من أهم العوامل التي تساعده على الطاعة والانقياد للوالدين»[3].

وكلّما أحسّ بانّه محبوب وانّه مقدر في الأُسرة وفي المجتمع، فانّه سينمو متكيّفاً تكيّفاً حسناً في علاقاته وسيرته ومواقفه السلوكية.

ومن الأفضل ان يكون هذا الاحساس مرافقاً له في جميع الأوضاع والأحوال، حتى وإن أخطأ أو ارتكب ما يوجب التأنيب أو العقاب، فلابد وان يشعر ويحس بالحب والتقدير على أي حال، يقول الدكتور سپوك: «أنّنا كآباء يجب أن لا نجعل الطفل يشعر في أي مرحلة من مراحل عمره بانّه منبوذ ولو حتى بمجرد نظرة عين، انّ الطفل لا يستطيع أن يفرّق بين كراهية والديه لسلوكه وبين كراهيتهما له»[4].

وبالتدريب والتمرين يمكننا أن نقنع الحدث بأنّ العمل الخاطيء الذي يرتكبه مبغوضاً من قبل والديه، أو من قبل المجتمع مع بقاء المحبوبية له، ونحاول اقناعه بالاقلاع عن الاعمال الخاطئة واشعاره بتعمق الحب والحنان في حال الاقلاع.

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.

(٢) عدّة الداعي: ٧٩.

(٣) قاموس الطفل الطبي: ٣٢٨.

(٤) مشاكل الآباء: ١٤١.

وقد دلّت الملاحظات الميدانية على دور الحب والتقدير في الوقاية من الجنوح والانحراف، لأنّه يقلّل من ممارسة السلوك المضاد للاسرة وللمجتمع، وخصوصاً ان بعض ألوان ومظاهر الجنوح تحدث كرد فعل لعدم المحبوبية والمرغوبية التي يشعرها في أعماق نفسه، كالسرقة والكذب والعدوان ومتابعة العثرات وبث الاشاعات التي تسيء إلى سمعة من حرموه من الحب والتقدير.

ففي ظل المحبة والتقدير لا يبقى مجال للانتقام ولا للتعويض عن فقدان أهم حاجاته الروحية والنفسية لأنّه ينعم بها بالشكل المطلوب.

ومن خلال المحبة والتقدير تشبع الحاجات الأساسية الأُخرى كالحاجة إلى الأمن، وإلى الحرية، وإلى السلطة الضاغطة.

اشباع الحاجة إلى الرفاهية

الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو روح وعقل وغرائز وجسد متعدد الجوارح، ولهذا تعددت حاجاته الروحية والمادية، وهذا الأمر فطري لا يختلف ولا يتخلف من انسان لآخر ومن جيل لآخر، وهو بحاجة إلى الرفاهية في جميع مصاديقها ومفرداتها، وتزداد الحاجة إلى الرفاهية كلّما قرب الإنسان من مرحلة الحداثة والطفولة، فهو بحاجة إلى المأكل والملبس وسائر وسائل الترفيه كالبيت الواسع وأدوات اللعب المناسبة، وبحاجة إلى عصب الحياة وهو المال الذي يصرف من أجل الرفاهية.

واشباع الحاجة إلى الرفاهية تقع على عاتق الأُسرة في الدرجة الاولى، وبالخصوص على عاتق الوالد، فهو المسؤول عن اشباع جميع حاجات الأُسرة وبالخصوص الأحداث لأنهم يمرون بمرحلة القصور والتبعية في جميع مرافق

النمو ومراحله إلى سنّ الرشد والاستقلالية.

وقد أكّد المنهج الاسلامي على هذه المسؤولية، حتى جعل رسول الله ﷺ الكدح من أجل العيال كالجهاد في سبيل الله، فقال: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»(١).

وقال ﷺ: «ملعون ملعون من يضيع من يعول»(٢).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ينبغي للرّجل أن يوسع على عياله لئلّا يتمنّوا موته»(٣).

ولا تتحقق الرفاهية الحقيقية الّا بتعاون جميع مراكز القوى في الحياة، تعاون الأُسرة والمجتمع والدولة في آن واحد، ويتم التعاون باتباع منهج اقتصادي موحّد، وهوالاقتصاد الاسلامي في بلادنا العربية والاسلامية.

والمنهج الاقتصادي الاسلامي يهيء الأجواء المناسبة لتحقيق الرفاهية باشباع الحاجات الأساسية للانسان واحلال التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع، وهو وحده الكفيل بمنع الانحراف الاخلاقي الناجم من الفقر والحرمان، ومن الاستغلال والظلم الاقتصادي، لأنّه يجعل الفكر والعاطفة والسلوك تتبع المنهج الإلهي في الحياة وتندفع نحو تحقيقه في الواقع، فلا يبقي مجال للفقر والحرمان بعد تجذر روح الاخوة في العقول والقلوب.

ومن أساسيات قواعد المنهج الاقتصادي الاسلامي انّ الملكية لله وحده، وهذه القاعدة تحقق روح الاخاء والايثار بين بني الإنسان وتزيل من أنفسهم روح الشعور بالعدوان والبغضاء.

وقد عبّر القرآن الكريم عن المال بانّه مال الله تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله

(١، ٢) عدة الداعي: ٧٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٨.

الذي آتاكم﴾[1].

ويوازن المنهج الاسلامي بين الطبقات ليحقق التآلف ويمنع من الفقر والترف الفاحش معاً لانها أساس لبعض الانحرافات الخلقية، قال تعالى: ﴿ والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم﴾[2].

وينهى عن تجميد الثروةالاقتصادية ويدعو إلى الانفاق، قال تعالى: ﴿والّذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[3].

ومن أجل تحقيق الرفاهية لجميع الشرائح الاجتماعية حث المنهج الاسلامي على الانفاق التطوعي والانفاق الواجب.

ففي الانفاق التطوعي وردت آيات عديدة وروايات تدعو وتشجع عليه، قال تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا انفقوامن طيبات ما كسبتم ﴾[4].

وجعل امير المؤمنين ﷺ: الانفاق من شرف مكارم الدنيا، فقال: «فمن أتاه الله مالاً، فليصل القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب، ابتغاء الثواب، فانّ فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الاخرة»[5].

وفرض المنهج الاسلامي ضريبة على الأموال والمغانم والمكاسب وجعلها عبادات لتصل إلى الفقراء والمحرومين، فيأخذونها باطمئنان لانها حق لهم كالزكاة والخمس وغيرها، وجعلها جزءاً من ميزانيات الدولةالاسلامية

(١) النور: ٣٣.
(٢) الذاريات: ١٩.
(٣) التوبة: ٣٤.
(٤) البقرة: ٢٦٧.
(٥) نهج البلاغة: ١٩٨.

لتؤدّي واجبها تجاه الفقراء، وفي حال عدم وجـود دولة اسـلامية فـإنّها تـعطى لمنصب إمام المسلمين الذي يعتبر أميناً عليها لإنفاقها في خـلق التـوازن بـين الطبقات، وتحقيق الرفاهية لجميع أفراد المجتمع الاسلامي أولاً ثـم الانسـاني ثانياً.

ومن أجل رفاهية الطبقات المحرومة فرض المنهج الاسلامي على الدولة ضمان معيشة أفراد المجتمع ضماناً كاملاً، وهي عادة تقوم بـهذه المـهمة عـلى مرحلتين: «ففي المرحلة الأولى تـهيء الدولة للـفرد وسـائل العـمل، وفـرصة المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي المثمر، ليعيش عـلى أسـاس عـمله وجهده، فاذا كان الفرد عاجزاً عن العمل وكسب معيشته بنفسه كسباً كـاملاً، أو كانت الدولة في ظرف استثنائي لا يمكنها منحه فرصة العمل، جاء دور المرحلة الثانية، التي تمارس فيها الدولة تطبيق مبدأ الضمان، عن طـريق تـهيئة المـال الكافي، لسد حاجات الفرد، وتوفير حد خاص من المعيشة له»[1].

والدولة مسؤولة عن الضمان الاجتماعي فـي حـدود امكـاناتها وعـلى أساسين:

الأساس الأول: هو التكافل العام، وهو المبدأ الذي يفرض فيه الإسـلام على المسلمين كفاية، كفالة بعضهم لبعض، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وإمكاناته، يجب عليه أن يؤديها على أي حـال كـما يؤدّي سائر فرائضه.

والدولة ...مخوّلة حق إكراه كل فرد على اداء واجباته الشرعية ... في كفالة العاجزين، إذا امتنعوا عن القيام بها، وبموجب هذا الحق يتاح لها أن تضمن حياة

---

(١) اقتصادنا: ٦٩٧.

العاجزين وكالة عن المسلمين.

والأساس الثاني للضمان الاجتماعي: تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين، بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على أفراد المسلمين أنفسهم[1].

والدولة مسؤولة عن الحدّ الأدنى للمعيشة وعن الحدود الأُخرى ذات المستوى الأرفع الذي يصل بالانسان إلى مستوى الرفاه المناسب لإنسانيته بالقياس لسائر الطبقات الاجتماعية.

ومن خلال تطبيق قواعد واسس المنهج الاقتصادي الاسلامي تتحقق الرفاهية للجميع بما فيهم الأحداث، فيتنعمون بقسطٍ من الهناء والمتعة، ويجدون مرتعهم الخصب في إشباع حاجتهم دون الشعور بالاحباط والحرمان، فلا يجدون فرقاً بينهم وبين غيرهم من الأحداث.

والرفاهية في المسكن والمأكل والملبس وفي الأُمور الكمالية والفنية وفي اشباع الحاجة إلى اللعب والنزهة والسفر، تمنع من الأمراض النفسية والروحية كالحسد والحقد والطمع، وكذلك الهمّ والحزن بسبب الفقر، وتمنع من الانحرافات التي تنجم عن الشعور بالحرمان والدونية، كالسرقة والعدوان على ممتلكات الاخرين وعلى أرواحهم وأعراضهم، وتمنع من الاستسلام للانحرافات لقاء الحصول على المال الضروري في تحقيق الرفاهية.

ورفاهية الأحداث لها الدور الكبير في تهذيب النفس وتطهير الضمير، واشاعة الطمأنينة في داخل النفس، وهي أساس النمو السليم الفكري والعاطفي والسلوكي، وأساس التفوق في أغلب مجالات المعرفة الفردية والاجتماعية، اضافة إلى التفوق في سلم الكمال.

---

(١) اقتصادنا: ٦٩٩، ٧٠٠.

الوقاية بالتربية الأُسرية

الاتفاق على منهج تربوي مشترك

الاتفاق على منهج تربوي مشترك من قبل الوالدين يساعد على انجاح العملية التربوية في جميع مجالاتها النفسية والروحية والسلوكية، لثبوت المعايير والموازين التي يوزن بها السلوك، وتتضح من خلال هذا الثبوت الضوابط والقواعد السلوكية للحدث، ويكون قادراً على تشخيص الادوار والواجبات في مختلف الجوانب، فلا تختلط عليه الأمور من حيث الصواب والخطأ، والاستقامة والانحراف، فهو من خلال وحدة المنهج التربوي يكون ثابتاً في نظرته لما يحيط به من أشخاص وأحداث ومواقف، ويكون أكثر قدرة من غيره على التكيّف مع نفسه ومع أسرته ومع المجتمع الكبير.

والاتفاق على منهج تربوي مشترك يكون مانعاً من الخلافات والتشنجات بين الوالدين، ويجعل الأُسرة تتمتع بالهدوء والطمأنينة، حيث تُحدد الحقوق والواجبات التي تمنع من خلق أي لون من ألوان الاضطراب في العلاقات وفي المواقف والممارسات السلوكية.

وفي مختلف الأحوال والظروف ينبغي ان يؤيد كل من الوالدين الاخر فيما يتخذه من قرارات ومواقف نحو الأحداث، إن كانت واقعة في دائرة المباح والمسموح به، منعاً من ملاحظة الأحداث للتناقض في المعاملة وفي العلاقات

وفي المواقف العملية تجاه ممارسةأو سلوك واحـد، ويـنبغي فـي حـال خـطأ أحدهما أن لا يكون الاعتراض أمام مرأى ومسمع الحدث، وعلى سبيل المثال لو عوقب الحدث من قبل الوالد مثلاً وكان غـير مسـتحق للـعقوبة، فـينبغي أن تسكت الوالده ولا تعترض على الوالد أمامه، ومن الأفضل أن تناقشه بعيداً عنه، لكي يصلح الخطأ الذي ارتكبه، وينبغي أن يقوم الوالد بنفس الممارسة في حال خطأ الوالدة، وان لا يدخل الاثنان في نقاش أو مشـادة كـلامية حـول نـوعية الممارسة التي ينبغي ان تمارس معه، وينبغي أن لا تحرض الوالدة الوالد عـلى اتخاذ عقوبة تجاه الحدث وان كـان مسـتحقاً، لكـي لا يـحدث التـناقض فـي الاسلوب التربوي.

وينبغي أيضاً ان لا يتدارك الخطأ من قبل غير المخطيء، فلو أخطأالوالد ينبغي أن يتدارك الخطأ هو وحده، لا أن تقوم الوالدة بالاعتذار من الحـدث أو تعويضه أو ردّ اعتباره، كما يحدث في أغلب الأُسر، حيث تقوم الوالدة بارضاء الحدث بعد العقوبة بشراء حاجة أو لعبة له، أو منحه عطفاً وحناناً زائداً، في حين كانت العقوبة موجهة اليه من قبل والده لا من قبلها.

وينغي الاتفاق على جميع القواعد التربوية كلية كانت أم جزئية، مجملة أم مفصلة، لكي لا يحدث أي تناقض في مراحل وانماط العـملية التـربوية عـلى مستوى النظرية ومستوى التطبيق معاً.

وجميع الأُسر مدعوة لتبني المنهج الاسلامي فـي التـربية، لأنّـه المـنهج الوحيد المنسجم مع الفطرة الإنسانية، والمحيط بكل دقائق الأُمور وتـعقيدات الحياة، فلا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد ولا تكليف بما لا يطاق، وهو المنهج الوحيد الذي تتفاعل معه الأسرة المسلمة لأنّه جـزء مـن عـقيدتها وتشـريعها، وجزء من تراثها الخالد وماضي امتها المجيد، ولانّه مـوضوع مـن قـبل خـالق

الإنسان وواهب الرحمة والرأفة، وهذه الخاصية تدفع الأُسرة إلى الاقتناع باتباع هذا المنهج وتقرير مبادئه في واقعها، فلا مجال للنقاش في خطئه أو محدوديته أو عدم القدرة على تحقيقه، فهو الكفيل بتحقيق السعادة الأُسرية التي تساعد على تربية الأحداث تربية صالحة وسليمة.

واتباع المنهج الاسلامي في التربية يوحد الاراء والتصورات والمواقف الاجتماعية المرتبطة بمسائل التربية ومقوّماتها، لأنّه منهج مشترك بين جميع الأُسر المسلمة.

وينبغي بلورة هذا المنهج من قبل المتخصصين في العلوم الدينية والاسلامية، واخراجه للمجتمع على شكل قواعد وأسس وباسلوب شيّق وجذّاب اعتماداً على:

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ السيرة النبوية.

٣ـ أحاديث أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم.

٤ـ أحاديث وسيرة الأولياء والصالحين والفقهاء.

ويحتاج الأمر إلى التعاون والتنسيق بين علماء الدين والعلماء الباحثين في حقول التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، لوضع منهج تربوي مشترك يربط بين الماضي والحاضر، وبين القواعد الثابتة والمتغيّرة.

التوازن في الأساليب التربوية

التوازن والاعتدال ظاهرة ايجابية في جميع المجالات والأصعدة، وفي مقام التربية ينبغي التوازن في اختيار الأساليب التربوية، وأن يكون لكل مجال

أو موقف حدوده دون افراط أو تفريط ، ولابد من وضع منهج متوازن في العلاقة مع الحدث ، وفي التصرّف معه من قبل الوالدين ، فلا يتساهل معه إلى أقصى حدود التساهل ، ولا يعنّف على كل شيء يفعله ، فلا بدّ أن يكون اللين في حدوده والشدة في حدودها ، ويكون التوازن والاعتدال بينهما هو الحاكم على الموقف العملي تجاه الحدث حتى يجتاز مرحلة الحداثة بسلام واطمئنان ، يميّز بين السلوك المحبوب والسلوك المنبوذ .

ففي حالة ارتكاب الحدث لبعض المخالفات السلوكية ، على الوالدين أن يشعراه باضرار هذه المخالفة وإقناعه بالاقلاع عنها ، فاذا لم ينفع الاقناع واللين يأتي دور التأنيب أو العقاب المعنوي دون البدني ، والعقوبة العاطفية خير من العقوبة البدنية ، وإذا لم تنفع العقوبة المعنوية يأتي دور الحرمان من بعض حاجاته ومن ثم العقوبة البدنية .

والتوازن مطلوب في إشباع حاجاته الأساسية كالحاجة إلى المحبة والتقدير الاجتماعي ، وإلى الحرية والاعتماد على النفس ، فينبغي أن تشبع بتوازن ، فالدلال والافراط في المحبة مذموم كالاهمال وعدم الاهتمام ، والحدث الناشيء في ظل الحب والحنان الزائد لا يطيق المقاومة أمام تقلبات الحياة ، ولا يحقق النجاح في مرافقها ومجالاتها المختلفة ، ومن مصاديق الدلال التلهف والقلق الزائد على الحدث ، فلا يسمح له باللعب كغيره ، والاهتمام به اهتماماً زائداً في حال المرض أو الاصابة بجرح طفيف أو ما شابه ذلك ، وفي مقابل هذا الافراط هنالك موقف تفريطي في إهماله وعدم اشعاره بالاهتمام .

ومن مصاديق التوازن والاعتدال أن يقوم الوالدان بالمدح والتأنيب كل في موضعه وبصورة لا تتعدى حدود المدح أو التأنيب ، فالمدح الزائد كالتأنيب الزائد يؤثر على التوازن الانفعالي للحدث ، ويجعله مضطرباً قلقاً ، ويوقعه في فخ

التكبر والغرور أو الشعور بالعجز والقصور وضعف الثقة بالنفس.

وعلى الوالدين أن يضعا للأحداث برنامجاً يوضحون لهم المحبوب والمذموم من الأعمال والممارسات والمواقف السلوكية والعلاقات الاجتماعية، ويكون المدح أو التأنيب منصباً على الأعمال، لكي يتعمق حب الأعمال الصالحة وبغض الطالحة في نفوسهم، وبهذه الظاهرة ينمو الضمير ليكون صماماً في مستقبل حياتهم، ومن الأفضل أن يكون المدح أو التأنيب خالصاً من أجل الوقاية من الانحراف والجنوح، وان لا يكون انعكاساً لأوضاع الوالدين النفسية.

وينبغي اشباع حاجة الأحداث للاعتماد عل أنفسهم بصورة متوازنة ومعتدلة مع مراقبتهم ومتابعتهم لكي لا يؤدّي هذا الاعتماد أو الاستقلالية إلى تعدي المعايير الاجتماعيةوالضوابط السلوكية او الاضرار بالنفس او الأُسرة أو المجتمع، ويؤدّي فسح المجال ومنح الحرية للاعتماد على النفس إلى الشعور بالمكانة الاجتماعية، وزيادة الثقة بالنفس اضافة إلى القدرة على التكيّف والتوافق الاجتماعي، وسيعمّق ارتباطاته مع والديه فينفتح معهما لمساندته في اصلاح سلوكه ان اخطأ أو انحرف عن المعايير والموازين الثابتة.

وينبغي فسح المجال للأحداث لكي يلعبوا ويمرحوا؛ لأنّ اللعب يحقق للحدث التوازن النفسي والعقلي والانفعالي في شخصيته ويعلمه المعايير الاجتماعية، وضبط الانفعالات، وحب النظام، والقدرة على التعاون.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين ...»[1].

واللعب المسموح به ينبغي أن يكون منسجماً مع الضوابط السلوكية ومقيداً بعدم اضرار النفس والغير، وبعبارة أُخرى أن تكون موازنة في اعطاء

(١) مكارم الأخلاق: ٢٢٢.

الحرية وتقييدها.

يقول الدكتور سبوك: «اننا يجب أن نترك للأطفال إدارة شؤون ألعابهم حتى يستطيعوا التعلم منها... لابد أن نترك له قيادة الأمر بنفسه، وان يتبع ما يقوله له خياله، بهذا فقط تصبح اللعبة مفيدة، انها يجب أن تكون معلمة له، ولابدّ أن يخضعها لأفكاره، وعندما يجد نفسه في حاجة إلى مساعدة أحد الوالدين لادارة الكمية من المشاكل الطارئة مع لعبته، فلابدّ أن يساعده الوالدان»[١].

ومن صور الموازنة مراقبة ألعاب الأحداث دون أن يشعروا بالمراقبة، والتدخل بصورة غير مباشرة ان خالفت اللعبة معايير السلوك العامة.

ومن مصاديق التوازن في الأساليب التربوية العدالة بين الأحداث وعدم التفريق بينهم أو اشعارهم بذلك، وان تكون العدالة سائدة في جميع مجالات ومرافق التعامل والعلاقة مع الأحداث، مع الحفاظ على أسس التقييم الموضوعي، واعطاء كل ذي حق حقّه.

قال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»[٢].

ونظر ﷺ إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال ﷺ: «فهلّا ساويت بينهما»[٣].

وقال ﷺ: «إنّ الله تعالى يحبّ أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل»[٤].

وأكّد ﷺ على العدالة في العطاء والهدية فقال: «ساووا بين أولادكم في

(١) مشاكل الآباء: ١٠٦.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢٢١.
(٤) كنز العمّال ١٦: ٤٤٥.

العطية ، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء»[1].

وينبغي عدم المقارنة بين الأحداث وهم يسمعون لأنّ ذلك يؤدّي إلى خلق اجواء من عدم الثقة بينهم وبين الوالدين وزرع الأحقاد في حال المقارنة .

والعدالة يجب أن تكون متوازنة مع التقييم الموضوعي لتشجيع الأحداث على الابداع أو التفوق أو ممارسة الأعمال الصالحة أو المرغوبة أُسرياً واجتماعياً ، فينبغي اتخاذ الأساليب التشجيعية التي تدفع الحدث للتكامل السلوكي مع اشعاره بالحب والحنان المتوازن ، بان تعطى هدية اضافية على انجاز الأعمال أو الواجبات المدرسية ، أو الأعمال الصالحة ، لتشجيع الجميع على العمل الدؤوب المنسجم مع قواعد السلوك ومع مصالح الأُسرة والمجتمع .

(١) كنز العمّال ١٦ : ٤٤٤.

الوقاية بالتربية الايمانية

زرع الإيمان في أعماق الحدث

الإيمان بوجود قوة غيبية تتحكم بالكون والحياة والإنسان، من الأُمور الفطرية المودوعة في النفس الإنسانية، وقد أكّد العلماء على هذه الحقيقة الثابتة.

قال المسيوبوشيت: «انّ اعتقاد الأفراد والنوع الانساني بأسره في الخالق اعتقاداً اضطرارياً قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده، مهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخ طفوليته، فلا يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق، تلك العقيدة التي نشأت صامتة وصار لها أكبر الاثار في حياته»[1].

والإيمان بالله وبمنعم الوجود مودوع في أعماق الضمير الإنساني، كما جاء في قول برودون: «انّ ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تكشفه لنا عقولنا»[2].

وورد في معجم لاروس للقرن العشرن: «انّ الغريزة الدينية مشتركة بين كلّ الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية ... وانّ

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ١: ٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه ١: ٤٨٣.

الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هوإحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية»[١].

والإيمان بالله حاجة ضرورية للانسان، وفي هذا الصدد قال باسكال: «... كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلاً»[٢].

والحدث مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى، حيث تبدأ تساؤلاته عن نشوء الكون وعن نشوئه هو، وان تفكيره المحدود مهيأ لقبول فكرة الخالق والصانع، فعلى الوالدين تقع مسؤولية استثمار تساؤلاته لتعريفه بالله تعالى وزرع الإيمان في اعماقه في الحدود التي يتقبلها تفكيره المحدود.

وزرع الإيمان بالله ضروري في إعداد الحدث للمستقبل ليكون عنصراً فعالاً صالحاً، لأنّه يقي الإنسان في جميع مراحل حياته من الجنوح والانحراف.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «الدين يعصم ـ من دان تحصّن ـ صيانة المرء على قدر ديانته ـ سبب الورع صحة الدين ـ بالهدى يكثر الاستبصار»[٣].

وقد أثبتت المسيرة الإنسانية هذه الحقيقة، والشواهد التاريخية مستفيضة، حيث لا عاصم من الانحراف الّا بالإيمان بوجود مطلق يراقب الإنسان بعد احاطته التامة به.

وقد أكّد العلماء سواء كانوا علماء دين أو علماء نفس على ضرورة التربية الإيمانية، وجعلوا الإيمان بالله «من أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل، ممّا سوف يعطيه الأمل في الحياة والاعتماد على الخالق، ويوجد عنده الوازع الديني

---

(١) الدين: ٨٢.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ١: ٤٨٢.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٨٦، ٩٣.

الذي يحميه من اقتراف المآثم»[1].

ويرى الفيلسوف المعاصر الدوس هكسلي في كتابه الغايات والوسائل انّه «لا تستريح البشرية حتى يتجرد الإنسان من عوائقه ونزعاته، ولا يكون متجرداً الّا إذا ارتبط برباط آخر الا وهو الله»[2].

والإيمان له آثار ايجابية في جميع مقومات النفس والحياة، ومنها الصحة النفسية والعقلية والخلقية.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «من عرف الله سبحانه لم يشقّ ابداً».

«التوحيد حياة النفس».

«الإيمان أمان».

«آمن تأمن».

«من عدم الفهم عن الله سبحانه لم ينتفع بموعظة واعظٍ».

«بالإيمان يستدل على الصالحات».

«حياء الرجل من نفسه ثمرة الإيمان»[3].

والإيمان بالله يجعل للعمل السليم والسلوك القويم باعثاً، حيث يجعل الخير والصلاح أصيلاً ثابتاً لا عارضاً مزعزعاً، فيدله على الاستقامة وحسن السريرة والسيرة.

ومن آثار الإيمان على نفس الإنسان هي:

١ ـ التفاؤل.

٢ ـ التفتح.

---

(١) قاموس الطفل الطبي: ٢٩٤.

(٢) نحو انسانية سعيدة: ١٣٥.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٨٢، ٨٤، ٨٨.

٣ ـ الطمأنينة.

٤ ـ التمتع باللذات المعنوية.

٥ ـ مقاومة الانحراف.

٦ ـ الصبر على المصائب.

٧ ـ التنافس على عمل الصالحات.

وللإيمان آثار واضحة في العلاقات الاجتماعية ومنها:

١ ـ احترام القوانين والضوابط الاجتماعية.

٢ ـ تقديس العدالة.

٣ ـ الشعور بالاخوة والمحبة بين الافراد.

٤ ـ الثقة المتبادلة.

٥ ـ الاحساس بالمسؤولية الاجتماعية.

٦ ـ التقوى.

٧ ـ الايثار.

٨ ـ نكران الذات.

٩ ـ التعاون من أجل البناء الاجتماعي.

١٠ ـ تقبّل النصيحة والنقد البنّاء.

ومن هنا فتعميق الإيمان بالله ضروري جداً في تربية الحدث وخصوصا في مرحلة الطفولة المبكرة، وهو وحده الذي يصده عن الانحراف ويمنعه من الممارسات المخالفة للقواعد السلوكية، لايمانه بوجود قوة غيبية تتابعه في حركاته وسكناته، وهذا الشعور لا يتحقق في غير الإيمان بالله.

وفي المراحل الاولى من حياة الحدث يكون تقليد الوالدين هو الغالب بما في ذلك الإيمان بالله.

يقول الدكتور سپوك: «انّ الأساس الذي يؤمن به الابن بالله وحبّه للخالق العظيم هو نفس الأساس الذي يحب به الوالدان الله».

ويقول: «بين العمر الثالث والعمر السادس يحاول تقليد الأبوين في كلّ شيء، فاذا حدّثاه عن الله، فانّه يؤمن بالصورة التي تحددها كلماتهما عن الله حرفياً»[1].

وينبغي توجيه انظار الحدث نحو الصفات الخاصة بالرحمة والرأفة والمحبة والمغفرة إلى أقصى حد مع التقليل إلى أدنى حد من صفات العقاب والشدة والمطاردة والانتقام، لتكون صورته عن الخالق صورة جميلة مرتبطة بالمحبة والرحمة.

الإيمان بالثواب والعقاب

الإيمان بالثواب والعقاب واستشعاره في العقل والضمير هو الزمام الذي يكبح الشهوات والنزوات، ويضمن القصد والاعتدال في الحياة الإنسانية.

والإيمان بالثواب والعقاب في الحياة الأُخرى أكثر ايقاظاً للعقل والقلب والارادة، حيث يهز الكيان الانساني هزاً عميقاً ويوجهه إلى ذلك اليوم الخالد الذي يقف فيه أمام من لا تخفى عليه خافية، أمام من يحيط بالانسان والحياة والكون، فينبغي تجذير هذا الإيمان في أعماق الحدث، والعمل على جعله حقيقة حيّة ماثلة أمامه في جميع الأحوال والأوقات يستشعرها ويحكّمها قبل أن يتخذ أيّ ممارسة سلوكية.

والإيمان بالحياة الأُخرى حافز على اصلاح النفس والضمير، وحافز

---

(١) مشاكل الآباء في تربية الابناء: ٢٤٨.

للتسامي والارتقاء في جميع مقومات الشخصيّة الإنسانية، ومقومات الحياة الإنسانية.

قال رسول الله ﷺ: «يا ابن مسعود: من اشتاق إلى الجنّة سارع إلى الخيرات، ومن خاف النار ترك الشهوات، ومن ترقّب الموت أعرض عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحبّ الدار الباقية لهي عن اللذات».

«من اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات».

«من خاف العقاب انصرف عن السيئات»[2].

والإيمان باليوم الاخر وبما فيه من ثواب وعقاب يمكن تعميقه في عقل الحدث وضميره حسب مستواه وادراكه العقلي، وكل حدث له القابلية على ادراك ذلك والاعتقاد بالثواب والعقاب، إن تلقى تربية سليمة تطرح الأمر باسلوب شيّق يدفعه للتفكير بالثواب المترتب على الاعمال الصالحة دون الطالحة.

ويتعمق هذا الإيمان عن طريق الذكر المتواصل واستحيائه في خلجات النفس وأعماق الضمير، وخصوصاً ان وجد الحدث محيطاً اجتماعياً صالحاً، ولا غرابة في الأمر فان كثيراً من الأحداث ـ في واقعنا ـ منعهم الإيمان باليوم الاخر من ارتكاب بعض الممارسات السلبية، وكان رادعاً لهم من الجنوح والانحراف.

وتقع على الوالدين والمربين والمعلمين وعلماء الدين مسؤولية تعميق هذا الإيمان في نفوس الاحداث، وجعله من الهموم التي يحملونها في مسيرتهم النمائية.

(١) مكارم الأخلاق: ٤٤٧.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ١٤٦.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «اجعل همك لمعادك تصلح».

«اجعل كل همك وسعيك للخلاص من محل الشقاء والعقاب والنجاة من مقام البلاء والعذاب».

«من أكثر من ذكر الآخرة قلّت معصيته»[1].

ومن المفاهيم والحقائق التي تؤثر على ضبط النفس والردع عن عمل القبيح هي ذكر الموت واستشعاره في الوجدان، فينبغي أن يلقن به الأحداث كل حسب ادراكه وفهمه في الحياة، وأن يكون بصورة لا تثير في أعماقه الخوف والهلع والقلق، لأنّ الصورة المخيفة تكبله وتجعله أسيراً للأوهام فيفقد الذكر غايته في الاصلاح والردع.

والتأكيد على ذكر الموت تزداد اهميته كلما تقدم الحدث في العمر خصوصاً في دور ومرحلة المراهقة، وهو ضرورة تربوية هامة لو أصبحت من اهتمامات المجتمع كلّ المجتمع.

ولذكر الموت آثار ايجابية كما ذكر أمير المومنين ﷺ:

«من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير».

«ذكر الموت يهوّن أسباب الدنيا».

«من صوّر الموت بين عينيه هان أمر الدنيا عليه».

«من ذكر المنيّة نسي الامنية».

«أبلغ العظات النظر إلى مصارع الأموات والاعتبار بمصاير الآباء والأمهات»[2].

وفي واقعنا المعاصر ينبغي التركيز على هذه المفاهيم، لكي تكون رادعاً

---

(١) المصدر نفسه: ١٤٤، ١٤٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ١٤٦، ١٦٢.

عن الانحراف والرذيلة، فقد جربت مجتمعاتنا جميع الوسائل التربوية فلم تحقق الاستقامة المتوخاة الّا بحدود ضيقة، فلنجرب هذه المفاهيم والقيم ونجعلها من اهتماماتنا الثقافية والتربوية، فهل تجدي نفعاً؟! وقد وجدنا انّ الجمعيات الاصلاحية قد حققت أهدافها في اعداد الأحداث اعداداً تربوياً سليماً، بعد تركيز هذه المفاهيم والقيم في عقولهم ونفوسهم.

تعميق العلاقة مع الغيب

انّ الحدث بحاجة ماسة إلى الارتباط بعالم الغيب وبالقوة الغيبية الواهبة للحياة وللوجود وللرحمة، والمحيطة بالانسان احاطة تامة، وهذا الارتباط يمنحه الأمن والطمأنينة والهدوء والاستقرار، ويحرره من القلق والحيرة والاضطراب، وجميع ذلك يساهم في وقايته من الانحراف، لأنّ النفس المستقرة المطمئنة تندفع نحو الخير والصلاح وتنكمش عن الشر والطلاح، والعلاقة مع واهب الحياة والرحمة تردع الإنسان عن الانحراف والشرور ان كانت علاقة واقعية عملية بتحويل الشعور بها إلى حالة سلوكية في الواقع.

والعلاقة مع المطلق المنعم الواهب للحياة والرحمة، علاقة متنوعة في وسائلها ومظاهرها، ويمكن تحديدها في بعض النقاط:

١ ـ ذكر الله

قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1].

اطمئنان القلب يحقق التوازن النفسي والانفعالي داخل النفس الإنسانية

---

(١) الرعد: ٢٨.

وهو أحد أعمدة الصحة النفسية التي تساهم مساهمة فعّالة في ارتقاء الإنسان في سلم الكمال والمسيرة الصالحة.

وذكر الله يصد عن فعل القبيح، لاستشعاره بالرقابة الإلهية المطبقة على حركاته وسكناته، فلا يقدم على أي ممارسة مخالفة للموازين الإلهية في السلوك والعلاقات الاجتماعية، ولا يقدم على أي عمل لا يحرز فيه رضا الله تعالى.

وقد ذكر القرآن الكريم معادلة الذكر ذات الطرفين: الطرف الإنساني والطرف الإلهي.

﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾[1].

وتعددت تفاسير الذكر وهي جميعها موضع خير ورحمة للانسان، ومن هذه الأقوال:

- اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي.
- اذكروني بالشكر اذكركم بالثواب.
- اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة.
- اذكروني بالثناء بالنعمة اذكركم بالثناء بالطاعة[2].

ومصاديق الذكر متعددة ومتنوعة لا حدود لها ومنها قول رسول الله ﷺ: «استكثروا من الباقيات الصالحات: التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله»[3].

وقال ﷺ: «استكثروا من «لا حول ولا قوّة إلّا بالله»، فإنّها تدفع تسعة

---

(١) البقرة: ١٥٢.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢: ٣١.

(٣) الجامع الصغير ١: ١٥٢.

وتسعين باباً من الضرّ، أدناهم الهم»[1].

فينبغي تعميق ذكر الله في أعماق الحدث وممارسته في القلب واللسان، ليكون محاطاً بالمراقبة والمتابعة من قبل أقوى القوى المتحكمة في الحياة الكونية والإنسانية.

وينبغي اتخاذ خطوات عملية حسب مراحل النمو والنضج، وايسر الخطوات تحفيظ الايات والأحاديث الشريفة للحدث لكي يردّدها في اللسان ويعمّقها في القلب ثم يجسّدها في الواقع.

والذكر لا مشقة فيه ومن السهل ممارسته من قبل الحدث في اي عمر كان، فليركز على ذلك ليشب عليه ويلازمه في جميع مراحل العمر.

فاذا بدأ بعمل قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

وإذا حصل على نعمة قال: الحمد لله.

وإذا راى شيئاً جميلاً أعجبه قال: تبارك الله أحسن الخالقين.

وإذا عجز عن شيء قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وإذا أقدم على فعل شيء قال: أتوكل على الله.

وإذا فاته شيء قال: حسبي الله.

٢ ـ الدعاء

الدعاء يجعل الحدث مستشعراً للارتباط بمنعم الوجود والرحمة والرعاية، وبه تطمئن النفس ويستريح القلب، ويبقى في علاقة متواصلة مع القوة المهيمنة على الحياة باسرها والتي تحيط به وتراقبه باستمرار.

---

(١) الجامع الصغير ١: ١٥٢.

وبالدعاء يرتقي الحدث في سلم الصلاح والاستقامة ويبتعد عن الانحراف، حينمايتمرن على طلب العون من الله تعالى لاصلاح نفسه وانقاذها من الانحراف والرذيلة.

وينبغي تمرين الحدث على الدعاء، وتحفيظه بعض الأدعية ليبقى في أجواء روحية صالحة لاستقامته وصالحة لردعه عن ارتكاب الموبقات والممارسات الجانحة.

ومن هذه الأدعية الدعاء المنسوب إلى رسول الله ﷺ: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، والقسوة، والغفلة، والعيلة، والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر، والكفر، والفسوق، والشقاق، والنفاق، والسمعة، والرياء، وأعوذ بك من الصمم، والبكم، والجنون، والجذام، والبرص، وسيء الاسقام»[1].

وقد أثبتت التجارب التربوية ان الأحداث الذين ترعرعوا في أجواء مليئة بالتدين بذكر الله والدعاء أكثر استقامة من غيرهم من الأحداث وأقل انحرافاً، لتاثير الدعاء الايجابي على الاستقامة والاعتدال وعدم الوقوع في براثن الانحراف.

٣ ـ قراءة القرآن

القرآن الكريم احدى وسائل الارتباط بالله تعالى، وهو نور يستضيء به الإنسان، ففيه منهاج شامل للبشرية جمعاء يعين الإنسان على الاستقامة والتقيد بالموازين الصالحة والضوابط السلوكية السليمة.

---

(١) الجامع الصغير ١: ٢٢٣.

والقـرآن شفاء ورحمة: ﴿ونـنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[1].

وهو شفاء من جميع الأمراض والعلل النفسية التي تؤدّي غالباً إلى الجنوح والانحراف، كالوسوسة، والقلق، والحيرة، لأنّه يوصل القلب بمنعم الرحمة والرأفة فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن، وهو شفاء من العلل الاجتماعية التي تؤدّي بالحدث إلى الانحراف.

وقراءة القرآن توصل الحدث بالله تعالى وتحكمه في السلوك والممارسات العملية، وتجعله يستشعر الرقابة الالهية في حركاته وسكناته فلا يقع في حبائل الانحراف، فيسمو في مسيرته، لوضوح الطريق له.

ومن هنا فانّ من الواجب التربوي أن نعمق العلاقة بين الحدث والقرآن الكريم، عن طريق القراءة والحفظ والتدبر في قيمه المعنوية، وعمق العلاقة تجعله قادراً على شقّ طريقه وهو في كمال الصحة النفسية والعقلية والسلوكية.

وإذا تتبعنا الأحداث الذين ارتبطوا بالقرآن الكريم قراءة وحفظاً لوجدناهم أكثر استقامة من غيرهم وابعد من غيرهم عن الانحراف والرذيلة.

التمرين على العبادة

العبادة رابطة روحية تربط الإنسان بالمطلق اللامتناهي، وتربطه بعالم الغيب والمعنويات، فعن طريقها يتصل القلب بمنعم الوجود اتصالات شتى، حيث يتصل به خشوعاً وتذللاً، وحباً وتطلعاً، واطمئناناً إلى قدره، وتسليماً بما يرضاه، ويتصل به مراقبة له في جميع الأُمور الملازمة له.

---

(١) الأسراء: ٨٢.

وحين يشعر الإنسان بالرقابة الالهية له في فكره وشعوره، وفي سلوكه وممارساته، فإنّه سيهتز ويخشع ليكون منسجماً مع ما يريده وما لا يريده الخالق منه، في الجهر وفي الخفاء، وفي الصغيرة والكبيرة، فلا يفكر في الشر ولا يتمناه ولا يرتكبه، ولا يحيد عن الاستقامة.

والعبادة خير وسيلة لوقاية الأحداث من الانحراف، فينبغي تمرينهم عليها، وتدريبهم تبعاً لقدراتهم على الممارسة والاداء، والحدث يحتاج إلى عناية خاصة ـ من قبل الوالدين ومطلق المربين ـ في التمرين والتدريب على العبادة من أجل أن تذلّل مشقتها عليه، وأن يحدث الأُنس بينه وبينها، فتكون متفاعلة مع عواطفه وشعوره، ولتتحول إلى عادة ثابتة في حياته اليومية، يقدم عليها بشوق واندفاع ذاتيين دون ضغط أو اكراه أو كلل أو ملل.

فالتدريب على العبادة ضروري في مرحلة الحداثة لأنّ الحصانة من الانحراف والانزلاق تتقوى بالعبادة والتربية معاً، وقد أثبتت حركة الامم المنضوية تحت المنهج الاسلامي صحة المدّعى، منذ البعثة النبوية الشريفة إلى يومنا هذا.

ويبدأ المنهج التربوي الاسلامي في وضع قواعد أساسية تتناسب مع أعمار الأحداث للتمرين والتدريب على العبادة مع مراعاة القدرات العقلية والنفسية والبدنية لهم، ففي التمرين على الصلاة قال رسول الله ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أدب صغار بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فاذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٤.

(٢) تنبيه الخواطر: ٣٩٠.

والمقصود من الضرب استخدام الشدّة بشقيها النفسي والبدني، والشدة ذات بعد ايجابي ان ادت إلى التزام الحدث بالعبادة، فالمصلحة اكبر من الضرر الذي تخلقه لدى الأحداث في حال استخدام الشدة.

والأفضل أن يكون التمرين غير شاقٍ للحدث، لأنّه يؤدّي إلى النفور من العبادة وخلق الحاجز النفسي بينه وبينها، فينبغي مراعاة الاستعداد النفسي والبدني للحدث، وعدم إرهاقه بما لا يطيق، فيبدأمعه بالصلاة الواجبة دون المستحبة، وتترك المستحبة له ليؤديها حسب رغباته الروحية.

والصلاة من أفضل العبادات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر كما أكدت الآيات والروايات، ثم يأتي الصوم في الدرجة الثانية لأنّه يحصن الصائم من الانحراف والرذيلة.

ويبدأ التمرين على الصوم من العام السابع ويستمر بالتدريج كلما تقدّم العمر، مع مراعاة الطاقة والقدرة البدنية والاستعداد النفسي له.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «إنّا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما اطاقوا من صيام اليوم، فان كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو اقل، فاذا غلبهم العطش أفطروا حتّى يتعودوا الصوّم ويطيقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام فاذا غلبهم العطش أفطروا»[1].

وسأل سماعة الإمام الصادق ﷺ عن الصبي متى يصوم؟ قال: «إذا قوى على الصيام»[2].

ووردت روايات متواترة ومستفيضة تحث الوالدين على تمرين الأحداث

---

(١) الكافي ٤: ١٢٤.

(٢) الكافي ٤: ١٢٥.

على الحج والزكاة وسائر العبادات، كما أن هنالك روايات تحث على التمرين المتعلق بالمستحبات كالصلاة المستحبة والصدقة المستحبة وما شابه ذلك، لكي تولد في نفس الحدث مناعة من الانحراف والجنوح، وتدفعه للرقي والتكامل والسمو الروحي والخلقي.

والأُسلوب الأفضل في التمرين هو الاطراء والمديح، وتقديم الهدايا المادية والمعنوية، وجميع ذلك بحاجة إلى تضافر الجهود والطاقات الأُسرية والاجتماعية لخلق المحيط المناسب الصالح لتربية الأحداث تربية سليمة صالحة.

الوقاية بتنمية القدرات العقلية والعلمية

من خصائص أصحاب العقل السليم وحملة العلم هي القدرة على ادراك الحقائق والمواقف وسير الأحداث، والقدرةعلى التشخيص في حال ارتباك المفاهيم والقيم، والقدرةعلى استخلاص العبر والدروس وراء الأحداث والمواقف، فلا يلتبس عليهم أمر من الأُمور، ولا تتأرجح عندهم الآراء والتصورات، وهم قادرون على تشخيص المصالح والمفاسد القائمة في النفس وفي المجتمع وفي الحياة.

والتوازن العقلي يجعل صاحبه متفتح الذهن للنظر في الكون والحياة، والوصول إلى معرفة المجاهيل، وإلى تمييز الحسن من القبيح في الأفكار والعواطف والممارسات.

والدعوة إلى التعقل من أساسيات المنهج الاسلامي، والقرآن الكريم حافل بالايات التي تدعو إلى التعقل والتدبر وادراك الحقائق والأحداث واستخلاص العبر والدروس، وقد تواترت الروايات عن مكانة العقل وأثره في الحياة الإنسانية.

قال الإمام محمد الباقر ﷺ: «لمّا خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أُحبّ، أما إنّي إياك آمر، وإيّاك أنهي، وإياك

اعاقب، وإياك أُثيب»[١].

وقال ﷺ: «إنّما يداقُ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»[٢].

وقال الإمام جعفر الصادق ﷺ: «من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنّة»[٣].

أهمية التنمية العقلية

أهمية التنمية العقلية من القضايا المتفق عليها من قبل جميع شرائح المجتمع الانساني سواء كانوا مؤمنين أم ملحدين، وهي قضية لا تقبل النقاش لأنّها من المسلّمات في واقع النفس وواقع الحياة.

قال رسول الله ﷺ: «ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، واقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتّى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمّته، وما يضمر النبيّ ﷺ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدّى العبد فرائض الله حتّى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولوا الألباب...»[٤].

وقال الإمام موسى الكاظم ﷺ: «إنّ لله على الناس حجّتين: حجة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة

(١) الكافي ١: ١٠.
(٢) الكافي ١: ١١.
(٣) الكافي ١: ١١.
(٤) الكافي ١: ١٣.

فالعقول ...»[1].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «حجّة الله على العباد النبيّ، والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل»[2].

وقال عليه السلام: «دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم، وبالعقل يكمّل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فإذاكان تأييد عقله من النور كان عالماً، حافظاً، ذاكراً، فطناً، فهماً، فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصحه ومن غشه، فاذا عرف ذلك عرف مجراه وموصله ومفصوله، وأخلص الوحدانيّة لله، والاقرار بالطاعة، فاذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات، وواردا على ما هو آت، يعرف ما هو فيه، ولأيّ شيء هو ههنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كله من تأييد العقل»[3].

والعقل يوجب الحيطة والحذر من الوقوع في حبائل الانحراف، ويجعل الإنسان متريثاً قبل إتخاذ أي موقف أو القيام بأيّ ممارسة، ويجعله متوازناً في الاندفاع والانكماش تجاه القضايا والأحداث والأشخاص.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل يوجب الحذر»[4].

ويقرب الإنسان من النجاة كلما زاد عقله، حيث انّ زيادة العقل تنجيه من المعاطب والمهالك التي يوصله اياها عدم العقل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «زيادة العقل تنجي»[5].

والعقل يسدّد صاحبه ويوصله إلى سبل الرشاد والاستقامة، وله الدور

---

(١) الكافي ١: ١٦.
(٢) الكافي ١: ٢٥.
(٣) الكافي ١: ٢٥.
(٤) تصنيف غرر الحكم: ٥٢.
(٥) تصنيف غرر الحكم: ٥٣.

الأكبر في العفّة والخلق الرفيع، وفي نوال الخير، وهو شفاء من كثير من ألوان الانحراف والانحطاط الوشيكة الوقوع.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «من استعان بالعقل سدّده».

«زيادة العقل تنجي». «من عقل عفّ». «بالعقل تنال الخيرات». «ثمرة العقل الاستقامة». «العقل شفاء»[1].

والعقل أو التعقل يستدعي التفكر في الأُمور وعدم اتخاذ القرار دون تريث، والتفكر أو امعان الفكر يؤمن من الزلل، وينجي من المعاطب، ويحصن من الانحراف.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «الفكر في الأمر قبل ملابسته يؤمن الزلل». «الفكر يوجب الاعتبار ويؤمن العثار، ويثمر الاستظهار».

«الفكر في العواقب ينجي من المعاطب». «ثمرة الفكر السلامة»[2].

وأهم مظاهر التعقل المانعة من الجنوح والانحراف هي التمييز بين الصلاح والفساد، وتشخيص منافع الاستقامة ومثالب الانحراف.

أساليب التنمية العقلية

مرحلة الرضاعة

- ينبغي اشباع حاجة الرضيع إلى الاستكشاف، وحب الاستطلاع.
- فسح المجال له لاختبار قدراته، والتعبير عن نفسه.

مرحلة الطفولة المبكرة (٢ ـ ٦ سنوات).

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٥٢، ٥٣.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٥٨.

- اتاحة الفرصة للاستكشاف، واباحة حرية التجربة.
- الاهتمام بالاجابة عن تساؤلات الطفل بما يتناسب مع عـمره العـقلي، وتعليمه كيف ومتى يسأل ،وتدريبه على صياغة الأسئلة الجيدة.
- استغلال هواية الطفل للاناشيد وحب القصص في تقوية ذاكرته.
- مساعدته في عبور الفاصلة بين عالم الخيال والعالم الخارجي الواقعي.
- الاهتمام بالقصص التربوية وعدم المبالغة في القصص الخيالية، حتى لا يؤدّي ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به.
- تنمية الابتكار من خلال اللعب.
- تشجيع الطفل باستمرار لانه يحثه على بذل قصارى طاقته.
- البدء معه بالمحسوسات والانتقال منها تدريجياً إلى المجردات.
- عدم اجباره على تعلم القراءة والكتابة قبل أن يكون قـد تـمّ اسـتعداده لذلك.

مرحلة الطفولة الوسطى (٦ ـ ٩ سنوات)

- تزويد الطفل بالمعلومات المناسبة عن المدرسة قبل الدخول لها بما يثير اهتمامه ويجعله مشتاقاً اليها.
- تنمية الدافع إلى التحصيل بأقصى قدر تسمح به قدراته.
- تشجيع حب الاستطلاع، وتنمية ميوله واهتماماته.
- جعل مستوى طموحه متناسباً مع قدراته لا أكثر ولا أقل.
- تدريب الذاكرة عن طريق حفظ المحفوظات والأناشيد.
- تشخيص الفوارق العقلية بين الطلاب.
- تنمية الابتكار من خلال اللعب والرسم والأعمال اليدوية.
- عدم الإسراع في اقحام المفاهيم في ذهن الطفل قبل الاوان.

ـ تشجيع الطفل على حل المشاكل العقلية بنفسه.

ـ التشجيع على المشاركة في المسابقات الفكرية التي تقام في المدرسة أو في المجتمع.

ـ التعاون بين الأسرة والمدرسة.

الطفولة المتأخرة (٩ ـ ١٢ سنة)

ـ العمل على تنمية المواهب والميول، وتشجيعها بالاجابة على كل اسئلة الطفل.

ـ تدريب الطفل على ممارسة النقد والنقد الذاتي للأفكار والمواقف.

ـ تنمية حب الاستطلاع.

ـ تنمية المفاهيم وتقديمها على تكديس المعلومات في عقول الأطفال.

ـ التدريب على استعمال الأفكار المعنويةغير المحسوسة.

ـ تشجيع الطفل على أن يتعلم من خبراته الخاصة أكثر مما يتعلم من خبرات الكبار.

ـ تنمية قدرته على توجيه سلوكه الخاص وتكوين قيمه.

المراهقة المبكرة (١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ سنة)

ـ الاحاطة بمصادر المعرفة خارج المدرسة، واختيار المناسب منها لتستخدم في النمو العقلي للمراهق.

ـ تشجيع المراهق على التعلم من كافة المصادر.

ـ تيسير الخبرات الواسعة التي تسمح بنمو التفكير.

ـ التشجيع على الهوايات الابتكارية.

ـ التشجيع على ممارسة النقد للأفكار والنظريات والاراء.

- اشراك المراهق في وضع الحلول لبعض المشاكل التربوية والعلمية والاجتماعية.

- الاهتمام بالتأهيل المهني لمن يتركون المدرسة وايجاد الحلول لمشكلاتهم.

- جعل مستوى الطموح ممكن التحقيق ومتناسباً مع القدرات.

آليات التنمية العقلية

- طلب العلوم.
- الاستفادة من التجارب.
- تشغيل قوة الذاكرة.
- التعمّق في المسائل.
- السعي والمثابرة وعدم الكسل.
- تحريك عوامل التفكير.
- تركيز الانتباه.
- النظر الدقيق إلى الماضي وعِبَر التاريخ.
- تنمية قوة النقد.
- تحليل الاحداث والوقائع وعللها.
- مجالسة ذوي العقول.
- تكثيف الزيارات والمحاورات والمحادثات والصداقات.
- التعاون بين الأُسرة والمدرسة.

المبادرة إلى التعليم

التعليم ضروري للانسان في جميع مراحل الحياة ابتداءً بمرحلة الحداثة: الطفولة والمراهقة، وهي أفضل مرحلة للمبادرة إلى التعليم، لنضوج القوى العقلية وللرغبة الذاتية في اكتساب المهارة العلمية في مختلف شؤون المعرفة.

والحدث في المراحل الاولى من حياته لديه الاستعداد التام لحفظ ما يُلقى على مسامعه، والتعليم في هذه المرحلة يساعد على رسوخ المعلومات في ذهنه وبقائها محفوظة في الذاكرة.

قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يتعلّم في صغره كالنقش في الحجر»(١).

ولضرورة المبادرة إلى التعليم أوصى رسول الله ﷺ الوالدين قائلاً: «مروا أولادكم بطلب العلم»(٢).

وجعل ﷺ تعليم الحدث باباً من ابواب الرحمة الالهية، فقال: «رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالاحسان إليه، والتألف له، وتعليمه وتأديبه»(٣).

والتعليم حق له على والديه، قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ: «... وأمّا حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه ...»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من حقّ الولد على والده ثلاثة: يحسّن اسمه ويعلّمه الكتابة، ويزوّجه إذا بلغ»(٥).

وينبغي أن يكون التعليم غير مقتصر على القراءة والكتابة، بل يكون شاملاً

---

(١) كنز العمال ١٠: ٢٩٤.

(٢) كنز العمال ١٦: ٨٥٤.

(٣) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٦.

(٤) تحف العقول: ١٩٤.

(٥) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.

لجميع جوانب العلم ومجالاته المختلفة كعلوم الطبيعة والعلوم الإنسانية، والأهم من ذلك تعليمه أساسيات المنهج الديني وتفريعاته وتفصيلاته، وبعبارة اخرى تعليمه أُصول وفروع الدين، وهي شاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية.

وبتعلم الضوابط الشرعية مع التمرين على العمل بها، يتحصّن الحدث من الانحراف والانزلاق في مهاوي الرذيلة، ويتدرج في سلم التكامل والسمو الروحي والخلقي.

ولأهمية المبادرة إلى التعليم ينبغي التعاون بين الأُسرة والمدرسة ومطلق المربين، ودخول المدرسة ضروري جداً في عصرنا هذا لانها تؤهل الحدث إلى التكيّف الاجتماعي عن طريق الاحتكاك الدائم مع مجتمعه المصغر، وقد دلّت الملاحظات الميدانية والدراسات التربوية على انّ طلاب المدارس أو المتخرجين من المدارس أقرب إلى الاستقامة من غيرهم، وانّهم أقل انحرافاً من الأُمّيين أو من المنقطعين عن الدراسة.

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يا طالب العلم إنّ العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النيّة، وعقله معرفة الأشياء والأُمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السّلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأوه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبّة الأخيار»[1].

---

(١) الكافي ١: ٤٨.

وقال ﷺ: «كفى بالعلم رفعة». «قيمة كل امرء ما يعلم».

«يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالأموال والأُصول»[1].

وقال ﷺ: «جالس العلماء تسعد». «مجلس الحكمة غرس الفضلاء»[2].

وقد أثبتت الدراسات العلمية والتربوية انّ الفتي والفتاة الناجحين اللذين يحققان أغراضاً نافعة، قلّما يصبحان جانحين[3].

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٤٢.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٤٧.

(٣) علم النفس التربوي: ١٤٥.

الوقاية بتنمية العواطف والضوابط الذاتية

العواطف من أهم بواعث الإنسان للعمل، حيث تتحكم بسلوكه وممارساته العملية اندفاعاً وانكماشاً تبعاً لدرجة التعلق والنفور، وتبدأ العواطف منذ مرحلة الرضاعة ثم تنمو بالتدريج حينما يتقدم الحدث في العمر، وحينما يتسع محيطه الاجتماعي، حيث تؤثر الضغوط الاجتماعية تأثيراً واضحاً في النمو والتوازن العاطفي، فتتأثّر العواطف بالمتبنيات الفكرية المحيطة بالحدث والتي يتفاعل معها في حدود إدراكه العقلي، فحينما يؤمن بأنّ العمل الفلاني يرضي الله تعالى أو يرضي والديه فانه سيندفع لادائه، والعكس صحيح.

ويمكن تقسيم العواطف إلى أربعة أقسام:

١ ـ العواطف الفردية.

٢ ـ العواطف العالية.

٣ ـ العواطف الاجتماعية.

٤ ـ العواطف الخلقية.

ونقصد بالعواطف الفردية هي العواطف التي تتعلق بذات الحدث أو مطلق الإنسان، كحب التملك، وحب الاستقلال، وحب المكانة الاجتماعية، وحب التفوق على الآخرين، واحترام الآخرين له، وهذه العواطف تساهم في جلب المنفعة الشخصية والذاتية له، ودفع المضرة عنه.

والعواطف العالية هي العواطف التي تسمو بالحدث ـ في حدود إدراكه العقلي ـ إلى المثل الأعلى، فتحبب إليه الارتباط والتعلق بالمطلق الواهب للعطف والرأفة والرحمة، وتحبب إليه الحقيقة المجردة التي لا يجني من حبها منفعة شخصية وذاتية.

والعواطف الاجتماعية هي العواطف التي تدفعه للارتباط بالآخرين ابتداءً بالوالدين والاخوة والأخوات والأقارب وانتهاءً بالمجتمع والإنسانية جمعاء.

والعواطف الخلقية هي العواطف التي تتعلق بالممنوع وغير الممنوع من أنواع السلوك.

وتنمية العواطف باتجاه الخير والمروءة وجميع الخصائص الحميدة، والابتعاد عن الشر والانحراف، كفيل بانقاذ الحدث وانسان المستقبل من الانحراف والاعوجاج، لأنّ الخير والمروءة بحاجة إلى انشاء واقعي في الضمائر، وتثبيت في النفوس، وبث الحياة النابضة الدافعة في اعماق الكيان الانساني بحيث تستحيل قوة ايجابية موحية مكيّفة للمشاعر والتصورات، وبهذا الانشاء والرسوخ تتهيأ القلوب لنبذ خصائص الشر ومطاردتها في عالم الباطن وعالم الظاهر على حد سواء وأفضل الطرق والوسائل لتنمية العواطف النبيلة إشعار الحدث بالحب والتقدير واحاطته بالحنان والرأفة واشباع حاجاته المادية والروحية، فإذا استشعر بذلك فانه يرتبط ارتباطاً عاطفياً بمصدر الحب والحنان ـ وهما الوالدان ابتداءً ـ فتزداد ثقته بهما، ويستجيب أو يقتنع بما يطرح عليه من مفاهيم ومثل وقيم، ويكون مستعداً للاستجابة لهما، فتصبح لديهما القدرة على الهيمنة عليه عاطفياً، وتوجيهه توجيهاً حسناً، وتهذيب عواطفه بالصورة المنسجمة مع المفاهيم والمثل والقيم الصالحة، وخلق التوازن بين مختلف أنواع العواطف لديه.

ومن الأساليب المفضلة فسح المجال للحدث للتعبير عن انفعالاته تعبيراً صحيحاً، ليتم تحويلها من معاناة استعراضية إلى مشاعر أخلاقية حقيقية تتحكم بالسلوك العملي الواقعي، لأنّ كبت الانفعالات أمر ضار وخطر مهما كان لونها وحجمها، مع الموازنة بين الكبت والضبط، ليتم من خلال التعبير الاطلاع على أوضاع الحدث النفسية والعاطفية، وترتيب ما يناسبها من مقومات الاصلاح والتهذيب.

وتنمو العواطف من خلال الأوامر والنواهي وقائمة المسموح والممنوع، والتي لا يتقبلها الحدث الّا من قبل المعاملين له بحب وحنان، واستشعاره بحرصهم على مصلحته، وبهذا الشعور تحدث الأُلفة والانس بين قلبه وبين المفاهيم والقيم المراد ترسيخها من خلال الأوامر والنواهي.

وتنمو العواطف من خلال القدوة والمثال الذي يقدمه الاخرون وخصوصاً أرقى نماذج الشخصية الإنسانية، والحدث غالباً ما يقتدي أو يتشبه بمن لهم سلطان روحي ونفسي، ومن لهم مكانة اجتماعية مرموقة، والاقتداء بالأسلاف (أكثر من الاقتداء بالطبقة العليا)[1].

وفي مجتمعنا العربي والاسلامي توجد نماذج عالية من الشخصيات وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وسائر الرسل والأنبياء، وأهل بيت النبوة ﷺ، والصحابة، والأولياء، والفقهاء، فينبغي توجيه كيان الحدث نحوهم، بتعميق حبّهم في قلبه، والاقتداء بهم، ومن خلال ذلك تنمو العواطف تجاه أرقى نماذج الشخصية وأرقى نماذج المثل والقيم التي جسدوها في الواقع، كحب الاخرين، وحبّ الكرامة، والايثار، والإحسان، والكرم، والأمانة، والصدق، والحلم،

---

(١) علم الاجتماع: ١٤٦.

والرفق، وعموم حسن الخلق وحسن السيرة.

والابتعاد عن جميع ما ابتعدوا عنه كالتقاطع والتدابر، والخيانة، والكذب، وعموم سوء الخلق وسوء السيرة.

وينبغي ابعاد الحدث عن الاقتداء والتعلق بالمنحرفين أو الهامشيين في الحياة، لكي لا يكون مثله مغنياً أو رياضياً أو ممثلاً، لانه لا يقدم له النموذج الأفضل في المسيرة الإنسانية.

تنمية الحياء

الحياء عبارة عن الشعور بالانفعال والانكسار النفسي نتيجة للخوف من اللوم والتوبيخ من الاخرين، وهو شعور تراعى فيه المثل والقيم والضوابط الاجتماعية، ويساهم مساهمة فعالة في ضمان تنفيذ القوانين، والمنع من الاقدام على التجاوز والاعتداء على حقوق الاخرين، وهو الذي يحصن الإنسان من جميع ألوان الانحراف والرذيلة.

والحياء النافع هو الحياء المعتدل لا الحياء المفرط الذي يحرم صاحبه من كثير من الأعمال النافعة.

والحياء من الأساليب التربوية التي أكّد عليها قادة الاصلاح في العالم الإنساني، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، حيث جعل الحياء من الإيمان ومن الدين حيث قال:

«الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[1].

---

(١) مكارم الأخلاق لأبي الدنيا: ٦٤.

وذكر عنده الحياء فقالوا: يا رسول الله، الحياء من الدين، فقال ﷺ: «بل هو الدين كلّه»[١].

وقال ﷺ: «الحياء خير كلّه»[٢].

وقال: «انّ لأهل كل دين خُلقاً، وانّ خلق الاسلام الحياء»[٣].

وقال: «إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوة الاولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[٤].

وروي انّه ﷺ مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال ﷺ: «دعه فإنّ الحياء من الإيمان»[٥].

ومن فضائل الحياء التي ذكرها أمير المؤمنين ﷺ:

«الحياء خلق جميل».

«الحياء خلق مرضي».

«العقل شجرة ثمرها الحياء والسّخاء».

«الإيمان والحياء مقرونان في قرن ولا يفترقان».

«انّ الحياء والعفّة من خلائق الإيمان وانهما لسجية الأحرار وشيمة الأبرار».

«لا شيمة كالحياء»[٦].

ولآثاره الايجابية وجّه ﷺ الانظار إليه لكي يقوم المعنيون بشؤون التربية

---

(١) مكارم الأخلاق: ٧٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ٦٧.

(٣) مكارم الأخلاق: ٨٥.

(٤) مكارم الأخلاق: ٧٣.

(٥) سنن ابي داود ٤: ٢٥٢.

(٦) تصنيف غرر الحكم: ٢٥٦، ٢٥٧.

بتركيزه في أعماق الأحداث وغيرهم، فقال:

«الحياء مفتاح كلّ الخير».

«الحياء يصد عن فعل القبيح».

«ثمرة الحياء العفّة».

«من كساه الحياء ثوبه خفي عن الناس عيبه»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديثه عن اثار الحياء: «فلولاه لم يُقر ضيف، ولم يوف بالعداة، ولم تقض الحوائج، ولم يتحر الجميل، ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء، حتى أن كثيراً من الامور المفترضة أيضاً انما يفعل للحياء، فانّ من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه، ولم يصل ذا رحم، ولم يؤد أمانة، ولم يعفّ عن فاحشة»[2].

فينبغي تربية الحدث على الحياء المتـوازن المعقول الذي يمنعه من تجاوز الضوابط والقيم السلوكية والاجتماعية، والحياء الممدوح هو الحياء المتخذ أمام القوى الفعّالة، وعلى رأس ذلك الحياء من الله تعالى، فينبغي الحياء من:

١ ـ الله تعالى.

٢ ـ النفس.

٣ ـ المجتمع.

٤ ـ القانون.

فالحياء من الله ومن النفس يردع الإنسان عـن الانـحراف الخـفي وغـير المعلن، والحياء من المجتمع والقانون يردعه عن الانحراف العلني والمخفي معاً خوفاً من انكشافه أمام الملأ.

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٢٥٧.

(٢) بحار الأنوار ٢: ٢٥.

تنمية الضمير

الضمير هو الرادع الداخلي الذي يقدر ما هو حسن وما هو سيء، فيساعد الإنسان على اتخاذ القرار السليم والصحيح، والتخلي عن القرار السقيم المخالف لقواعد السلوك والضوابط الاجتماعية.

ويرى الباحثون: انّ في داخل كل انسان حسّاً، وهذا الحس هو القوة الكامنة بين جوانحه، والتي يمكن أن تحكم ضدّه في يوم من الأيام، وهذه القوة هي الضمير نفسه، فالضمير هو السلطة الخفية التي تتحكم بالانسان وهو صوت الله في داخل الإنسان كما عبروا.

وينقل أن للفيلسوف الألماني الشهير «كانت» عبارة، كتبت على قبره بعد وفاته، يقول فيها: شيئان يثيران اعجاب الإنسان هما: السماء المليئة بالكواكب والنجوم التي تُظلنا، والثاني هو: الضمير المستقر في باطن الإنسان.

فالضمير هو تلك القوة التي تتخذ موقفاً من الإنسان فيما إذا أقدم على رذيلة من الرذائل، أو عمل من الأعمال غير الطيّبة، فتحدثه وتؤنبه[1].

والضمير أساس هام في عملية نمو الطفل، والذي يبدأ في أداء دوره من العام السادس إلى العام الثاني عشر، حيث تنمو لديه القدرةعلى الضبط الاجتماعي.

والضمير ينمو باتجاه الاستقامة من خلال التربية المتواصلة والتوجيه الدائم من قبل الوالدين والمعلمين ومطلق المربين، ومن خلال توجيه الانظار إلى احترام القواعد السلوكية للمجتمع الذي يعيش فيه الطفل، وينمو الضمير عن طريق الايحاء والتلقين من قبل الوالدين وغيرهم.

---

(١) الاسلام ومتطلبات العصر: ٣١٧.

وينمو الضمير من خلال ملاحظة القدوة الحسنة، أيّ انّ الفعل والممارسة السلوكية لهما التأثير الواضح على تنمية الضمير أكثر من تأثير القول والتوجيه اللفظي، فاعتراف الكبار بالخطأ الذي يرتكبونه يقوّي في أعماق الطفل القدرة على الضبط الاجتماعي، فينمو ضميره باعتراف الكبار أمامه أوله بالخطأ.

ومن العوامل المساعدة على تنمية الضمير أن يتم التعامل مع الطفل على أساس انّه شخصية مستقلة، لأنّ ذلك ينمي في الطفل الاحساس بالتكليف والمسؤولية، ومعرفة الصواب من الخطأ، وتمييز الاستقامة عن الانحراف، فكلما عومل على أنه كيان مستقل كلما استجاب لما يراد منه كالتقيد بقواعد السلوك، والقيام بالواجبات النبيلة، والقدرة على التوافق الاجتماعي.

والأهم من جميع ذلك ربط الحدث وخصوصاً في مرحلة الطفولة المبكرة بالغيب وما يحيط به من قوة تراقبه وتتابعه وتحصي عليه حركاته وسكناته، فانّ ذلك يؤدي إلى أن يحيا الضمير ويؤدي دوره في التوجيه والتهذيب والردع.

فلنساهم جميعاً في تنمية ضمير الحدث عن طريق ربطه بالغيب، وتشجيعه على الاعتراف بالخطأ بكامل الحرية، والاعتراف أمامه بالخطأ، وفسح المجال له لتنبيه الاخرين ـ وان كانوا كباراً ـ على ما يرتكبونه من أخطاء.

إصلاح البيئة الاجتماعية ومواقع التأثير

انّ للبيئة الاجتماعية دوراً ملحوظاً في بناء شخصية الإنسان منذ ولادته، حيث تمنحه ما يتناسب ومحيطه الطبيعي من صفات وخصائص وأخلاق، ويكون المحيط التربوي هو الأكثر تأثيراً على ابراز استعداد الحدث للتآلف الاجتماعي وتدعيم أسس شخصيته واكتسابه الصفات الاجتماعية صالحة كانت أم طالحة.

والبيئة الاجتماعية تتحكّم بتحريك الإنسان وبناء شخصيته، حيث انّ مجريات الحياة الاجتماعية قادرة على بناء الإنسان فكرياً وعاطفياً وسلوكياً، أي انّ تأثيراتها متغلغلة في أعماقه وخلجاته.

والبيئة الاجتماعية تبتدأ بالزقاق والجيران والمدرسة وتنتهي بمؤسسات الدولة لتشمل جميع مواقع التأثير على الفكر والعاطفة والسلوك، وهي متعددة بتعدّد مواقع ومواضع التأثير، وأهمها:

١ ـ المحلّة: وتشمل الزقاق والجيران والأصدقاء.

٢ ـ المسجد.

٣ ـ مجالس العلماء والصالحين.

٤ ـ جلسات الذكر، وحفظ القرآن وقراءته.

٥ ـ المكاتب العامة.

٦ ـ المعسكرات الرياضية والكشفية.

٧ ـ الفرق والنوادي الرياضية.

٨ ـ الراديو والتلفزيون والسينماوالمسرح.

٩ ـ الصحف والمجلات.

١٠ ـ النقابات والاتحادات الطلابية والمهنية.

١١ ـ الأحزاب والتنظيمات.

١٢ ـ المدارس الأكاديمية والدينية.

١٣ ـ عصابات وجماعات الأحداث.

اضافة إلى الزيارات الدورية والاحتفالات العامة والخاصة، والمهرجانات المتنوعة.

وهذه المواقع والمواضع هي أساس البيئة الاجتماعية التي تؤثر على الحدث وعلى أفراد المجتمع عموماً، حيث ترمي إلى غاية تربوية أخلاقية لها أهمّيتها ـ بعد الأسرة ـ في حياة الحدث، ليتعود منذ حداثته على التمسك بالمثل والقيم، واحترام العادات والتقاليد الصالحة.

ولا تتم الوقاية من الجنوح والانحراف إلّا باصلاح هذه المواقع والمواضع الاجتماعية، وجعلها ترجماناً للأخلاق الصالحة فكرياً وعاطفياً وسلوكياً، وأُولى خطوات الاصلاح التوافق بين القوى الموثرة والفاعلة في المجتمع وعلى رأسها المؤسسة الحكومية والمؤسسة الدينية أي التوافق بين الحكّام وعلماء الدين، والتعاون الايجابي من أجل تفعيل النمو الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية، وبناء الإنسان بناءً تربوياً سليماً. وبالتوافق والتعاون يتم اصلاح جميع المواقع والمواضع بما فيها وسائل الاعلام لانها تتأثر وتؤثر، ولانها خاضعة لبرمجة وتخطيط ومنهجية بحاجة إلى من يقومها تبعاً للموازين الثابتة

المتفق عليها بين القوى الفاعلة في حركة المجتمع.

ويتم التوافق بالرجوع إلى النقاط المشتركة وفي مقدمتها تبني الدين منهجاً في الحياة بجميع أبعادها ومرافقها، وبه يتم الاصلاح لجميع المواقع والمواضع الاجتماعية الدخيلة في التربية والتنشئة الا تماعية، ووقاية الأحداث من جميع الوان ومظاهر الجنوح والانحراف.

واصلاح البيئة الاجتماعية يحقق بعض الانجازات الوقائية في الواقع وأهمها:

١ ـ توفير فرص النمو السليم لجميع الأحداث، ولكل عناصر الشخصية ومقوماتها: الفكرية والعاطفية والسلوكية.

٢ ـ ابعاد العوامل المشجعة للجنوح والانحراف.

٣ ـ اكتشاف الاستعداد للجنوح اكتشافاً مبكراً.

٤ ـ فرض سلطة المجتمع والقانون على الجميع.

٥ ـ توفير نظام متوازن لاصلاح جميع الأوضاع.

٦ ـ تجميع الطاقات باتجاه الوقاية من الجنوح والانحراف.

٧ ـ احياء مبادىء الاصلاح والتغيير أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨ ـ تكثير عدد الدعاة إلى الخير والصلاح.

القضاء على فرص الغواية

ان إصلاح البيئة الاجتماعية يستلزم القضاء على جميع فرص الغواية، وابعاد الإنسان والحدث خصوصاً عن مواطن الاثارة والاغراء في جميع

مظاهرها. فالحدث يحمل غرائز متعددة تبقى في دور الكمون ان لم تلق اثارة، أو تنطلق انطلاقاً مشروعاً استجابة للاثارة الخارجية والاحساس الحيوي الضاغط على النفس.

فالحدث بحاجة إلى التملك، وبحاجة إلى اشباع حاجاته المادية، كالحاجة إلى المأكل والملبس وإلى أدوات اللعب، وقد ينحرف من أجل إشباعها، فينبغي ابعاده عن عناصر السوء التي تمتلك ما يحتاج إليه، وابعاد المثيرات عنه لكي لا يلتجأ إلى الحصول على ما يحتاجه بطريق مخالف للضوابط الاجتماعية، كالسرقة والاحتيال، أو الوقوع تحت تأثير من يمتلك المال اللازم لاشباعها.

وينبغي ابعاده عن بور التوتر التي تثير في نفسه الغضب ومن ثم العدوان.

وينبغي ابعاده عن المثيرات الجنسيةمن أجل أن تبقى غريزته الجنسية في دور الكمون والركود.

ويمكن تحديد مظاهر القضاء على فرص الغواية بالنقاط التالية:

١ ـ ابعاد الحدث عن رفاق السوء.

٢ ـ إبعاد الحدث عن الكبار مطلقاً ممّن لا يرتبطون معه برابطة اجتماعية ضرورية.

٣ ـ ابعاد الحدث عن العمل في المعامل أو المقاهي أو سائر مواقع العمل والكسب.

٤ ـ ايداع الأحداث الجانحين في مؤسسات اصلاحية تربوية لكي لا يؤثروا على غيرهم.

٥ ـ ملاحقة المنحرفين الكبار ومعاقبتهم وعزلهم عن افراد المجتمع.

٦ ـ اغلاق أماكن الانحراف والفسوق.

أ ـ مراكز الدعارة.

ب ـ الملاهي.

ت ـ حانات الخمور.

ث ـ مراكز لعب القمار.

ج ـ المسابح المختلطة.

ح ـ السينما الخليعة.

وقد ذكرنا في كتاب آخر بعض الاجراءات الوقائية من الانحراف الجنسي نجملها في نقاط:

١ ـ إبعاد الحدث عن الاطلاع على صورة المباشرة الجنسية من قبل والديه ومن قبل الاخرين.

٢ ـ التفريق في المضاجع بين الأحداث في مرحلة الطفولة المتأخرة.

أ ـ بين الصبي والصبية.

ب ـ بين الصبي والصبي.

ت ـ بين الصبية والصبية.

٣ ـ التحذير من النوم في غطاء واحد.

٤ ـ التحذير من تبادل القبل بين الكبار والأحداث من جنس مختلف.

مراقبة الأحداث

مراقبة الأحداث بصورة مباشرة أو غير مباشرة أو كليهما معاً كفيلة بوقايتهم من الجنوح والانحراف، فينبغي مراقبة الحدث باستمرار من حيث تصوراته وعواطفه وممارساته، لان المراقبة تؤدي إلى معرفة الاستقامة

والصلاح من حيث قربه وبعده عنها.

ومراقبة الحدث في المجتمع أكثر ضرورة منها في الأُسرة، والمراقبة تحتاج إلى تعاون دائم بين الاسرة والمدرسة وبين الأُسر المختلفة.

ومن الضروري أن يشعر الحدث بأنّه غير متروك من قبلْ والديه، وإنهما يحرصان عليه ويراقبان سلوكه.

ومن العوامل الواقعة في طريق المراقبة، اختيار الأصدقاء الصالحين وابعاده عن أصدقاء السوء، اضافة إلى محاسبته بهدوء في حال حصول تغيّر في ممارساته أو واقعه السلوكي، والحرص على أن لا يقضي أوقاته غالباً خارج البيت، اضافة إلى عدم السماح له بالخروج ليلاً وان كان ذكراً، أو التأخر لحين دخول الليل.

الفصل الرابع

علاج جنوح الأحداث

علاج جنوح الأحداث يعني تغيير المحتوى الداخلي للحدث في عقله وقلبه وارادته لينسجم مع الموازين والمعايير الاجتماعية الصالحة، وتحقيق الانسجام بين مقومات الشخصية: الفكر والعاطفة والسلوك، لتبقى وحدة واحدة لاازدواجية فيها ولا تناقض.

والتغيير ليس أمراً هيناً إذا نظرنا إلى طبيعته، وطبيعة الميدان الذي يحلّ فيه، وهو ميدان النفس البشرية، فهو يواجه محدودية الإنسان وضعفه وعجلته، ويواجه رغبات النفس ونزواتها المتجذرة والطارئة والمتقلبة، ويواجه اعتزاز الإنسان بمفاهيمه وقيمه التي آنس بها، وأصبحت جزءاً من كيانه الموروث والمكتسب، وما يتلبس بها من مصالح مادية ونفعية، ويواجه بعض الأفراد والتيارات التي لا يروق لها اصلاح الأحداث أو اصلاح المجتمع ككل، ويواجه الإنسان المعالج أو المصلح أو المغير رغباته الذاتية في حب الراحة، والخلود إلى الرخاء.

وهكذا فالعلاج مسؤولية وتكليف شاق بحاجة إلى تجميع الطاقات وتكثيف الجهود، وتنسيق الخطط والبرامج، وتنظيم الأعمال، اضافة إلى توزيع المسؤوليات، وهو جزء لا يتجزأ من اصلاح المجتمع بجميع مرافقه ومجالاته ابتداءً بالاسرة وانتهاءً بالمؤسسة الحاكمة على العقول والقلوب والارادات، وهي السلطة السياسية والسلطة الدينية.

ودعوتنا لاصلاح المؤسسات الحكومية والدينيةهي دعوة هادئة للعودة

إلى المنهج الإلهي في الحياة وجعله القاعدة الفكرية التـي تسـتمد مـنها الدولة تشريعاتها وقوانينها، وتتحقق هذه الدعوة بالتوافق بين الحكومة وسائر القـوى الفاعلة في الحياة الاجتماعية وعلى راسها علماء الديـن والمـؤسسة الديـنية، وإنهاء التقاطع والتدابر الذي لم يحقق إلّا مزيداً من الاضطراب والارباك وعرقلة المسيرة الاصلاحية والتربوية، وإبعاد العاملين عن اهدافـهم الكـبرى، فـينبغي اعادة النظر في تقييم الأوضاع التي تمر بها مـجتمعاتنا، والعـمل الجـاد لعـلاج المظاهر السلبية، وكل ذلك متوقف على تضافر الجهود لانـجاح المسـيرة فـي علاج الجنوح والانحراف، فإذا صلح المجتمع صلح الحدث الذي يـعيش فـيه، وعلاج جنوح الأحداث بنفسه قد يكون سهلاً يسيراً، لتقبل الحدث للتغيير قبل تجذر جنوحه، وسيصبح عسيراً في حال انحراف المجتمع برمته.

وفيما يلي نستعرض طرق ووسائل العلاج المتاحة:

العلاج بالارتباط بالغيب

الارتباط بالغيب واستشعار الرقابة الالهية، والوثوق بـالرأفـة والرحـمة، والخوف من الشدةوالعقاب، تجعل الإنسان حدثاً كان أم كبيراً يعيش الأمل في العودة إلى الاستقامة، وتجاوز الاخطاء والانحرافات الواقعة عن عمدٍ أو عن غير عمد، وفيما يلي أهم معالم هذا العلاج:

الاعتراف

الاعتراف بالذنب وبالانحراف يساهم مساهمة فـعّالة فـي العـلاج، فـبه يشكو الحدث من نفسه الأمارة بالسوء طلباً للخلاص والانقاذ، وهذا الاعتراف

يعمل على:

- ازالة مشاعر الذنب والاثم.
- التخفيف من عذاب وتأنيب الضمير.
- اعادة الاطمئنان للنفس المضطربة.
- التصميم على عدم تكرار الذنب.
- التفكير في الاستقامة من جديد.

وقد ذكر أمير المؤمنين ﷺ الاثار الايجابية للاعتراف فقال:

«شافع المذنب اقراره وتوبته اعتذاره».

«من اعترف بالجريرة استحق المغفرة».

« لا اعتذار أمحى للذنب من الاقرار».

«عاص يقر بذنوبه خير من مطيع يفتخر بعمله».

«ما أذنب من اعتذر».

«من أحسن الاعتذار استحق الاغتفار»[1].

فينبغي تشجيع الحدث على الاعتراف بخطئه وذنبه وسلوكه الشائن أمام والديه لعلاجه واصلاحه، أو الاعتراف أمام الله تعالى، سرّاً دون علم أحد، ليجد أمامه الرحمة والعطف والشفقة المنقذة له من جميع مظاهر الجنوح وألوانه.

محاسبة النفس

الإنسان وخصوصاً في مرحلة الحداثة بحاجة إلى رادعٍ من نفسه ووازع من داخلها، يحاسبها على الممارسات الخاطئة، والمواقف غير السليمة،

(١) تصنيف غرر الحكم: ١٩٥.

والتمرين على تقييم الذات ومحاسبةالنفس يمنع الحدث من تكرار الانـحراف، ويردعه عن الاستمرار، وإذا نمت ظاهرة المحاسبة في مرحلة الحداثة فانها تبقى ملازمة للحدث في جميع مراحل حياته، وتتجذر أكثر فأكثر في اغوار النـفس وأعماق الضمير، فينبغي تربيته على محاسبة النفس بـحدود مـداركـه العـقلية والانفعالية.

قال رسول الله ﷺ ـ في وصيّته لأبي ذر ؓ ـ: «يا أبا ذر حاسب نـفسك قبل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غداً، وزن نـفسك قـبل أن تـوزن، وتـجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى منك على الله خافية»[١].

وقال الإمام موسى الكاظم ؑ: «يا هشام ليس منّا من لم يحاسب نـفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله مـنه وتـاب إليه»[٢].

التوبة

التوبة عودة إلى الاستقامة والنزاهة وحسن السيرة، وهي باب من أبواب الهداية والرحمة، فبها يرجع الإنسان سوياً، يستشعر الرحـمة والطـمأنينة، فـلا آلام ولا عقد نفسية ولا حجب ضبابية عن الاستقامة والاعتدال، فينبغي تمرين الحدث على استشعار التوبة وتعميقها في أغوار نفسه لكي يـطمئن إلى تـدارك الماضي، ومحو آثار الانحراف السلبية المخيّمة عليه والمطبقة على نفسه.

قال تعالى: ﴿إنّ الله يحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهّرين﴾[٣].

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤٦٥.

(٢) تحف العقول: ٢٩٥.

(٣) البقرة: ٢٢٢.

فاستشعار الحب الإلهي للتائب يجعل الحدث مندفعاً للتوبة حسب نضجه العقلي وعمره الزمني، فيبادر إلى ترك كل ممارسة يراهـا خـطأً طـبقاً للـمنهج التربوي المتّبع معه من قبل الوالدين، والتوبة تطهر النفس والسلوك معاً،وتـنقذ العقل والقلب والارادة من الاثار السلبية التي يخلقها الانحراف والشذوذ.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب»[١].

فينبغي اعانة الحدث على ادراك حقائق التوبة واستشعار الولادة الجديدة له بالعودة للاستقامة.

وقسم العلماء التوّابين طبقات:

١ ـ من هو سليم الفطرة عظيم الاستعداد للخير، فهو إذا وقع في خطيئة مرة كان له منها أكبر عبرة، فيندم بعدها ويحمل نفسه على الفضيلة ويصرفها عن كل رذيلة.

٢ ـ من تكون داعية الشهوة اقوى في نفسه وأرسخ في قلبه، فـإذا اطـاع نفسه وارتكب معصية قامت الخواطر الالهية تحاربه وتوبخه حتى تنتصر عـليه وتقهره قهراً تاماً، فلا يعود بعدها إلى اجتراح إثم ولا وقوع في ذنب.

٣ ـ من تقوى نفسه بالمجاهدة على اجتناب كبار الإثم والفواحش لا على صغار الذنوب والاثام، وهناك تكون الحرب في نفوسهم سجالاً بين ما يلمّون به من الصغائر، وبين الخواطر الالهية التي هي جند الإيمان.

٤ ـ من يقع في الذنب فيتوب ويستغفر ثم يعرض له مرة أُخرى، فيعود إليه ثم يلوم نفسه ويندم ويستغفر وهلم جرا، وهؤلاء ادنى طبقات التوابين... وهم مع ذلك محل للرجاء لأنّ لهم زاجراً من أنفسهم يذكرهم دائماً بالرجوع إلى الله عقب

(١) تصنيف غرر الحكم: ١٩٥.

كلّ خطيئة، وهكذا تكون الحرب سجالاً بينهم وبين أنفسهم. فامّا أن تنتصر دواعي الخير فتصح توبتهم، وإمّا أن تنكسر أمام جند الشهوة فتحيط بهم خطيئتهم ويكونوا من المصرّين الهالكين.

وخلاصة المعنى انّ التوبة التي أوجب الله على نفسه قبولها بوعده الذي هو أثر كرمه وفضله، ليست إلّا لمن يجترح السيئة بجهالة تلابس نفسه من سورة غضب أو تغلب شهوة، ثم لا يلبث أن يندم على ما فرط منه، وينيب إلى ربّه ويتوب ويقلع عن ذنبه[1].

والأحداث عموماً لديهم القدرةعلى التوبةالتامة الكاملة التي لا رجعة بعدها للانحراف والخطيئة، ان صلح الواقع الذي يعيشونه، وأصبحت مفاهيم وقيم التوبة من متبنيات المربين والمرشدين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، فينبغي العودة إلى هذه المفاهيم الأصيلة التي تغني عن كثير من طرق ووسائل العلاج التي تحتاج إلى جهد جهيد.

قال رسول الله ﷺ: «انّ الله يحب الشاب التائب»[2].

وقال ﷺ: «انّ الله عزّ وجل أفرح بتوبة أحدكم منه بضالّته إذا وجدها»[3].

وباب التوبةمفتوح على مصراعيه في جميع مراحل الحياة، وفي جميع مظاهر الانحراف.

قال ﷺ: «لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السّماء، ثم تبتم، لتاب عليكم»، «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[4].

---

(١) تفسير المراغي ٤: ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) الجامع الصغير ١: ٢٨٥.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ١٤١٩.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٤٢٠.

والتوبة اقلاع عن الانحراف، واصلاح للنفس وللجوارح، وتجاوز للماضي وعدم العودة إليه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا قال العبد انّي أخاف من النار ولم يكف عن الذنوب، فهو كذّاب غير تائب، وإذا قال العبد إنّي أشتاق إلى الجنّة ولم يعمل لها، فهو كذّاب غير تائب، وإذا قال العبد انّي أحبّ النبي ﷺ من غير اتباع السنة، فهو كذّاب غير تائب، وإذا قال العبد اني اشتاق إلى معانقة الحور ولم يقدّم لها مهراً، فهو كذّاب غير تائب،فإنّ التائب حبيب الله وحبيب رسول الله ...»[1].

الاستغفار

الاستغفار مفهوم اسلامي ينتقل بالإنسان من مرحلة الوقوع في الانحراف إلى مرحلة تجاوزه والعودةإلى الهداية والاستقامة من جديد، وهو نقلة نوعية في مسيرته وحركته الفردية والاجتماعية. فالنفس الإنسانية حين ترتكب الخطيئة تفقد ثقتها في قوتها و«يضعف بالله ارتباطها ويختل توازنها وتماسكها، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس، بسبب تخلخل صلتها بالله وثقتها من رضاه! وعندئذ يجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس فيقودها إلى الزلة بعد الزلة، وهي بعيدة عن الحمى الآمن والركن الركين، ومن هنا كان الاستغفار من الذنب هو أول ما توجه به الربيّون... الاستغفار الذي يردهم إلى الله، ويقوي صلتهم به، ويعفي قلوبهم من الأرجحة، ويطرد عنها الوساوس، ويسد الثغرة التي يدخل منها الشيطان»[2].

---

(١) درة الناصحين: ٢٨٥.

(٢) في ظلال القرآن ٢: ١١٣.

والاستغفار علاج واقعي ان كان حقيقة قائمة في النفس الإنسانية، وله دور الوقاية أيضاً.

قال رسول الله ﷺ: «انّ لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار»، «من لم يستغفر الله في كلّ يوم مرتين، فقد ظلم نفسه»[1].

ونؤكّد القول في ضرورة إدخال مفهوم الاستغفار إلى ثقافتنا التربوية، وجعله أحد أعمدة الصحة التربوية، وينبغي تمرين وتدريب الأحداث على الاستغفار، واستشعاره في مكنونات الضمير، قبل أن ينطلق به اللسان، لكي يتمرن الحدث على تجاوز الأخطاء والسلبيات وهي في مهدها، وفي أول مراحلها قبل أن تُطبق على الفكر والعاطفة والسلوك.

الرضا بالقضاء

انّ الحياة لا تمضي جزافاً، بل هنالك سنن وقوانين تتحكم بها، فحينما توجد الأسباب تتبعها النتائج، وهذه السنن حاكمة على الإنسان لا تختلف ولا تتخلف، وأحياناً تكاد تكون خارجة عن ارادة الإنسان واختياره، بمعنى انّه لا يملك الحول والقوة في تغييرها وتبديلها مهما بذل من جهد وطاقة، فالأحرى به أن يستسلم للأمر الواقع وللقضاء الواقع، فقد تطبق عليه الظروف ليبقى فقيراً مستضعفاً محروماً، أو لا ينجح في أعماله ومشاريعه، أو لا توافق رغباته رغبات الآخرين، وفي جميع ذلك فانّ الانشداد إلى الغيب والرضا بقضائه كفيل بتهوين الآلآم والمآسي وإبعاد اثارها السلبية عن العقل والقلب والضمير، وعن ردود أفعالها السلبية تجاه النفس والمجتمع، فليس أمام الإنسان إلّا الاستسلام الواعي

---

(١) درة الناصحين: ٢٣٢.

المتعقّل بلا اضطراب أو زعزعة روحية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان له أركان أربعة: التوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله»[1].

فينبغي ترجمة هذه المفاهيم إلى ممارسات فاعلة في حياة الحدث عندما تطبق عليه الظروف وتدفعه لارتكاب الممارسات الخاطئة كرد فعل للواقع المأساوي، فبالتمرين على تسليم الأمر إلى عالم الغيب يمكن علاج مظاهر الجنوح الحادثة.

---

(١) الكافي ٢: ٤٧.

العلاج بالارشاد والتوجيه

الإرشاد والتوجيه من ضرورات حركة المصلحين والمغيّرين ومطلق المعنيين في الحقل التربوي، فينبغي التأكيد عليهما في جميع الميادين، والإنسان في مختلف أحواله التربوية بحاجة إلى الارشاد والتوجيه والتذكير بالمفاهيم والقيم الصالحة، وهو بحاجة إلى من يهديه ويقوّم له تصوراته وعواطفه وممارساته العملية، لأنّه يحمل في جوانحه الاستعدادات المختلفة للخير والشر، وللفضيلة والرذيلة، ويتأثر بالعوامل الخارجية كالمغريات والمثيرات المتنوعة، اضافة إلى دور الشيطان في الوسوسة والاغراء، وهو بحاجة إلى اعادته للاستقامة للحيولة دون استمراره على نهج الانحراف والفسوق.

والعلاج بالارشاد والتوجيه لا يقتصر على مورد من الموارد ولا مجال من المجالات بل هو شامل لجميع مقومات الشخصية: الفكر والعاطفة والسلوك، لتبعية كل مقوّم للمقوّمات جميعاً، وعدم الانفصال بينها، وفيما يلي نستعرض مراحل العلاج بالإرشاد والتوجيه:

١ ـ تفنيد أسس المفاهيم والأفكار الخاطئة

من الثوابت في حركة الإنسان تبعية العواطف والممارسات للمفاهيم

والأفكار، حيث يمارس الإنسان عملاً معيناً، ويتخذ موقفاً وسلوكاً ينسجم مع مفاهيمه وأفكاره، لكي تنسجم مقومات شخصيته فيما بينها، والحدث الجانح يرتكب ما يرتكبه من جنوح وهو يشعر بأنّه يحسن صنعاً باستثناء بعض مظاهر الجنوح التي يمارسها عن سبق إصرار وعلم بمخالفتها للمفاهيم السليمة التي يؤمن بها.

فينبغي للوهلة الأُولى تفنيد أُسس المفاهيم والأفكار الخاطئة التي يؤمن بها الحدث بسبب التنشئة الفكرية والعقائدية الخاطئة، وتفنيد تصوراته الخاطئة للكون والحياة والمجتمع، ويتم ذلك عن طريق الادلة والبراهين والحجج، وتبيان نقاط الضعف في أُسس مفاهيمه وتصوراته، وعن طريق اللفتات والاضاءات والاثارات التي تخاطب العقل لتوقظه.

وقد كانت سيرة المصلحين في جميع مراحل المسيرة الإنسانية قائمة على أساس تفنيد أسس المفاهيم والتصورات والعقائد الباطلة، كالشرك، والإيمان بالأوهام والخرافات، وعدم التوازن في إدراك المصالح والمفاسد.

فإذا أدرك الحدث خطأ ما يؤمن به ويعتقده فإنّه سيتخلى عنه باحثاً عن الصحيح والسليم.

٢ ـ كسر الأُلفة والانس بين الحدث ومعتقداته الباطلة

الإلفة والأُنس بالمعتقدات أمر طبيعي في داخل الشخصية، فالعواطف والأحاسيس تدور حول محور تلك المعتقدات التي يتبناها الإنسان، لكي يتم الاستقرار داخل النفس بوحدة الأفكار والعواطف والممارسات.

وتزداد الأُلفة ويزداد الأُنس بمرور الوقت، وخصوصاً إذا أصبح الأمر

جزءاً من التراث ومن معتقدات الاسلاف والكبار.

قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما الفينا عليه آباءنا.. ﴾[1].

فينبغي كسر الأُلفة والأُنس بين الحدث ومفاهيمه وتصوراته الخاطئة قبل أن تتجذر في أعماقه وتغلق منافذ الهداية في خلجاته، ويتم ذلك بالارشاد المستمر، والعمل على إبعاد الحدث عن محيطه السيء الذي آلفه، واحاطته بمجموعة من الصالحين فكراً وعاطفة وسلوكاً، ليتأثر بما يسمى بالعقل الجمعي الصالح.

٣ـ تحطيم الحواجز النفسية بين الحدث والمعتقدات الصالحة

حينما يؤمن الحدث بعقيدة باطلة وبافكار خاطئة، تصبح لديه حواجز نفسية بين ما يؤمن به وبين المعتقدات الصالحة، فلا يتقبلها في بداية الطريق دون مقدمات وأسباب موقظة، فينبغي في مثل هذه الأحوال تكثيف الارشاد والتوجيه لتحطيم هذه الحواجز النفسية عن طريق التدرج في الحجّة والبرهان، والتدرج في التلقين، وازالة جميع الشبهات العالقة في الذهن والقلب، فإذا زالت الحواجز النفسية فليس أمام الحدث إلّا الاذعان والإيمان بالمعتقدات والأفكار والمفاهيم الصالحة التي تبعثه إلى تجاوز الانحراف والتوجه إلى الاستقامة والصلاح.

---

(١) البقرة: ١٧٠.

٤ ـ إبعاد الحدث عن السلوك المنحرف

السلوك تتحكم به المفاهيم والأفكار والمعتقدات، ثم العواطف والأحاسيس، فإذا آمن الحدث بخطأ مفاهيمه وأفكاره، وانكسرت الألفة معها، وتحطمت الحواجز النفسية بينه وبين المفاهيم والأفكار الصالحة، عندها يسهل إبعاده عن السلوك المنحرف، لأنّه سيتّبع ما تمليه عليه مفاهيمه وافكاره الجديدة وعواطفه نحوها.

ويتم ذلك بتبيان الاثار السلبية للسلوك الجانح المنحرف، وقد حفلت الايات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة بالأوامر والنواهي والتوضيحات المناسبة الهادية للانسان في سلوكه وممارساته العملية ليتخلى عن الانحراف والفسوق الذي لا يجني منه إلّا الأضرار والمخاطر بالفرد وبالمجتمع وبالحياة، وبينت الايات والأحاديث الآثار السلبية للانحراف في الدار الدنيا والدار الاخرة حيث العقاب الأبدي، وقصت على الناس ومنهم الأحداث قصص الغابرين الذين انحرفوا عن الاستقامة والفضيلة، فتعرضوا للبلاء والدمار.

وأبرز القرآن الكريم والأحاديث الشريفة نماذج من الشخصيات التي يمكن الاقتداء بها في السلوك والخلق الرفيع.

وفيما يلي نستعرض بعض الأحاديث الشريفة حول هذا الموضوع كما جاء في قول أمير المؤمنين ﷺ:

«من لم يعرف مضرّة الشرّ لم يقدر على الامتناع عنه».

«لن تتحقّق الخير حتّى تتبرّأ من الشرّ».

«من ترك الشرّ فتحت عليه أبواب الخير»[١].

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ١٠٦.

«للعادة على كل إنسان سلطان».
«غيّروا العادات تسهل عليكم الطاعات».
«لن تهتدي إلى المعروف حتى تضلّ عن المنكر»[1].

٥ ـ تمرين الحدث على السلوك القويم

السلوك القويم يستدعي التحرّر من ضغط الشهوات، وثقلة المطامع، وتهذيب العواطف والانفعالات، والابتعاد عن المثيرات والمغريات الخارجية التي تدعو إلى اشباع الشهوات والرغبات والحاجات باسلوب غير مشروع وغير منسجم مع الضوابط السلوكية والموازين الاجتماعية، وجميع ذلك يحتاج إلى تمرين متدرج ورياضة متسلسلة، لكي يكون السلوك القويم جزءاً من شخصية الحدث، وأفضل طرق ووسائل التمرين هي الدعوة لامتثال المفاهيم والقيم الاسلامية وعلى رأسها التكاليف العبادية والشرعية، كالصلاة الناهية عن الانحراف والفحشاء والمنكر، والداعية إلى الصلاح والرشاد، والصوم الذي يهذّب الغريزة وينمي في الأعماق القابلية على الردع والتحصن من الانحراف، وهكذا في بقية التكاليف الرادعة والمصلحة في آن واحد، ثم التدرج لتحمل التكاليف الكبرى للوصول إلى السمو والكمال.

وينبغي ربط الحدث بالشخصيات التي جعلها الله تعالى موضع قدوة، وتبيان مظاهر سلوكها وخلقها، والتركيز على الاثار الايجابية للسلوك الرفيع في دار الدنيا والآخرة.

وفي جميع مراحل ومرافق الارشاد والتوجيه ينبغي ربط الحدث باصدقاء

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٣٢٢.

ورفاق صالحين ليتأثر بهم ويحذو حذوهم في تهذيب النفس وتغيير ممارساته الجانحة.

وسائل الارشاد والتوجيه

١ـ الخطاب.

٢ـ القصص.

٣ـ الأمثال.

٤ـ العبرة والموعظة.

٥ـ التمثيل العملي.

٦ـ الحوار.

٧ـ الاقتداء بالمرشد.

خصائص وصفات معالجي الجنوح

علاج الجنوح مسؤولية كبيرة، وتكليف شاق، لأنه ليس مجرد ألفاظ تردّد أو كلام يقال، وليس مجرد أمر ونهي، وانما هو اصلاح وتغيير للمحتوى الداخلي للحدث الجانح، وصياغة جديدة لأفكاره وعواطفه وممارساته، ولهذا فلا بدّ وأن يتصف المعالج بصفات وخصائص متميزة، تؤهله لخوض غمار المسؤولية إلى نهاية الشوط.

ومن أهم مقومات مسؤولية العلاج أن يكون المعالج:

- مخلصاً في مهمته.
- متفائلاً بالنجاح.
- متعاوناً مع غيره.
- مندفعاً اندفاعاً ذاتياً بلا انتظار جزاءً أو أجرٍ.

ويمكن تصنيف الخصائص والصفات الى:

أوّلاً: خصائص وصفات ذاتية.

ثانياً: خصائص وصفات عملية أو سلوكية.

الخصائص والصفات الذاتية

١ ـ العلم والمعرفة

ينبغي أن يكون المعالج أو المرشد أو الموجه عالماً بقواعد وأُسس المفاهيم والقيم والموازين الصالحة، وأن يكون مطلعاً على كثير من المعارف المتعلقة بالحقل التربوي كعلم الأخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع، وأحياناً علم التاريخ.

وأن يكون على معرفة واطلاع إجمالي أو مفصل بالأُمور التالية:

ـ أحوال وظروف المجتمع الذي يعيشه.

ـ خصائص الأفراد من حيث افكارهم وعواطفهم وممارساتهم العملية.

ـ الأحداث والمواقف.

ـ تشخيص ما ينبغي أن يعمله تبعاً للظروف من حيث: اللين والشدة، أو الاسراع والتأني.

ـ الفوارق بين بلدٍ وآخر، أو قوم وآخرين.

وعدم المعرفة في جميع أو بعض مجالاتها تؤدي إلى نتائج عكسية.

قال رسول الله ﷺ: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا

يصلح»[1].

وقال الإمام جعفر الصادق ﷺ: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلّا بعداً»[2].

٢ ـ القدوة

إن لم يكن المعالج قدوة لغيره فإنّ عمله لا يثمر، ولا ينفذ ارشاده وتوجيهه إلى القلوب والارادة، لأنّ الإنسان ينظر إلى شخصية من يريد اصلاحه ومدى تجسيدها للمفاهيم والقيم.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك»[3].

وقال ﷺ: «كفى بالمرء غواية أن يأمر الناس بما لا يأتمر به، وينهاهم عمّا لا ينتهي عنه»[4].

والقدوة ضرورية في العلاج لأنّ الحدث يبحث عن قدوة وانّ مرحلته هي مرحلة الاقتداء ومحاكاة الآخرين وخصوصاً الكبار، أو من له تأثير اجتماعي.

قال الإمام جعفر الصادق ﷺ: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فانّ ذلك داعية»[5].

---

(١) تحف العقول: ٣٣.

(٢) الكافي ١: ٤٣.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ١٠٦.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ٣٣٣.

(٥) الكافي ٢: ٧٨.

٣ ـ الايثار

للايثار دور كبير في خلق الأجواء الروحية والنفسية لنمو حركة علاج الجنوح ، فالأحداث ستنشدّ عواطفهم ومشاعرهم للمتصفين بهذه الصفة ، وهذا الانشداد يمكن استثماره في التأثير على افكارهم وعواطفهم ومواقفهم العملية ، ومن ثماره التخلي عن الممارسات الجانحة .

قال أمير المؤمنين ﷺ : «بالايثار يُسترق الأحرار»[١].

والناس عموماً يتفاعلون مع توجيهات أصحاب الايثار ، لانهم يرون فيهم الاخلاص في الحركة الاصلاحية .

٤ ـ الزهد

الزهد في أموال الناس وممتلكاتهم ، والزهد الذاتي في الحياة ، يساعد على تعميق الثقة بين الناس والأحداث خصوصاً ، وبين المعالج والمصلح ، فيشعرون بأنّه لا يرجو من حركته العلاجية جاهاً ولا مالاً ، وانّما يعمل لذات المسؤولية ، والثقة ضرورية في علاج الجنوح والانحراف .

وبالزهد يكتسب محبة الناس ، وبهذه المحبة يستطيع التأثير على العقل والقلب والارادة .

قال أمير المؤمنين ﷺ : «تحبّب إلى الناس بالزهد فيما بأيديهم تفز بالمحبة منهم»[٢].

وبالزهد تنمو الموعظة في أعماق الحدث فيقتلع جميع عوامل الجنوح من تلك الأعماق .

---

(١) تصنيف غرر الحكم : ٣٩٦.

(٢) تصنيف غرر الحكم : ٤٣٧.

٥ ـ البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام

هذه الخصائص تساهم في جذب الأحداث، وعلى امتلاك عواطفهم ومشاعرهم وتوجيهها توجيهاً سليماً، لأنّ الناس غالباً ما يتأثرون بالأشخاص قبل التاثر بالمفاهيم والأفكار والقيم النظرية.

وبالمحبة يمكن التاثير والتلقين للتخلّي عن الجنوح حياءً في البداية، وقناعة في النهاية.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «طلاقة الوجه بالبشر والعطية وفعل البرّ وبذل التحية داع إلى محبة البرية»[1].

«عليك بالبشاشة فانّها حبالة المودة»[2].

«عوّد لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبّوك ويقل مبغضوك»[3].

---

(١) المصدر السابق: ٤٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٤٣٥.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٦.

الخصائص والصفات العملية أو السلوكية

١ ـ المداراة

يجد المعالج أصنافاً من الأحداث يختلفون في طاقاتهم وامكاناتهم: الفكرية والعاطفية والسلوكية، فينبغي أن يتصف بالقدرة على المداراة، ليتمكن من التأثير على تعدد اصناف الأحداث الجانحين، وتعدد مظاهر الجنوح.

ومداراة الأحداث خصوصاً وأفراد المجتمع عموماً من أولويات العمل في أوساطهم، لاصلاحهم وتغييرهم باعادتهم للاستقامة.

قال رسول الله ﷺ:

«أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بإداء الفرائض»[١].

«رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك الحق»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من سالم الناس كثر أصدقاؤه وقلّ أعداؤه. المداراة أحمد الخلال. رأس الحكمة مداراة الناس»[٣].

ومن مصاديق المداراة التحدث مع الناس على قدر عقولهم، قال رسول

---

(١) الكافي ٢: ١١٧.

(٢) تحف العقول: ٢٩.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٤٤٥.

الله ﷺ: «إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»[1].

ومن مصاديق المداراة:

ـ التحدث بلغة مفهومة وتجنب استخدام العبارات الغامضة.

ـ اختصار الكلام وعدم الاطالة المؤدية إلى الملل.

ـ مراعاة الدوافع النفسية والاجتماعية للجنوح.

ـ مراعاة الضعف البشري.

ـ عدم ترتيب الأثر في بعض حالات التمرد على المعالج.

٢ ـ الرفق

الإنسان عموماً يأنس بارائه وأفكاره ومواقفه حتى تصبح جزءاً من كيانه، فيرى فيها كرامته وكبريائه، ولا يتنازل عنها أحياناً، لأنّه يرى في ذلك تنازلاً عن كرامته، ولهذا فالتعامل مع هكذا انسان يجب أن يكون برفق وهدوء.

والرفق ييسّر الصعاب ويذلل الشدائد، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الرفق ييسّر الصعاب ويسهّل شديد الأسباب».

«من استعمل الرفق لان له الشديد»[2].

وجعل الإمام علي بن الحسين عليه السلام الرفق من حقوق المستنصح فقال: «... وحق المستنصح: أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة والرفق به»[3].

ومن الرفق ابداء النصيحة بمرونة ويسر وبصورة شيقة وجذابة، قال رسول

---

(١) آمالي الصدوق: ٣٤١.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٢٤٤.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٢٣.

الله ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفروا»[1].

وينبغي في اسلوب التخويف والترهيب أن يتحدث المعالج بحديث مقبول سهل المؤونة في دغدغة العواطف والمشاعر، لا أن يتحدث بما يفزع ويشق على الجانحين.

قال رسول الله ﷺ: «إذا حدّثتم الناس عن ربّهم، فلا تحدّثوهم بما يفزعهم ويشقّ عليهم»[2].

فينبغي التحدّث عن لطف الله ورأفته ورحمته وغفرانه أكثر من الحديث عن عقوبته وغضبه، لكي لا يدبّ اليأس والقنوط في نفوس المذنبين والجانحين.

وفي ابداء النصيحة الجماعية ينبغي عدم تشخيص الجانحين أمام الآخرين وعدم ذكر أسمائهم أو توجيه الأنظار لهم، فقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يوضح أخطاء البعض يقول: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا»[3].

ومن الرفق أن تكون الموعظة سرّاً، فانّها أكثر ايقاعاً وقبولاً لدى الجانحين.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه»[4].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٥٨٧.

(٢) الفتح الكبير ١: ١٠١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٢٦.

(٤) تحف العقول: ٣٦٨.

٣ـ الإحسان

بالإحسان إلى الآخرين يتمكن الإنسان من التأثير على عواطفهم ومن ثم عقولهم وبالتالي تغيير ممارساتهم الجانحة، لأنّ النفس الإنسانية مجبولة على حب من أحسن إليها.

والاحسان يؤدي إلى كسب ودّ الاخرين وثقتهم، كما قال أمير المؤمنين ﷺ: «بالاحسان تملك القلوب».

«بالاحسان تسترق الرقاب»[١].

«من كثر احسانه كثر خدامه وأعوانه»[٢].

«أحسن إلى المسيء تملكه»[٣].

فالاحسان له دور كبير في اصلاح الجانحين حيث يساهم في:

ـ استهواء الجانحين.

ـ التوجه إلى ما يمليه عليهم من افكار وقيم.

ـ التأثر بما يبديه من نصائح وارشادات.

ـ مراجعة النفس.

ـ اصلاح السلوك الجانح حياءً ثم قناعة.

٤ـ التعايش مع المجتمع

من أهم الخصائص التي تجعل المصلح والمغيّر قادراً على أداء دوره، عدم

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٣٨٥.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٣٨٦.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٣٨٨.

الانعزال عن المجتمع، لأنّ التكليف والمسؤولية الاصلاحية لا تقتصر على إلقاء الخطب في مجالس محدودة، وانما هي حركة وعمل دؤوب في الأوساط الاجتماعية، فينبغي مشاركة الناس في آمالهم وآلامهم والعيش كواحد منهم يفرح لافراحهم ويحزن لأحزانهم، وهذه الخاصية تجعله قادراً على التأثير الايجابي، فقد كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك[1]، وكان يعطي كلاً من جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، وكان يضحك ممّا يضحكون ويتعجب ممّا يتعجبون[2].

فعن زيد بن ثابت قال: كنّا إذا جلسنا إليه ﷺ إن أخذنا في حديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا[3].

والتعايش مع المجتمع يساهم في:

- معرفة الأوضاع النفسية للجانحين.
- معرفة الأسباب والعوامل المساهمة في الجنوح.
- القدرة على تشخيص الجنوح في بدايته.
- القدرة على اختيار العلاج المناسب للجانح وللجنوح المناسب.

٥ ـ الصبر والحلم

انّ طريق الاصلاح والتغيير طريق طويل مليء بالمعوقات والعراقيل، فلابدّ وأن يتحلّى من تبناه بالصبر والحلم على ردود الأفعال الاجتماعية،

---

(١) مكارم الأخلاق: ١٥، الطبرسي.

(٢) مكارم الأخلاق: ١٤ ـ ١٥.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢١.

والدوافع التي تمنعه من مواصلة المسؤولية.

فينبغي أن يكون صابراً على:

- مشقات المسؤولية.
- كثرة المعوقات والمثبطات.
- الأذى المادي والمعنوي.
- ضغط النفس التي تروم حب الراحة والاسترخاء.
- ردود أفعال الجانحين والمجتمع.
- الوحشة من فقدان المعين.
- طول الطريق.

ومن ملازمات الصبر التحلّي بالحلم، فهو الوسيلة لنيل احترام الآخرين، وامتلاك قلوبهم للتاثير عليها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالحلم تكثر الأنصار».

«بالاحتمال والحلم يكون لك الناس أنصاراً وأعواناً».

«احلم تُكرم».

«ضادوا الغضب بالحلم تحمدوا عواقبكم في كل أمر»[1].

٦ ـ القدرة على التقييم الموضوعي

التقييم الموضوعي للأفراد والكيانات الاجتماعية يساهم في انجاح الأعمال والنشاطات المتعلقة بمسؤولية الاصلاح والتغيير، فينبغي لمن تحمّل المسؤولية أن يقيّم الأفراد على أسس وموازين سليمة من حيث درجة قربهم

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٢٨٧.

وبعدهم عن الاستقامة.

والتقييم الموضوعي الذي يصحبه التعامل الموضوعي يساهم في دفع الجانحين للعودة إلى الاستقامة ومن ثم التوجه للتكامل في القيام بأعمال الخير والصلاح.

والتقييم الموضوعي يستنهض الهمم ويستجيش العزائم ليبدأ الجانح باصلاح وتغيير شخصيته في جميع مقوماتها: الفكريةوالعاطفية والسلوكية، من سيء إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن.

قال أمير المؤمنين ﷺ: «لا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ ذلك تزهيد لأهل الاحسان في الاحسان، وتدريب لأهل الاساءة على الاساءة، فألزم كلاًّ منهم ما ألزم نفسه أدباً منك ينفعه الله به، وتنفع به أعوانك»[1].

---

(١) تحف العقول: ٨٧.

العلاج بالعقوبات

انّ الله تعالى فتح للانسان أبواب الهداية من خلال البيّنات والبراهين، ووضع منهجاً متكاملاً لوقايته من الانحراف عن طريق غلق منافذه إلى النفس ومعالجة الأسباب المؤدية إليه، وتهيئة الأجواء لتهذيب السلوك، فإذا خالف الإنسان جميع مؤهلات الهداية والاستقامة وانحرف عنها غروراً منه أو استسلاماً لرغباته وغرائزه، وارتكب الانحراف علناً متحدياً قيم المجتمع، فيجب على الاخرين ردعه وايقاف أو تحجيم انحرافه، وخصوصاً إذا كان حدثاً لسهولة الأمر وعدم الحاجة إلى جهد اضافي، وأول مراحل الردع هي التغيير باليد التي تعبر عن القوة، ثم باللسان، ثم بالقلب.

قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

والتغيير باليد مقدم على غيره لانه يقتلع الانحراف من جذوره ويمنع من استمراره الذي قد يضر بالمصلحة العامة وخصوصاً ما يتعلق بالاعتداء على الاخرين، وهو متوقف على القدرة والطاقة التي يمتلكها الفرد المكلف بتغيير الانحراف، فإذا عجز، فتأتي مرحلة التغيير باللسان عن طريق تبيان اضرار الانحراف له، وتحقير الفاعل وترذيله، وتخويفه من العواقب السيئة المترتبة

---

(١) صحيح مسلم ١: ٦٩.

على فعله الجانح، ومن ثمّ تخويفه وتهديده باستخدام القوة، أو تهديده بمحاصرته المعنوية والاجتماعية.

وهذا اللون من التغيير يكون مقارناً للتلبس بالجنوح والانحراف، وهنالك ألوان من التغيير باستخدام العقوبة تكون لاحقة لوقوع الجنوح والانحراف.

وفي جميع الظروف والأحوال فانّ اتخاذ الموقف من الجانحين أو تصنيفه وتوزيعه على مراحل، يعتمد على اكتشاف الواقع وإدراكه، وليس على وضع مراحل نظرية متدرجة، فالظرف والواقع الذي يعيشه المعالج والجانح ونوعية الجنوح من حيث التكرار والاستمرار أوعدمهما، كل ذلك له مدخلية في تحديد المراحل والخطوات.

وللوهلة الاولى نحدد هذه المراحل أو الخطوات من خلال استقراء مسيرة المصلحين والمغيّرين على طول التاريخ، ونطبقها في علاج جنوح الأحداث:

اظهار الكراهية والتعريف بالجنوح

إظهار الكراهية للجنوح والانحراف يساهم في ردع الجانح، أو على الأقل التستّر بها كخطوة أولى، وهذا الاظهار يبدأ بالوجه ثم باللسان الكاشف عن الكراهية القلبية.

والتعريف بالجنوح غالباً ما يكون مقارناً ـ في مقطعه الزمني ـ لاظهار الكراهية، فهو تذكير لمن يعرفه، وتعليم لمن لا يعرفه ويرتكبه جهلاً منه بالأمر.

وقد كانت سيرة المصلحين قائمة على ذلك، فانهم كانوا يظهرون كراهيتهم لبعض الممارسات الخاطئة، ويرتقون المنبر، أو يعبرون من خلال وسائل الاعلام عن تلك الكراهية.

الوعظ والنصح

بعد اظهار الكراهية والتعريف بالجنوح يأتي دور الوعظ والنصح، فانّ الموعظة والنصيحة لها تأثير ملموس على الحدث، لذا نرى انّ حياة المصلحين حافلة بالمواعظ والنصائح لجميع الشرائح الاجتماعية ومنها الأحداث.

ومن أفضل طرق وأساليب الوعظ:

- التنبيه لمضار الجنوح وآثاره السلبيةعلى الفرد والمجتمع.
- التنبيه على الرقابة الالهية المحيطة بالانسان والمجتمع.
- التذكير بالثواب والعقاب.
- التخويف من غضب الخالق في الدار الدنيا.
- التذكير بحقوق الله، وحقوق الناس.
- توجيه الأنظار إلى الآثار الايجابية للاستغفار والتوبة.
- الترغيب والترهيب.

الزجر والتغليظ بالكلام

حينما يصر الجانح على الاستمرار في جنوحه، ولم تنفع معه المواعظ والنصائح المتكررة من قبل الوالدين أو المربين، فلابدّ من استخدام الأساليب الرادعة له، والانتقال معها من الأسهل إلى الأشد، وكثيراً ما يكون الكلام اللاذع مؤثراً في ردع الانحراف، لأنّه سيكون بمثابة المطرقة الموقظة التي توقظ العقل والقلب والارادة، وتدفع الجانح إلى التخلّي عن جنوحه تجنباً للزواجر الموجهة إليه.

التهديد والتخويف

حينما يشتدّ الجنوح، ولا يرتدع مرتكبه بشتّى الأساليب المعمول بها معه، فقد يكون التهديد والتخويف نافعاً بحقه، وهو غير منحصر باسلوب معين، بل يتناسب مع شخصية الجانح، ودرجة انعكاس الاسلوب عليها، كالتهديد بحرمانه من بعض الامتيازات، أو التهديد بفضحه أمام المجتمع، أو التهديد بالحاق الأذى البدني به، أوالتهديد بالسجن وأحياناً بالقتل تبعاً لدرجات الجنوح.

المقاطعة والهجران

حينما يتمادى الجانح في انحرافه وجنوحه عناداً منه واصراراً، ولم يستجب لكل موجبات الهداية والاستقامة، ولم تنفعه الزواجر والتهديدات، وأغلق منافذ الهداية في قلبه وارادته، تأتي مرحلة المقاطعة والهجران لاشعاره بأنّه عنصر غير مرغوب فيه من قبل الصالحين أو من قبل من يحتاج اليهم في رعايته المادية والمعنوية، فإذا شعر بالنبذ من قبل الآخرين بسبب سوء سيرته، فقد يردعه هذا الشعور من التمادي في جنوحه وانحرافه عن الاستقامة.

اظهار التكفهر والعبوس

بعد العجز عن الاصلاح باستخدام المقاطعة والهجران تأتي مرحلة التكفهر والعبوس في وجوه الجانحين اثناء اللقاء في الطرقات والأماكن العامة لكي يرتدعوا ويعودوا إلى الاستقامة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أدنى الانكار أن يُلقى أهل المعاصي بوجوه

مكفهرة»[1].

وهذه المراحل أو الخطوات يتوقف اسلوب العمل بها على طبيعة المجتمع من حيث درجة قربه وبعده عن المنهج الإلهي في الحياة، وعلى عدد المصلحين والمغيّرين، وطبيعة الجانحين وعددهم، فإذا كان الدين هو القاعدة الفكرية للنظام القائم وللمجتمع فانّ هذه المراحل ستكون أقرب إلى تحقيق الهدف وهو علاج الجنوح، اما إذاكان الدين مقصياً عن الحياة، وكان المجتمع بعيداً عنه في فكره وعاطفته وسلوكه، فلا يتحقق العلاج إلّا بمضاعفة الجهود، والاقدام الدائم على اداء المسؤولية دون تردد أو تراجع أمام المعوّقات.

العقاب الواقعي وعقاب الجوارح

العقاب وسيلة لتفكير الحدث بضرورة العودةإلى السلوك الصحيح الذي يحيد عنه.

والعقاب شرعه الله تعالى لعباده في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة لمن تعدّى حدوده وانتهك حرماته، وهو قهر في الظاهر ورحمة في الحقيقة، لأنه تربية للناس وزجر لهم حتى لا ينحرفوا عن الجادة التي شرعها لهم، إذ في اتباعها سعادتهم ونعيمهم، وفي تجاوزها شقاؤهم وبلاؤهم.

والعقاب رادع واقعي للحدث، فلا بد أن يكون معمولاً به في الوقت المناسب، وينبغي أن يكون بدون نزعة انتقامية لكي يشعر الحدث الجانح انّ العقاب منصباً على الجنوح والعمل الجانح وليس على ذاته، وهذا الشعور يدفعه إلى عدم تكرار العمل الجانح الذي كان سبباً لعقابه.

---

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٧٦.

وأغلب مظاهر العقاب هي الضرب وهو المعمول به عند أغلبية الأسر والمجتمعات، وهو الاسلوب الأخير من اساليب العلاج فينبغي أن يكون مناسباً للجانح وفي ظرفه المناسب.

وفيما يلي بعض الملاحظات المفيدة في استخدام العقاب:

- أن يكون باسلوب هادىء.
- أن يكون بدون نزعة انتقامية.
- ان لا يغضب المعاقب لنفسه.
- أن يكون العقاب عادلاً.
- أن لا يصحب العقاب ندماً من قبل المعاقب.
- دفع الدية الشرعية أن تجاوز العقاب حدوده.

والعقاب من شخص يحبه الحدث يكون أشد وقعاً في مجال الاصلاح والعلاج سواء كان المعاقب أحد والديه أو معلمه أوغيرهم، لانه يشعر انّ هذا العقاب ليس انتقاماً وانّما اصلاحاً لخلل حدث في سيرته الذاتية والاجتماعية.

والعقاب بالضرب ظاهرة سليمة وصحية ان كانت متوازنة ومنسجمة مع الذنب المرتكب من حيث التأثير الفردي والاجتماعي، ويرى أمير المؤمنين عليه السلام انّ الضرب بمثابة السماد الذي ينمي الزرع ويوصله إلى النضوج والسلامة.

قال عليه السلام: «ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع»[1].

والعقاب في رأي الباحثين مثير طبيعي للألم والخوف، وغالباً ما يكون قوة رادعة تكفّ الفرد عن القيام بالسلوك الذي يعاقب عليه، وتكرار ارتباط الذنب بالعقاب يجعل ارتكاب الذنب، بل مجرد التفكير في ارتكابه مثيراً شرطياً

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٢٥.

للخوف والألم من شأنه أن يمنع الحدث عن اقتراف ما ننهاه عن عمله[١].

ويرى الدكتور سپوك: انّ الأطفال يتقبلون التوجيه الحازم النابع من الحب العميق، وانهم في معظم الأحوال يفرحون لأنّ الوالد قد وضع حداً لوقاحتهم.

ويقول: وعلينا ان نعرف انّ الطفل الوقح طفل غير سعيد وقلق لأنّه ينتظر في أعماقه من يوقفه عند حده[٢].

وينبغي أن يكون العقاب البدني آخر الدواء والعلاج بعد عجز الوسائل العلاجية الاخرى الأخف وطأة، كالعقاب المعنوي والعقاب بحرمان الحدث من بعض الحاجات الأساسية.

وينبغي استخدام العقاب الأخف في البداية كالضرب غير المبرح، وينبغي تجنب بعض ألوان العقاب وخصوصاً العقاب الذي يترك أثراً واضحاً على البدن، لأنّه قد يؤدي إلى نتائج عكسية وهي التمادي في الجنوح، وعدم التفاعل مع جميع مظاهر الردع من حيث الاندفاع نحو الاقلاع والتوجه إلى الاصلاح والعودة إلى الاستقامة.

وإذا لم تنفع جميع طرق ووسائل العلاج بما فيها العقاب البدني، فينبغي الاستعانة بالآخرين كالمعلمين وعلماء الدين ومطلق المربين، ومن لهم تأثير على مسيرة الحدث، لأنّ الظاهرة بحاجة إلى تعاون وتنسيق بين جميع الأطراف المعنية بأمور التربية والاصلاح والتغيير.

---

(١) اصول علم النفس: ٢٣٠.

(٢) مشاكل الاباء: ٧٤.

العلاج بالعقوبات القانونية

انّ وقاية الدولة والمجتمع للأحداث من الوقوع في الجنوح والانحراف، تسهم في التنمية الاجتماعية والخلقية، وتحقق الاستقرار الأمني والاجتماعي، وتخلق المواطن الصالح الذي يقوم باداء دوره في بناء المجتمع بناءً سليماً، والمحافظة على أهداف الحياة العليا، ووقاية الآداب الإنسانية من الضمور والانحدار نحو الانحراف.

ونحن كمسلمين نرى انّ المنهج الاسلامي يتشدد في الوقاية، وهو كمنهج متكامل، وضع القواعد والموازين التي تجعل الإنسان متوجهاً إلى أهداف نبيلة ومقاصد سامية، حيث يقيم بناءه على تهذيب النفوس وتطهير الضمائر، ولا يقيم بناءه على العقوبة، ولا يشدد فيها هذا التشديد إلّا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من الجنوح والانحراف والرذيلة، حيث انّ المنهج الاسلامي يتوجه إلى ربط المجتمع بالقيم والمثل الصالحة وتقريرها في واقع الحياة، واستشعار الرقابة الآلهية على الممارسات السلوكية، وتوجيه الأنظار إلى يوم الجزاء، وإقامة الحياة والعلاقات على أساس التكافل والتراحم والتناصح، والأمانة والعدل والمودة والاحسان، واشباع جميع حاجات الإنسان المشروعة، وتحقيق الرفاهية للجميع بتوفير الحاجات الأساسية والكمالية ورفع المستوى المعاشي للفرد وللأُسرة وللمجتمع، ومطاردة عوامل الإثارة والانحراف، والتربية الشاملة

للأفكار والعواطف، اضافة إلى تشكيل الكتلة الصالحة التي تقوم بمهمة الإصلاح والتغيير، وفي مثل هذه الأجواء تسمو النفس الإنسانية متوجهة إلى الكمال في جميع أبعاده ومجالاته، ويكون المجتمع مجتمعاً صالحاً، وتنحسر مظاهر الانحراف انحساراً تاماً، فينشأ الحدث في أجواء صالحة مستقيمة بعيدة عن الجنوح والانحراف، ولا يبقى له مبرر لكي ينزلق في ممارسات جانحة، وإذا انزلق فانه يعبّر عن ظاهرة شاذة يستحق عليها العقاب حينئذٍ بعد القاء الحجة بسد مسارب الجنوح والانحراف، وتكون العقوبة قوة رادعة له للحيلولة دون تماديه في الرذيلة والفسوق.

والعقوبة القانونية بمثابة رحمة للحدث ليعود إلى الاستقامة بعد الاقلاع عن الانحراف، وهي رحمة ان كان المجتمع مجتمعاً اسلامياً يسوده العدل والخير والاحسان والتكافل والتراحم، ويتعاون في ظله الجميع حاكماً ومحكومين من أجل تقدمه وازدهاره ورفاهيته وسلامته الخلقية، امّا إذا لم يكن المجتمع مندكاً بالمنهج الاسلامي عقيدة وسلوكا، فانّ العقوبة ستكون جريمة بحق الجانحين الذين لم يتلقوا رعاية وحماية ولم تشبع حاجاتهم المادية والنفسية والروحية، وكانوا يعيشون في بيئة اجتماعية فاسدة، وفي ظل دولة غير جادة في التوجيه والتربية والرعاية.

والعقوبات القانونية في المنهج الاسلامي ينبغي النظر إليها باعتبارها جزءً من كلّ لكي يتم التعامل معها تعاملاً موضوعياً، وفيما يلي نتطرق إلى بعض العقوبات القانونية المختصة بالأحداث.

عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن الصبي يسرق قال: «يعفى عنه مرّة ومرّتين ويعزّر في الثالثة، فإن عاد قطعت أطراف أصابعه، فإن

عاد قطع أسفل من ذلك»[1].

وفي رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «أُتي علـيّ عليه السلام بـجارية لم تحض قد سرقت فضربها اسواطاً ولم يقطعها»[2].

والحكم النهائي يعود إلى الحاكم العادل، فهو الذي يحدده تبعاً للـظروف والأوضاع والمصلحة الفردية والاجتماعية.

وعن ابن بكير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام في آخر ما لقيته عن غلام لم يبلغ الحلم وقع على امرأة أو فجر بامرأة أيّ شيء يصنع بهما؟ قال: يـضرب الغـلام دون الحدّ ويقام على المرأة الحد. قلت: جارية لم تبلغ وجدت مع رجل يـفجر بها؟ قال: تضرب الجارية دون الحدّ. ويقام على الرجل الحدّ [الكامل][3].

وإذا بلغ الحدث سنّ التكليف فإنّ العقوبة ستكون تامة بحقّه.

ولأهمية العقوبات القانونية في علاج الجنوح ينبغي تعزيز سلطة القانون، بتعزيز سلطة الدولة واجهزتها الأمنية والقضائية، وتشكيل قـوة رادعـة تـطارد المنحرفين كباراً أو أحداثاً، وينبغي التـعاون بـين اجـهزة القـضاء وبـين بـاقي السلطات، وبينهما وبين الأُسرة من جهة ثانية.

عقوبة السجن

العلاج بعقوبة السجن بمثابة تعويق للحدث الجانح ومنعه من المـمارسة الحرّة للجنوح بالتكرار والاستمرار، وهي علاج سليم بعد عجز بقية ألوان العلاج عن إصلاح الحدث واعادته إلى الاستقامة، حيث لا يبقى مجال إلّا الايداع في السجن.

---

(١) الكافي ٧: ٢٣٢.
(٢) الكافي ٧: ٢٣٢.
(٣) الكافي ٧: ١٨٠.

والسجن الذي له مدخلية في علاج الجنوح هو السجن الاصلاحي، بحيث يتحول إلى مؤسسة اصلاحية ومركز علاج وتربية صالحة، وإلّا فانّ وضع الجانح في زنزانة السجن دون اصلاح يعمّق لديه مشاعر الجنوح والانحراف، ويؤجّج فيه مشاعر الكراهية والعدوان وحب الانتقام، اضافة إلى التأثر بغيره من المساجين وانتقال عدوى الجنوح من الجانحين الكبار إلى الجانحين الصغار، حيث يتعلم طرقاً أُخرى للجنوح عن طريق الاحتكاك.

والمطلوب أولاً انشاء سجون خاصة بالأحداث والحيلولة دون اختلاطهم بالكبار، وتشكيل شرطة وقضاة خاصة بالأحداث، من ذوي الاختصاص في معرفة التعامل معهم.

وينبغي الاهتمام بتوفير كادر متخصص في الاصلاح والعلاج التربوي، وفي الرعاية والاهتمام يتكون من:

- طبيب صحة عامة.
- طبيب أمراض نفسية وعقلية.
- عالم نفس.
- مرشد اجتماعي.
- موجّه ومرشد روحي.
- مدرب رياضي.
- مدرب في مجال الأعمال الفنية.

وينبغي الاهتمام بتوفير وسائل الراحة والرفاهية التي يحتاجها الحدث.

وينبغي أن يكون السجن أشبه بمدينة مصغرة تحوي على:

- مركز للعبادة.
- مركز للألعاب الرياضية.

- مكتبة حاوية على كتب متنوعة.

- مسبح مصغر.

- مسرح وتلفزيون وسينما.

- مركز للتدريب المهني.

- مدرسة مصغرة.

وينبغي اشغال وقت الحدث ببرامج منسقة معدة من قبل المسؤولين:

- حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف.

- حفظ الأناشيد والقصائد الشعرية.

- اقامة المسابقات العلمية والفنية.

- تكليف الأحداث بانجاز بعض الأعمال.

وفي جميع الظروف والأحوال ينبغي الاهتمام باسلوب التشويق والتدعيم الايجابي، عن طريق تحديد بعض الجوائز والهدايا للمتفوقين، وللذين يبدون تغيّراً في أوضاعهم نحو الأفضل ونحو الصلاح، وأفضل اساليب التشويق تقليل مدة المحكومية.

ولا نريد التكلم عن اقتراحات مثالية حول ترتيب السجون، ولكن نقول: أن تخصيص قرية معينة كسجن للأحداث أفضل من السجون ذات الجدران الأربعة.

العقوبات المدرسية

العقوبات المدرسية وسيلة علاجية وتقويمية وتحذيرية في آن واحد، ومن أهدافها الملموسة:

ـ اعتبارها وسيلة علاجية.

ـ اعتبارها وسيلة في خدمة غاية تربوية.

ـ منع تكرار سلوك جانح.

ـ تصحيح موقف.

ـ الامتناع عن القيام بعمل معيّن.

ـ اظهار ما قد يصل إليه أي فرد في حال الوقوع بنفس المخالفة أو ما يشابهها.

ومن العقوبات المدرسية الشائعة في بلداننا:

ـ عقوبات جسدية متمثلة باستعمال أسلوب الضرب، التركيع، شد الشعر، الوقوف على رجل واحدة والأيدي مرفوعة.

ـ عقوبات نفسية باستعمال اسلوب التوبيخ، السخرية، الكلام الجارح، والحط من كرامة التلميذ أمام جمهور التلاميذ.

ـ العقوبات بتنقيص العلامات الامتحانية، والانذار بالفصل من المدرسة، وتنفيذ الفصل.

وفي أغلب الأحوال يمكن القول: أنّ العقاب الواعي والهادف والصادر من سلطة حازمة وعادلة يؤدي دوره، وخصوصاً ان كان المعلم أو المدير يتمتع بسيرة صالحة وخصائص عاطفية كالرحمة والرأفة.

وفي هذا المضمار نتطرق إلى البحث الميداني للدكتور محمد ابراهيم كاظم الذي اجراه في المجتمع المصري، حيث أشار إلى العقوبات المؤثرة وغير المؤثرة مع التلاميذ[١]:

(١) العقوبات المدرسية: ١١٧ـ١٤٧.

ـ العقوبات التي أثارت ضيق أغلبية التلاميذ إلى درجة كبيرة من أعلى إثارة إلى أقلّها:

١ ـ الفصل النهائي من المدرسة.

٢ ـ التأنيب والتعنيف أمام تلاميذ الصف.

٣ ـ الانذار بالفصل من المدرسة.

٤ ـ العقاب البدني.

٥ ـ تحويل التلميذ إلى ناظر المدرسة.

ـ العقوبات التي أثمرت عند توقيعها مع أغلبية التلاميذ:

١ ـ تبليغ الوالدين بسلوك التلاميذ.

٢ ـ التأنيب والتعنيف منفرداً.

٣ ـ الفصل المؤقت من المدرسة.

٤ ـ إنذار بالفصل من المدرسة.

٥ ـ التهديد بالعقاب.

ـ أما العقوبات التي لم تثمر عند تطبيقها مع أغلبية التلاميذ فهي:

١ ـ العقاب البدني.

٢ ـ مواجهة التلاميذ للحائط.

٣ ـ وقوف التلاميذ خارج باب الصف.

٤ ـ إبقاء التلميذ في المدرسة بعد مواعيد الدراسة.

٥ ـ التأنيب والتعنيف أمام تلاميذ الصف.

وينبغي أن نميّز بين العقاب التربوي الذي يعتبر وسيلة مساعدة، وبين العقاب المبالغ فيه الذي يأخذ طابعاً عنيفاً والذي يربك سلوك التلميذ ويعكس مضاعفات ذات تأثير كبير، وعلى اساس هذا التمييز ينبغي النظر في جملة من

الملاحظات:

١ ـ رفض أُسلوب الانتقام من التلميذ.

٢ ـ رفض أساليب التفنن في العقاب.

٣ ـ رفض العقوبات الجماعية لكل تلميذ في الصف.

٤ ـ رفض العقوبات العلنية التي تترك جروحاً نفسية.

٥ ـ ضرورة توضيح الأسباب ليعطي العقاب ثماره، بعد اقناع المعاقب بانّه لا زال محبوباً من قبل المعلم.

٦ ـ أن يكون العقاب متناسقاً ومتلائماً مع الفرد المعاقَب أي بحسب سنه ومقدرته.

٧ ـ أن يكون العقاب متناسباً مع نوع السلوك الجانح.

٨ ـ أن لا يكون العقاب صادراً عن انفعال.

٩ ـ أن نأخذ في الاعتبار:

أ ـ نوع المخالفة.

ب ـ شخصية المخالف.

ت ـ ظروف المخالفة.

ث ـ عدد مرات المخالفة.

١٠ ـ تعميق علاقات المودة بين المعاقِب والمعاقَب، وتوضيح الآثار السلبية للأعمال والممارسات الجنوحية المرتكبة.

العلاج باستخدام اللعب والتسلية

أهميّة اللعب في التشخيص

يعتبر لعب الأحداث تعبيراً حقيقياً عن سلوكهم السوي أو المضطرب، فالطفل أثناء لعبه يعبر عن مشكلاته وصراعاته التي يعاني منها. ويمكن للمعالج ملاحظة سلوك الأطفال أثناء لعبهم، وملاحظة التفاعل الاجتماعي بينهم، وكيفية معاملة أدوات اللعب، وملاحظة اسلوب التعبير عن الرغبات والحاجات والمشكلات، وخاصة في حالة التكرار الزائد، وملاحظة أنماط السلوك الجانح كالسرقة والعدوان والعنف.

ويعتبر اللعب أسلوباً علاجياً هاماً، وذلك باتاحة الفرصة للمعالج عن طريق الملاحظة أثناء اللعب، وتيسير ضبط وتوجيه السلوك.

ويعتبر العلاج باللعب فرصة للنمو في مناخ يساعد على التعبير والانطلاق بحرية، واتاحة فرصة السلوك دون لوم أو تدخل أو عقاب.

مزايا العلاج باستخدام اللعب

- التخلص من بعض التوترات.
- التخلص من أعراض سوء التكيّف.

- التعبير عن الدوافع والرغبات والاتجاهات.
- التعبير عن الاحباط وعدم الأمن.
- تفريغ الشحنات الانفعالية الحبيسة.
- التنفيس عن الطاقة الزائدة.
- اكتشاف الحدث لقدراته وميولة.
- تنمية خبرات جديدة.
- ينفع في مجال معرفة الحدث بمشكلاته من حيث الأسباب والعلاج.

عندما يفرغ الحدث انفعالاته على الأشياء أو الدمى، يكون قد خفف من الشعور بالذنب والندم.

- الحد من الميول اللااجتماعية.
- شغل الوقت واثبات القدرة على الانتاج وعلى النجاح.

وتلعب شخصية المعالج دوراًكبيراً في نجاح عملية العلاج، وقدرته على فهم الحدث، وقيامه بدوره كمعالج.

واللعب يكاد يكون وقاية وعلاجاً في آن واحد، حيث يعمل على وقاية الحدث من تأزم وضعه النفسي الذي سيقود في النهاية إلى الجنوح والانحراف.

جميعات الأحداث ومراكز الشباب

ينبغي الاهتمام بتكثير جمعيات الأحداث ومراكز الشباب، وتشجيع الجانحين للانتماء إليها عن طريق الترغيب والتشويق، من أجل التسلية والقضاء على أوقات الفراغ، والتمتع بالارشاد والتوجيه، والتأهيل للعمل المهني، والتمرّن على التطبيع الاجتماعي.

ولقد أثبتت التجارب أهميّة الجمعيّات والمراكز في علاج الجنوح أو الحدّ من استشرائه في المجتمع، حيث انّ أُنس الحدث بالإمكانيات المتاحة وبالرفاق الجدد وبالمشرفين الصالحين، يجعله مراعياً للضوابط السلوكية من أجل ادامة انتمائه وتواجده في هذه الجمعيات والمراكز.

وتواجد الحدث ساعات طويلة في هذه الأماكن، ومشاركته في الفعاليات المقامة، يجعله بعيداً عن المنحرفين الكبار أو الصغار الذين يرفضون الانتماء.

وجمعيات الأحداث تلعب دوراً كبيراً في الترويح عن النفس، حيث تساعد على اقامة السفرات السياحية إلى الحدائق والبساتين، وإلى المتاحف والأماكن الأثرية وإلى زيارة مراقد الأولياء والصالحين والتزود منها بالعبر والدروس النافعة في طريق العلاج.

ومن النشاطات النافعة التي تتبناها الجمعيات هي اقامة المعسكرات الكشفية أو الرياضية، والتي تبقى مقامة أكثر من ثلاثة أيّام، تنقل الحدث الجانح إلى أجواء الصلاح والسداد في ظل مربين وموجهين ومعالجين صالحين، ويجد الحدث في هذه المعسكرات المتعة واللذة وهو يصرف طاقته الحبيسة في مجالاتها المختلفة حسب رغباته وهواياته.

وينبغي تكليف الحدث ببعض المهام والمسؤوليات لكي يشعر بالمحبوبية والمرغوبية وبأنّه عنصر نافع في المجتمع، وهذا الشعور بالمسؤولية يجعله يتجنّب كثيراً من الممارسات الجانحة، لأنّه يحس بالرقابة له، اضافة إلى انشغاله عن الجنوح باداء تكليفه والعمل على ضوء مسؤوليته المناطة به.

وتزداد أهمية انتماء الأحداث للجمعيات والمشاركة في فعالياتها المتنوعة، كلما ازداد عمر الحدث وخصوصاً في مرحلة المراهقة، لأنّ الفراغ يؤدي إلى خلق بعض المشاكل والمشاركة أحياناً في أحداث شغب وغوغاء تضر بالمصلحة العامّة.

ـ المصادر ـ

١ ـ الاحداث الجانحون ـ د. مصطفى حجازي ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨١م.

٢ ـ أساليب دراسة الشخصية ـ د. فيصل عبّاس ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٩٠م.

٣ ـ الاسلام دين البشرية ـ مؤسسة البلاغ ـ طهران ـ ط ١ ـ ١٤١٨هـ.

٤ ـ الاسلام ومتطلبات العصر ـ مرتضى مطهري ـ دار الأمير ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٩٢م.

٥ ـ اصول علم النفس ـ د. أحمد عزت راجح ـ المكتب المصري الحديث ـ الاسكندرية ـ ط ٨ ـ ١٩٧٠م.

٦ ـ اصول علم النفس وتطبيقاته ـ د. فاخر عاقل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٨١م.

٧ ـ أضواء على النفس البشرية ـ د. الزين عباس عماره ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٧هـ.

٨ ـ الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب ـ محمد تقي فلسفي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٩ ـ اقتصادنا ـ الإمام محمد باقر الصدر ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ط ١١ ـ ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٠ ـ الآمالي ـ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق ـ مؤسسة البعثة ـ قم ـ ط ١ ـ ١٤١٧ هـ.

١١ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ـ دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

١٢ ـ التبيان في تفسير القرآن ـ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٣٧٦هـ.

١٣ ـ تحف العقول ـ الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني ـ المكتبة والمطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ط ٥ ـ ١٣٨٠ هـ.

١٤ ـ التربية وبناء الأجيال ـ أنور الجندي ـ دار الكتاب ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٥م.

١٥ ـ تصنيف غرر الحكم ـ عبدالواحد الآمدي ـ مكتب الاعلام الاسلامي ـ قم ـ ١٩٨٧م.

١٦ ـ تفسير المراغي ـ أحمد مصطفى المراغي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٨٥م.

١٧ ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ـ ورّام بن أبي فراس ـ دار صعب ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

١٨ ـ تهذيب الأحكام ـ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ ١٣٩٠ هـ.

١٩ ـ جامع السعادات ـ محمد مهدي النراقي ـ موسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ط ٤ ـ ١٣٦٨ هـ.

٢٠ ـ الجامع الصغير ـ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

٢١ ـ حديث إلى الامهات ـ د. سپوك ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر

ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٧٧م.

٢٢ ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

٢٣ ـ دراسات معمقة في الفقه الجنائي المقارن ـ د. عبدالوهاب حومد ـ مطبوعات جامعة الكويت ـ ١٩٨٣م.

٢٤ ـ درة الناصحين ـ عثمان بن حسن الخوبوي ـ دار النهضة ـ بدون تاريخ.

٢٥ ـ الدين ـ د. محمد عبدالله دراز ـ دار القلم ـ الكويت ـ ١٣٩٠هـ.

٢٦ ـ سايكولوجية الطفولة والمراهقة ـ د. عبدالعليّ الجسماني ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢٧ ـ السلوك الانساني الحقيقة والخيال ـ د. فخري الدباغ ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ١٩٨٦م.

٢٨ ـ سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد القزويني ـ دار الفكر بيروت ـ بدون تاريخ.

٢٩ ـ سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان السجستاني ـ دار الفكر ـ بيروت.

٣٠ ـ سيكولوجية الجنوح ـ د. عبدالرحمن عيسوي ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٣١ ـ سيكولوجية السلوك الانساني ـ د. عبدالفتاح محمد دويدار ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٩٥م.

٣٢ ـ سيكولوجية النمو والارتقاء ـ د. عبدالفتاح دويدار ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٩٣.

٣٣ ـ الشخصية واثر معاملة الوالدين في تكوينها ـ انطون رحمة ـ مطبعة دار الحياة ـ دمشق ـ بدون تاريخ.

٣٤ ـ شرح نهج البلاغة ـ عبدالحميد بن أبي الحديد المدائني ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٣٧٨ هـ.

٣٥ ـ صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجّاج النيسابوري ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٣٩٨ هـ.

٣٦ ـ الصحة النفسية والعلاج النفسي ـ د. حامد عبدالسلام زهران ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط ٢ ـ ١٩٧٨م.

٣٧ ـ الطفل بين الوراثة والتربية ـ محمد تقي الفلسفي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٣٨ ـ الطفولة المنحرفة ـ د. جليل وديع شكّور ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

٣٩ ـ عدة الداعي ـ أحمد بن فهد الحلي ـ مكتبة الوجداني ـ قم ـ بدون تاريخ.

٤٠ ـ علم الاجتماع ـ د. نقولا الحداد ـ دار الرائد ـ ط ٢ ـ ١٩٨٢م.

٤١ ـ علم اجتماع العائلة ـ د. صبيح عبدالمنعم أحمد، مليحة عوني القصير ـ مطبعة جامعة بغداد ـ ١٩٨٤م.

٤٢ ـ علم النفس ـ د. فاخر عاقل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ١٠ ـ ١٩٨٧م.

٤٣ ـ علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ـ د. عبدالعزيز القوصي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ط ٨ ـ ١٩٧٠م.

٤٤ ـ علم النفس التربوي ـ د. علي منصور ـ مطبعة طربين ـ دمشق ـ ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.

٤٥ ـ علم النفس التربوي ـ د. فاخر عاقل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط ١١ ـ ١٩٨٥م.

٤٦ ـ علم النفس التكويني ـ صباح حنا هرمز، يوسف حنا ابراهيم ـ جامعة الموصل ـ ١٩٨٨م.
٤٧ ـ علم النفس العام ـ د. انطون حمصي ـ مطبعة ابن حيّان ـ دمشق ـ ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٤٨ ـ علم نفس النمو ـ د. حامد عبدالسلام زهران ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط ٥ ـ ١٩٨٢م.
٤٩ ـ العنف والجريمة ـ د. جليل وديع شكور ـ الدار العربية للعلوم ـ بيروت ـ ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٥٠ ـ العوامل النفسية في جنوح الأحداث ـ د. وهبية شوكت محمد ـ مطبعة الحوادث ـ بغداد ـ ١٩٩٠م.
٥١ ـ الفتح الكبير ـ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
٥٢ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٩٦٧م.
٥٣ ـ قاموس الطفل الطبي ـ إعداد محمد رفعت ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ ١٩٩٥م.
٥٤ ـ قرب الاسناد ـ عبدالله بن جعفر الحميري ـ مؤسسة آل البيت ـ قم ـ ١٤١٣هـ.
٥٥ ـ الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ.
٥٦ ـ كنز العمّال ـ حسام الدين علي المتقي الهندي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٥ ـ ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٥٧ ـ المحجة البيضاء ـ الفيض الكاشاني ـ انتشارات اسلامي ـ قم ـ ط ٢ ـ ١٣٨٣هـ.

٥٨ ـ مختصر تاريخ دمشق ـ محمد بن مكرّم (ابن منظور) ـ دار الفكـر ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٤ هـ.

٥٩ ـ مدخل في علم النفس الاجتماعي ـ د. عطوف محمود ياسين ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ـ ١٩٨١ م.

٦٠ ـ مستدرك الوسائل ـ حسين النوري ـ المكتبة الاسلامية ـ طـهران ـ ط ١ ـ ١٣٨٢ هـ.

٦١ ـ مسند أحمد بن حنبل ـ دار احياء التراث العـربي ـ بـيروت ـ ط ٢ ـ ١٤١٤ هـ.

٦٢ ـ مسند الصحابة ـ محمد بن هارون الروياني ـ دار الكتب العـلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٧ هـ.

٦٣ ـ مشاكل الآباء في تـربية الابـناء ـ د. سپوك ـ المـوسسة العـربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٩٨٠م.

٦٤ ـ مشكلات الأطفال اليومية ـ د. دجلاس توم ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ط ٥ ـ ١٩٥٣ م.

٦٥ ـ مكارم الأخلاق ـ الحسن بن الفضل الطبرسي ـ مـوسسة الأعـلمي للمطبوعات ـ بيوت ـ ١٣٩٢ هـ.

٦٦ ـ مكارم الأخلاق ـ عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٩ هـ.

٦٧ ـ من لا يحضره الفقيه ـ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق ـ جـماعة المدرسين ـ قم ـ ط ٢ ـ ١٣٩٢ هـ.

٦٨ ـ الموسوعة النفسية الجنسية ـ د. عبدالمنعم الحنفي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٦٩ ـ نحو انسانية سعيدة ـ د. محمد المبارك ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٣٨٩ هـ، ١٩٧٠م.
٧٠ ـ النظام التربوي في الاسلام ـ باقر شريف القرشي ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.
٧١ ـ نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحي الصالح ـ بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المقدّمة ٥

الفصل الأوّل:

مظاهر الجنوح........ ٩

الجنوح لغة........ ١١

الجنوح اصطلاحاً ١٢

فترة الجنوح ١٣

مظاهر الجنوح........ ١٤

الاستهانة بالمفاهيم والقيم الدينية........ ١٥

الكذب........ ١٦

السرقة........ ١٩

التخريب........ ٢٠

العناد وعدم الطاعة........ ٢٢

العدوان اللفظي........ ٢٣

العدوان البدني........ ٢٤

تعاطي المخدرات والمسكرات........ ٢٥

الانحراف والشذوذ الجنسي ٢٧
ظاهرة عصابات الأحداث ٢٩

الفصل الثاني:

أسباب جنوح الأحداث ٣٣
الأسباب الأساسية للجنوح ٣٥
شهادة الأرقام والاحصائيات ٣٨
عدد الجرائم في أمريكا ٣٨
الجرائم في أمريكا اللاتينية ٣٩
احصائيات في التسعينات ٤٠
قتل الأطفال وانتحارهم ٤٢
المراهقون الأمريكيون ٤٢
أطفال روسيا المشردون ٤٤
أطفال الشوارع والمخدرات ٤٥
العلاقات الجنسية بين الأحداث في أمريكا ٤٦
بريطانيا والانحراف الجنسي ٤٧
استغلال الأحداث جنسياً ٤٨
التشجيع على الشذوذ الجنسي ٥١
أرقام وشواهد من المجتمع العربي ٥٢
الأسباب الثانوية للجنوح ٥٥
أولاً: الأسباب الذاتية أو الأصيلة ٥٨
الوراثة غير الصالحة ٥٨
الطفرات والتشوهات الوراثية ٦٢

الضعف العقلي ٦٧
ثانياً: الأسباب النفسية ٧٤
القلق ٧٥
الاحباط ٧٧
آليات التكيف ٧٩
المهاجمة ٧٩
التعويض ٨٠
التصعيد ٨٠
التبرير ٨٠
الاضفاء ٨١
الكبت والقمع ٨١
التركز حول الذات ٨٢
السلبية ٨٢
الانسحاب ٨٣
النكوص ٨٣
التكيّف العصابي والذهاني ٨٣
الجنوح بعد عجز آليات التكيّف ٨٤
تطبيقات واقعية ٨٥
ثالثاً: الأسباب البيئية الأُسرية ٨٩
انحراف الوالدين ٨٩
التضارب في منهج التربية ٩٣
أُسلوب التربية الخاطىء ٩٥

موقع الحدث في الأُسرة........................... ٩٩
عدم العدالة بين الأحداث........................... ١٠١
اضطراب العلاقات بين الوالدين والحدث........................... ١٠٤
عدم الاستقرار وتفكك الأُسرة........................... ١٠٩
غياب أحد الوالدين........................... ١١٣
الأسباب الاقتصادية........................... ١١٧
رابعاً: الأسباب البيئية الاجتماعية........................... ١٢٥
المدرسة........................... ١٢٥
رفاق السوء........................... ١٢٩
وسائل الاعلام........................... ١٣٢
انحراف العلماء والحكّام........................... ١٣٧
١ ـ انحراف العلماء........................... ١٣٨
٢ ـ انحراف الحكّام........................... ١٤٣
الأسباب والظروف الاستثنائية لجنوح الأحداث........................... ١٤٧
أولاً: الهجرة........................... ١٤٩
ثانياً: الحرب........................... ١٥١

الفصل الثالث

الوقاية من جنوح الأحداث........................... ١٥٥
تمهيد........................... ١٥٧
اختيار شريك الحياة الموافق........................... ١٦٠
أولاً: التوافق العقائدي........................... ١٦١
ثانياً: التوافق الخُلُقي........................... ١٦٢

ثالثاً: التوافق العرقي والطبقي ١٦٤
رابعاً: التوافق في العمر.................................. ١٦٥
اشاعة الطمأنينة داخل الأُسرة ١٦٦
تجنب إثارة الخلافات داخل الأُسرة.......................... ١٦٩
ما قبل الطلاق وما بعده.................................... ١٧٢
اشباع الحاجة إلى المحبة والتقدير ١٧٦
اشباع الحاجة إلى الرفاهية ١٧٩
الوقاية بالتربية الاسرية ١٨٤
الاتفاق على منهج تربوي مشترك............................ ١٨٤
التوازن في الأساليب التربوية ١٨٦
الوقاية بالتربية الايمانية ....
زرع الإيمان في أعماق الحدث............................... ١٩١
الإيمان بالثواب والعقاب ١٩٥
تعميق العلاقة مع الغيب.................................... ١٩٨
١ ـ ذكر الله ١٩٨
٢ ـ الدعاء ٢٠٠
٣ ـ قراءة القرآن.. ٢٠١
التمرين على العبادة....................................... ٢٠٢
الوقاية بتنمية القدرات العقلية والعلمية.................... ٢٠٦
أهمية التنمية العقلية...................................... ٢٠٧
أساليب التنمية العقلية ٢٠٩
آليات التنمية العقلية ٢١٢

المبادرة إلى التعليم ٢١٣
الوقاية بتنمية العواطف والضوابط الذاتية ٢١٦
تنمية الحياء ٢١٩
تنمية الضمير ٢٢٢
إصلاح البيئة الاجتماعية ومواقع التأثير ٢٢٤
القضاء على فرص الغواية ٢٢٦
مراقبة الأحداث ٢٢٨

الفصل الرابع

علاج جنوح الأحداث ٢٣١
العلاج بالارتباط بالغيب ٢٣٤
الاعتراف ٢٣٤
محاسبة النفس ٢٣٥
التوبة ٢٣٦
الاستغفار ٢٣٩
الرضا بالقضاء ٢٤٠
العلاج بالارشاد والتوجيه ٢٤٢
١ ـ تفنيد أُسس المفاهيم والأفكار الخاطئة ٢٤٢
٢ ـ كسر الأُلفة والانس بين الحدث ومعتقداته الباطلة ٢٤٣
٣ ـ تحطيم الحواجز النفسية بين الحدث والمعتقدات الصالحة ٢٤٤
٤ ـ ابعاد الحدث عن السلوك المنحرف ٢٤٥
٥ ـ تمرين الحدث على السلوك القويم ٢٤٦
وسائل الارشاد والتوجيه ٢٤٧

خصائص وصفات معالجي الجنوح ٢٤٨
الخصائص والصفات الذاتية ٢٤٩
١ ـ العلم والمعرفة ٢٤٩
٢ ـ القدوة ٢٥٠
٣ ـ الايثار ٢٥١
٤ ـ الزهد ٢٥١
٥ ـ البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام ٢٥٢
الخصائص والصفات العملية أو السلوكية ٢٥٣
١ ـ المداراة ٢٥٣
٢ ـ الرفق ٢٥٤
٣ ـ الاحسان ٢٥٦
٤ ـ التعايش مع المجتمع ٢٥٦
٥ ـ الصبر والحلم ٢٥٧
٦ ـ القدرة على التقييم الموضوعي ٢٥٨
العلاج بالعقوبات ٢٦٠
اظهار الكراهية والتعريف بالجنوح ٢٦١
الوعظ والنصح ٢٦٢
الزجر والتغليظ بالكلام ٢٦٢
التهديد والتخويف ٢٦٣
المقاطعة والهجران ٢٦٣
اظهار التكفهر والعبوس ٢٦٣
العقاب الواقعي وعقاب الجوارح ٢٦٤

العلاج بالعقوبات القانونية ٢٦٧
عقوبة السجن ٢٦٩
العقوبات المدرسية ٢٧١
العلاج باستخدام اللعب والتسلية ٢٧٥
أهميّة اللعب في التشخيص ٢٧٥
مزايا العلاج باستخدام اللعب ٢٧٥
جمعيات الأحداث ومراكز الشباب ٢٧٦
المصادر ٢٧٨